وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ديالى
كلية التربية للعلوم الإنسانية

التوسع في المعنى في التعبير القرآني عند القاضي البيضاوي (ت ٦٨٥ هـ) في كتابه ﴿ أنوار التنزيل وأسرار التأويل ﴾

رسالة تقدَّم بها
منذر محمود جاسم خليل
إلى مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية في جامعة ديالى
وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير
في اللغة العربية وآدابها
بإشراف الأستاذ الدكتور
عبد الرسول سلمان الزيدي

ذو الحجة
تشرين الثاني
١٤٣٢ هـ
٢٠١١م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن
يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ
كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾

الإسراء : ٨٨

بسم الله الرحمن الرحيم

إقرار المشرف

أشهدُ أنّ إعداد هذه الرسالة الموسومة بـ (التوسع في المعنى في التعبير القرآني عند القاضي البيضاوي (ت ٦٨٥ هـ) في كتابه (أنوار التنزيل وأسرار التأويل)) التي تقدم بها الطالب (منذر محمود جاسم خليل) جرى تحت إشرافي في كلية التربية للعلوم الإنسانية - جامعة ديالى ، وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها .

التوقيع :

المشرف : أ . د . عبد الرسول سلمان الزيدي
التاريخ : ١ / ١١ / ٢٠١١ م

بناءاً على التوصيات المتوافرة أرشحُ هذه الرسالة للمناقشة .

التوقيع :
الاسم : أ . د . إبراهيم رحمن الأركي
رئيس قسم اللغة العربية
التاريخ : / / ٢٠١١ م

بسم الله الرحمن الرحيم

إقرار الخبير العلمي

أشهد أن هذهِ الرسالة الموسومة بـ ﴿ التوسع في المعنى في التعبير القرآني عند القاضي البيضاوي (ت ٦٨٥ هـ) في كتابه

(أنــوار التنزيــل وأســرار التأويـل) ﴾ . قـد تمـت مراجعتهـا مـن الناحية العلمية تحت إشرافي، وقد صارت خالية من الأخطاء العلميـة ولأجله وقعت .

التـوقيــــــع :

الخبير العلمي :

الــتــاريـــــخ :   /   / ٢٠١١ م

بسم الله الرحمن الرحيم

قرار لجنة المناقشة

نحن أعضاء لجنة المناقشة نشهدُ أننا اطـلعنا على هذه الرسالة الموسومة بـ (التوسع في المـعنى في التعبـير القرآني عند القاضي البيضـاوي (ت ٦٨٥ هـ) في كتابه (أنوار التنزيل وأسرار التأويل)) التـي تقدم بهـا الطالـب (منذر محمود جاسم خليل) وقد ناقشنا الطالـب في محتوياتها ، وفـي مـا لـه عـلاقـة بها ، ونرى أنها جديـرة بالقـبول لنيل شهـادة المـاجـستـيـر في اللغـة

العربيـة وآدابـهـا بتـقديــر (   ) .

رئيساً   عضواً

التوقيـع :   التوقيـع :

الاسم : أ.م.د. عبد الكريم شديد محمد   الاسم : أ.م.د. محمد جاسم عبد

التاريخ : ٢٦ / ١ / ٢٠١٢ م   التاريخ : ٢٦ / ١ / ٢٠١٢ م

عضواً   عضواً ومشرفاً

التوقيـع :   التوقيـع :

الاسم : أ.م.د. عثمان رحمن الأركي   الاسم : أ.د. عبد الرسول سلمان الزيدي

التاريخ : ٢٦ / ١ / ٢٠١٢ م   التاريخ : ٢٦ / ١ / ٢٠١٢ م

صادق على الرسالة مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية – جامعة ديالى .

الأستاذ المساعد الدكتور
نصيف جاسم الخفاجي
عميد كلية التربية للعلوم الإنسانية _ جامعة ديالى
التاريخ : / / ٢٠١٢ م

Ministry Of Higher Education
And Scientific Research
Diyala University / the College
Of Education human faculties

The Expansion in The Meaning of The Holy Quran expression Belong to the judge Al –

Baidhawi (685 H) in His book
(Anwar Al – Tanzeel wa Asrar Al – taweel)

This study is prepared by
Munther mahmood Jasim khalil

To The college of Education Human faculties university as part of the requirements to obtain master degree in Arabic language and its Arts .

supervised by
Prof. Dr . Abdul Rasoul Salman Al – zaidy

2011 1432

المحتويـات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	١ – ٤
التمهيد : حياة البيضاوي وسيرته العلمية ومعنى التوسع في اللغة والاصطلاح	٥ – ١٧
المطلب الأول : البيضاوي وسيرته العلمية	٥ – ١٠
المطلب الثاني : التوسع في المعنى : تعريفه ومسوغاته	١٠ – ١٧
الفصل الأول : التوسع في المستوى النحوي :	١٨ –٧٨
المبحث الأول : الفعل والمصدر والتضمين	١٨– ٤٠
أولاً : الفعل	١٨ – ٢٥
ثانياً : المصدر	٢٥ – ٣٣
ثالثاً : التضمين	٣٣ – ٤٠
المبحث الثاني : التعلق وتعدد أوجه الإعراب وعود الضمير	٤١ – ٦٠
أولاً : التعلق	٤١ – ٤٦
ثانياً : تعدد أوجه الإعراب	٤٦ – ٥٢
ثالثاً : عود الضمير	٥٣ - ٦٠
المبحث الثالث : التوسع في الأساليب :	٦١ – ٧٨
أولاً : أُسلوب الحذف	٦١ – ٧٠
ثانياً : أُسلوب الاستثناء	٧٠ – ٧٨

ثبت المحتويـــات

الموضوع	الصفحة
<u>الفصل الثاني : التوسع في المستوى الصرفي :</u>	٧٩-١٣٠
المبحث الأول : القراءات القرآنية :	٧٩-٩٤
أولاً : بين اسم الفاعل وصيغة المبالغة	٧٩ – ٨١
ثانياً : بين (فَعَلان) بفتح العين ، و (فَعْلان) بإسكانها	٨١ – ٨٣
ثالثاً : بين اسم الفاعل واسم المفعول	٨٤ – ٨٥
رابعاً : بين (الفَعْل) بفتح الفاء ، و (الفِعْل) بكسرها	٨٥ – ٨٦
خامساً : بين (فَعَالة) بفتح الفاء ، و (فِعَالة) بكسرها	٨٦ – ٨٨
سادساً : بين (الفَعَل) بفتح العين ، و (الفَعْل) بإسكانها	٨٩ – ٩٠
سابعاً : بين (الفُّعلي) بضم الفاء المشددة و (الفِّعلي) بكسر تشديدها	٩٠ – ٩٢
ثامناً : بين (فُعَلة) بفتح العين ، و (فُعْلة) بإسكانها	٩٢ – ٩٤
المبحث الثاني : تعدد الصيغ الصرفية :	٩٥-١١٣
أولاً : فُعْلية وفَعُولة	٩٥ – ٩٧
ثانياً : فَعيل ومُفعل	٩٧ – ٩٨
ثالثاً : فَعَل وافتعل	٩٨ – ١٠٠
رابعاً : فعيل بمعنى : فاعل ومَفْعول	١٠٠ – ١٠٣
خامساً : فَعْلال وفَعْلل	١٠٣– ١٠٥
سادساً : فِعَال ومِفْعَل	١٠٦ – ١٠٨

ثبت المحتويـــــات

الموضـوع	الصفحة
سابعاً : فَعيل ومَفْعُول	١٠٨ – ١١٠
ثامناً : استفعل وافتعل	١١٠ – ١١٣
المبحث الثالث : الاشتقاق	١١٤-١٣٠
أولاً : الشيطان	١١٥ – ١١٧
ثانياً : الحواريون	١١٧ – ١١٩
ثالثاً : الزُّبُر	١١٩ – ١٢٠
رابعاً : المِحَال	١٢٠ – ١٢٣
خامساً : قرارةُ العين	١٢٣ – ١٢٥
سادساً : الوَزِير	١٢٥ – ١٢٧
سابعاً : الاستئناس	١٢٧ – ١٢٩
ثامناً : البَسُّ	١٢٩ – ١٣٠
الفصل الثالث : التوسع في المستوى اللغوي :	١٣١ – ١٨٧
المبحث الأول : التوسع في المُشترَك اللفظي	١٣١ – ١٤٧
المبحث الثاني : التوسع في الأضداد	١٤٨ – ١٧٣
المبحث الثالث : التوسع في اختلافِ لهجاتِ العرب	١٧٤ – ١٨٧
الخاتمة	١٨٨ – ١٩٠
المصادر والمراجع	١٩١ – ٢١٣
الملخص باللغة الإنكليزية	A - B

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــــة

الحمد لله الكريم المنان ، الواسع الفضل الرحيم الرحمن ، المتفرد بالعبودية منذ قديم الزمان ، والصلاة والسلام على من كان خلقه القرآن ، سيدنا محمد أبلغ عربي وذي أفصح لسان ، وعلى آله وصحبه مصابيح الدياجي وهداة الأنام ، أما بعدُ٠٠٠

فيعدّ القرآن الكريم المعجزة الخالدة الدالة على مكانة هذا النظم الرفيع والمعنى البديع الذي تحدى به الله أرباب البلاغة والفصاحة في الإتيان بمثله ولو بأقصر آية . فتقاصرت الهمم دونَهُ وعجزت الألسنة عن مجاراته والمجيء بشبيه عباراته فهو البحر الخِضَم البعيد قعرُهُ والنهر المادّ الذي لا ييبس ولا ينضب إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، فقد عكف عليه العلماء والدارسون منذ فجر نزوله إلى يومنا هذا بالبحث والتنقير واستخراج اللآلئ والدرر الكامنة فيه في كل مجالات العلوم على كثرتها ، وسيبقى الكتاب الذي لا تفنى عجائبُهُ ولا تنطفئ أنوارُهُ على مرور العصور وتطاول الأحقاب والدهور لما انماز به من تراكيب بليغة ومعانٍ عجيبة تكتنفها ألفاظ لها من قوة الفصاحة ما لها ، ومن البراعة اللفظية أن تأتي الكلمة الواحدة تحمل في طياتها أكثر من معنى وأكثر من دلالة لغوية وهذا لا يتأتى في أيّ لغة حية على نحو ما في العربية التي رفع الله سبحانه شأنها دون لغات أمم الأرض يوم أن أنزل بها هذا القرآن المجيد .

وقد كنتُ متابعاً لبعضِ الدراسات التي كانت تُعنى بإظهار اللمسات البيانية في آيات الذكر الحكيم وكان (التوسع في المعنى) في التعبير القرآني أحد المناحي الدلالية في تبيان ذلك البيان القرآني ، فوجدتُ في نفسي هوىً في متابعة هذه المسألة اللغوية وكنتُ وبخاصّة وأنا أقرأ في كتب الدكتور فاضل السامرائي الذي كان أحد الباحثين المتمرسين الذين يعنون بإبراز مكامن البيان القرآني كان يعترضني هذا المفهوم فأقفُ عنده راجعاً إلى كتب التفسير والنحو للإفادة أكثر ، ثم بدأت الحلقات النقاشية التي

أقامها القسم لطلبة الماجستير فطرحتُ هذا الموضوع في الحلقة النقاشية وبينتُ المراد من التوسع في المعنى بإيراد الشواهد للموضوع مستقاة من القرآن الكريم فلقِيَ الموضوع قبولاً من لدن أستاذي الدكتور عبد الرسول سلمان الزيدي الذي شجعني آنذاك على دراسة هذا اللون من النظم القرآني ، ثم ذهبتُ بعد ذلك أبحث عن مكمن دراستي إلى أن رأيتُ تفسير البيضاوي يردُ فيه وبشكلٍ لافتٍ للنظر إلى ما يندرج في إطار ظاهرة (التوسع في المعنى) فاستقرّ بي الحال وارتأيتُ أن تكون الدراسة في (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) بعد الاتكال على الله تعالى .

وقد اقتضت طبيعة الدراسة أن أقسمها على مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول ، وقد قسمت التمهيد على مطلبين : الأول : تناولت فيه البيضاوي وسيرته العلمية عرضت فيه اسمه ونسبه ومولده ونشأته وشيوخه وتلامذته ومصنفاته ووفاته ، والآخر : تناولت فيه (التوسع في المعنى) من حيث تعريفه لغةً واصطلاحاً والوقوف على مفهومه لدى القدامى والمحدثين ، وعلى عبارة (التوسع في المعنى) وأول من وردت عنده . أما الفصل الأول فكان بعنوان (التوسع في المستوى النحوي) ولا بدَّ من الإشارة ههنا إلى أنّ تقديم هذا المستوى على المستويين الآخرين وهما : (التوسع في المستوى الصرفي) و (التوسع في المستوى اللغوي) سببه أنّ دائرة التوسع في المعنى ضمن المستوى النحوي كانت عريضةً وأخذت حيّزاً أوسع من ذينك المستويين (الصرفي واللغوي) ، وقد قسمته على ثلاثة مباحث : المبحث الأول تناولت فيه الفعل والمصدر والتضمين ودلالة كلّ واحدٍ على التوسع في معناهُ ، وجاء المبحث الثاني في التعلّق وتعدد أوجه الإعراب وعود الضمير ، أما المبحث الثالث فكان في التوسع في الأساليب فجاء في أسلوبيّ : الحذف والاستثناء . وجاء الفصل الثاني بعنوان (التوسع في المستوى الصرفي) وقسمته على ثلاثة مباحث أيضاً ، فكان المبحث الأول في القراءات القرآنية واختلاف صيغها الصرفية المؤدي إلى اتساع المعنى القرآني ، وجاء المبحث الثاني في تعدد الصيغ الصرفية وذلك باحتمال اللفظ الواحد أكثر من صيغة صرفية

ومِنْ ثَمَّ تعدد المعنى لذلك اللفظ في ضوء تلك الصيغ الصرفية ، وتناولت في المبحث الثالث الاشتقاق بوصفه عملية أخذ شيء من شيء التي يترتب عليها تكاثر المعاني والدلالات اللغوية . أما الفصل الثالث فكان بعنوان (التوسع في المستوى اللغوي) وقسمته على ثلاثة مباحث كذلك ، فجاء المبحث الأول في ظاهرة المشترك اللفظي الدّال على انصباب المعاني في مجرى المفردة القرآنية الواحدة ، وكان المبحث الثاني في التضاد اللغوي وذلك باحتمال السياق القرآني للمعنيين كليهما ، وتناولت في المبحث الثالث اختلاف لهجات العرب وأثرهُ في توسيع المعنى في التعبير القرآني ولولا توارد لهجات العرب واختلافهم في تفسير اللفظة الواحدة بما يحتمل ذلك السياق ما أمكن أن يكون ذلك من باب (التوسع في المعنى) .

ثم ختمتُ هذه الفصول بما توصل إليه البحث من نتائج ، ومما تجدرُ الإشارة إليه هو أني قد اعتمدتُ في إتمام هذه الرسالة العلمية على مجموعة من المصادر ، فمن كتب التفسير : (الكشاف) للزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) ، و (التفسير الكبير) لفخر الدين الرازي (ت ٦٠٦ هـ)، و (البحر المحيط) لأبي حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ) ، و (الدر المصون) للسمين الحلبي (ت ٧٥٦ هـ) ، و (حاشية الشيخ زاده على تفسير البيضاوي) للشيخ زاده (ت ٩٥١ هـ) ، و (روح المعاني) للآلوسي (ت ١٢٧٠هـ) ، و(التحرير والتنوير) لابن عاشور (ت ١٢٨٤ هـ) وغيرها ، ومن كتب معاني القرآن : (معاني القرآن) للفراء (ت ٢٠٧هـ) ، و (مجاز القرآن) لأبي عبيدة (ت٢١٠هـ) ، و (معاني القرآن وإعرابه) للزجاج (ت ٣١١هـ) ، و(معاني القرآن) للنحاس (ت ٣٣٨هـ) وغيرها ، ومن كتب إعراب القرآن : (التبيان في إعراب القرآن) للعكبري (ت ٦١٦هـ) وغيره ، ومن كتب غريب القرآن : (غريب القرآن) لابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) وغيره ، ومن كتب القراءات القرآنية : (إعراب القراءات السبع وعللها) لابن خالويه (ت ٣٧٠هـ) ، و (المحتسب) لابن جني (ت ٣٩٢هـ) وغيرهما ، ومن كتب اللغة : (العين) للخليل بن أحمد (ت ١٧٥هـ)، و (مقاييس اللغة) لابن فارس (ت ٣٩٥هـ) ، و (لسان العرب)

لابن منظور (ت٧١١هـ) ، و(تاج العروس) للزبيدي (ت ١٢٠٥هـ) وغيرها ، ومن كتب النحو: (الكتاب) لسيبويه (ت ١٨٠هـ) ، و (مغني اللبيب) لابن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ) ، و (حاشية الصبان) لمحمد بن علي الصبان (ت ١٢٠٦هـ) وغيرها من الكتب اللغوية ، وكتب الحديث ودواوين الشعراء التي استعنتُ بها في تخريج الشواهد الحديثية والشعرية .

قال تعالى : ﴿ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ﴾ البقرة : ٢٣٧ ، ومن سوابغ فضلهِ ونعمهِ أن تكرم شيخي وأستاذي الدكتور عبد الرسول سلمان الزيدي بالإشراف على رسالتي وله الفضل والشكر بعد الله سبحانه وتعالى لِما قدّمه لي من ملاحظات وتصويبات حتى استوتْ رسالتي على سُوقِها ، وكنت كلما راجعته وجدتُه يرحبُ بي ، ويجيبني على أسئلتي بأناةٍ ، فجزى الله شيخي عني كلّ خير ورزقه القبول في الدارين إنه خير مسؤول ، ولا يفوتني أن أقدمَ شكري إلى رياسة قسم اللغة العربية وأساتذته وأخص منهم بالذكر الدكتور حسين إبراهيم مبارك التميمي لما أسعفني به من تقويماته النيرة أنار الله له دنياهُ وأخراهُ وبما أمدني به من مصادر كانت لي خير معين في إكمال رسالتي علاوةً على كرمهِ بأن كرّس لي من وقته فكنت كلما أردته وجدته ، واللهَ أسألُ أن يجعله من أصحاب الجنان إنه بالإجابة مأمول ، ولا أنسى تقديم الشكر والامتنان إلى لجنة المناقشة جزاهم الله خيراً ، وما كان من توفيق فمن الله وحده وما كان من سهو وزلل فمني وحسبي أن هذه هي النفس البشرية ، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين .

الباحث

التمهيد

المطلب الأول : البيضاوي وسيرته العلمية :

هذه نبذة من حياة البيضاوي وسيرته العلمية ، إذ قد سبقني الباحثون والدارسون في الكتابة عن سيرتهِ ومكانته العلمية والثقافية وأبانوها ، لذا ساكتفي بعرضٍ غير مطيل للتعريف به وبما يؤسس تمهيداً لدراستي محيلاً القارئ على من سبقني من الباحثين [١] .

أ- اسـمـه ونسبـه : هو عبد الله بن عمر بن محمد بن علي ، ناصر الدين الشيرازي البيضاوي قاضي القضاة يُكنى بأبي الخير[٢] ، والبيضاوي نسبة إلى مدينة البيضاء من بلاد فارس سُميت بذلك ؛ لأن لها قلعة تظهر من بُعدٍ ويُرى بياضها[٣] . وُلِّيَ قضاء شيراز مدةً وصُرِفَ عنه لشدته في الحقّ ، فرحل إلى تبريز وتوفي فيها[٤] .

ب- مـولـده ونشأتـه : وُلد البيضاوي في مدينة البيضاء المشار إليها آنفاً ، ولم تذكر كتبُ التراجم سنة ولادته ، ونشأ في بيت علم فأخذ العلمَ عن والده وتفقه عليه[٥] ، وتدرج فيه حتى بلغ الدرجة السامية جمع فيها أصناف العلوم : القرآن الكريم وعلومه ، واللغة وعلومها ، والعلوم الشرعية وغيرها حتى قال عنه العلماء : كان إماماً

(١) ينظر : البيضاوي ومنهجه في التفسير : ٨–٣٠ ، والجهد الصرفي في تفسير البيضاوي : ٤–٧ .

(٢) ينظر : الوافي بالوفيات : ١٧ / ٢٠٦ ، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة : ٢ / ١٧٢ .

(٣) ينظر : معجم البلدان : ١ / ٥٢٩ ، وشذرات الذهب : ٧ / ٦٨٥ .

(٤) ينظر : الأعلام : ٤ / ١١٠ ، والفتح المبين في طبقات الأصوليين : ٢ / ٨٨ .

(٥) ينظر : مرآة الجنان : ٤ / ١٦٥ .

مُبرزاً نظاراً خيّراً صالحاً متعبداً فقيهاً أصولياً متكلماً مفسراً محدّثاً أديباً نحوياً مفتياً قاضياً عادلاً [١] .

جـ- شيوخـه وتلامـذتـه :

أ – شيوخه: تتلمذ البيضاوي على أيدي علماء منهم :

١- شهاب الدين السهروردي (ت ٦٣٢هـ) : قدوة أهل التوحيد وشيخ العارفين قدِمَ بغداد فسمع وصَحِبَ علماءها وتفقه وتفنن وصنف التصانيف منها (عوارف المعارف) ، وانتهتْ إليه تربية المريدين وتسليك العُبّاد ومشيخة العراق، وكان كثير الحجّ إلى بيت الله سبحانه ، وكان مشايخ عصره يكتبون إليه ويسألونه عن أحوالهم ، فكتب أحدهم : يا سيدي إني إن تركت العمل أخلدت إلى البطالة وإن عملتُ داخلني العُجبُ فأيّهما أولى ؟ فأجابه : اعمل واستغفر الله من العجب[٢] . وهو من شيوخ البيضاوي[٣] .

٢- نصير الدين الطوسي (ت ٦٧٢ هـ) : فيلسوف صاحب علم بالرياضيات ، كان رأساً في العلوم العقلية وكان ذا منزلة عالية عند هولاكو فكان يطيعه فيما يشير به عليه ، واتخذ خزانة عظيمة فسيحة الأرجاء ملأها من الكتب التي نُهبتْ من بغداد والشام والجزيرة جمع فيها نحو أربعمائة ألف مجلد ، وكان حَسَن الصورة

(١) ينظر : بغية الوعاة : ٢ / ٥٠ ، والفتح المبين في طبقات الأصوليين : ٢ / ٨٨ .
(٢) ينظر : العبر في خبر من غبر : ٥ / ١٢٩ ، وشذرات الذهب : ٧ / ٢٦٨ – ٢٧٠ .
(٣) ينظر : روضات الجنات : ٥ / ١٢٩ .

سمحاً كريماً جواداً حليماً حسن العِشرة غزير الفضل ، صنّف كتباً جليلة منها : (تربيع الدائرة) و (تجريد العقائد) وغيرهما[١] ، وهو أحد شيوخ البيضاوي[٢] .

٣- والدُهُ : عمر بن محمد بن علي البيضاوي (ت ٦٧٥ هـ) : ذكر البيضاوي فتيا أبيه في قوله تعالى :﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ التوبة : ٦٠ ، وظاهر الآية يقتضي تخصيص استحقاق الزكاة بالأصناف الثمانية ووجوب الصرف إلى كلّ صنف وُجد منهم ومراعاة التسوية بينهم، وعن الصحابة والتابعين (رضي الله عنهم) جواز صرفها إلى صنف واحد وبه كان يفتي شيخي[٣] ، ووالدي رحمهما الله تعالى[٤] .

٤- عمر البوشكاني (ت ٦٨٠ هـ) : ذكر صاحب (شدّ الإزار وحط الأوزار)[٥] بأنّه : أستاذ العلماء وملجأ الأكابر في عهده لم يترك فناً إلا درسَهُ ، وكان العلماء يتتلمذون عليه منهم : القاضي البيضاوي .

<u>ب – تلامذته :</u> تتلمذ على البيضاوي جمعٌ من العلماء منهم :

١- أحمد بن الحسن الجاربردي (ت ٧٤٦ هـ) : الإمام فخر الدين نزيل تبريز، كان فاضلاً ديّناً متفنناً خيّراً وقوراً مواظباً على الاشتغال بالعلم وإفادة الطلبة ، أخذ

---

(١) ينظر : فوات الوفيات : ٣ / ٢٤٦ – ٢٤٧ ، والأعلام : ٧ / ٣٠ .
(٢) ينظر : روضات الجنات : ٥ / ١٢٩ .
(٣) لم يصرح البيضاوي بذكر اسم شيخه هذا .
(٤) ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ١ / ٤١٠ – ٤١١ ، ومرآة الجنان : ٤ / ١٦٥ .
(٥) ينظر : ٢٩٩ ، والبيضاوي ومنهجه في التفسير : ١٧– ١٨ .

عن القاضي ناصر الدين البيضاوي وشرح منهاجَه في أصول الفقه ، وتصريف ابن الحاجب وله على الكشاف حواشٍ مشهورة[١] .

٢- جمال الدين الكسائي : من علماء المشايخ بشيراز تتلمذ على القاضي البيضاوي، درّس الكتب وله تصانيف فائقة منها : (نور الهدى في شرح مصابيح الدجى) ، و(النجم في الأصول) ، و(سير القرائح في الأحاجي) وغيرها ، وكان يعظ الناس ويدعوهم إلى الله تعالى سنين ، مرقده في الرباط[٢] .

٣- زين الدين الهنكي : ذكره السُّبكي (ت ٧٧١هـ) في ترجمته للإِيْجي (ت٧٥٦هـ) قائلاً : "واشتغل على الشيخ زين الدين الهنكي تلميذ القاضي ناصر الدين البيضاوي"[٣] .

٤- كمال الدين المراغي : كان شيخاً حسناً صالحاً خيّراً له حظ من الاشتغال قديماً وحديثاً سَمِع على القاضي البيضاوي المنهاج ، والغاية القصوى ، والطوالع[٤] .

ولم تذكر كتب التراجم لتلاميذه سنوات وفياتهم سوى الجاربردي .

د- مصنفاته : ألف البيضاوي مصنفاتٍ عدة ذكرها أصحاب التراجم منها :

١- أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ذكر هذا التفسير عددٌ من المترجمين له[٥] ، وتأتي أهمية هذا التفسير في كونه من أمات كتب التفسير وهو كتاب عظيم الشأن غنيّ عن البيان جمع فيه بين التفسير والتأويل على مقتضى قواعد اللغة العربية ، ولخّص من (الكشاف) ما يتعلق بالإعراب والمعاني والبيان ، ومن (التفسير الكبير) ما يتعلق

---

(١) ينظر : طبقات الشافعية الكبرى : ٩ / ٨ ، وبغية الوعاة : ١ / ٣٠٣ .

(٢) ينظر : شد الإزار وحط الأوزار : ١٧٧ ، والبيضاوي ومنهجه في التفسير : ٢١ .

(٣) طبقات الشافعية الكبرى : ١ / ٤٦ ، وينظر : بغية الوعاة : ٢ / ٧٦ .

(٤) ينظر : الدرر الكامنة : ٣ / ١٥٦ .

(٥) ينظر : هدية العارفين : ١/ ٤٦٣ ، والأعلام : ٤/١١٠ ، والتفسير والمفسرون : ١/٢١١ .

بالحكمة والكلام ، ومن مفردات الراغب الأصفهاني (ت نحو ٤٢٥هـ) ما يتعلق بالاشتقاق وغوامض الحقائق ولطائف الإشارات كما أنه أعمل فيه عقلهُ فضمّنه نكتاً بارعة واستنباطات دقيقة ، كلّ هذا في أُسلوب رائع موجز وعبارة تدقّ أحياناً وتخفى إلا على ذي بصيرة ثاقبة وفطنة نيّرة[١] .

ثم إنّ هذا الكتاب رزقه الله حسن القبول عند العلماء فعكفوا عليه بالدرس والتحشية ، فمنهم من علق على سورة منه ، ومنهم من حشى تحشيةً تامة، ومنهم من كتب على بعض مواضع منه وهي كثيرة تصل إلى أكثر من أربعين منها مجلدات ومنها ما دون ذلك ، وهذه الحواشي تظهر أهمية هذا الكتاب ، وأشهر هذه الحواشي تداولاً بين الناس (حاشية الشيخ زاده) و(حاشية الشهاب الخفاجي) و (حاشية القونوي) [٢] ، وقد طبع هذا الكتاب أكثر من طبعة والطبعة التي اعتمدتْ عليها الدراسة هي طبعة دار صادر – بيروت لسنة ٢٠٠١ م، بتحقيق (محمود عبد القادر الأرناؤوط) .

٢- الإيضاح في أصول الدين[٣] .

٣- شرح الكافية لابن الحاجب في النحو[٤] .

٤- شرح المصابيح في الحديث[٥] .

٥- الغاية القصوى في دراية الفتوى[٦] .

٦- لبّ الألباب في علم الإعراب[٧].

---

(١) ينظر : كشف الظنون : ١ / ١٨٧ ، والتفسير والمفسرون : ١ / ٢١١ – ٢١٢ .
(٢) ينظر : كشف الظنون : ١ / ١٨٨- ١٩٣ .
(٣) ينظر : الوافي بالوفيات : ١٧ / ٢٠٦ ، والفتح المبين في طبقات الأصوليين : ٢ / ٨٨ .
(٤) ينظر : بغية الوعاة : ٢ / ٥٠ .
(٥) ينظر : مرآة الجنان : ٤ / ١٦٥ ، وطبقات الشافعية الكبرى : ٨ / ١٥٥ .
(٦) ينظر : البداية والنهاية : ١٥ / ٥٢٣ ، والأعلام : ٤ / ١١٠ .
(٧) ينظر : هدية العارفين : ١ / ٤٦٣ ، والفتح المبين في طبقات الأصوليين : ٢ / ٨٨ .

و- وفــاتــه : اختلف العلماء في تحديد سنة وفاة البيضاوي ، فذكر اليافعي (ت٧٦٨هـ) أنّ وفاته سنة (٦٩٢ هـ) اثنتين وتسعين وستمائة للهجرة[١] . وذكر إسماعيل باشا البغدادي (ت١٣٣٩هـ) أنّ وفاته سنة (٦٩١هـ) إحدى وتسعين وستمائة للهجرة ، أو سنة (٦٩٦هـ) ستٍ وتسعين وستمائة للهجرة[٢] . والراجح عند جمهور المؤرخين أنّ وفاته سنة (٦٨٥هـ) خمسٍ وثمانين وستمائة للهجرة[٣]
.

المطلب الثاني : التوسع في المعنـى :

أ- التوسـع لـغـةً واصـطـلاحــاً

التوسع لغةً : من الوسْع بمعنى : الغنى ، والتوسع : خلاف الضيق والعُسْر[٤] ، و"وسَّعتُ الشيءَ فاتسع واستوسع ، أي : صار واسعاً"[٥] ، والوسعُ : الطاقة ، يقال : هو ينفقُ على قدر وسعهِ ، أي : على قدر طاقته واستطاعته[٦] . والمعجمات الأخرى لم تخرج عن طور ما أوردته آنفاً[٧] .

التوسع اصطلاحاً : أشار العلماء القدامى إلى مفهوم التوسع في المعنى ولكن ليس بصريح العبارة ، ولم يحددوهُ مصطلحاً ، فقد جوّز سيبويه في قوله تعالى : ﴿ **إِن تَـرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا** ﴾ الكهف : ٣٩ ، أن يكون (أنا) ضميرَ فصل أو توكيداً

---

(١) ينظر : مرآة الجنان : ٤ / ١٦٥ .

(٢) ينظر : هدية العارفين : ١ / ٤٦٣ .

(٣) ينظر : طبقات المفسرين : ٢٥٥ ، والأعلام : ٤ / ١١٠ ، والفتح المبين في طبقات الأصوليين : ٢ / ٨٨ .

(٤) ينظر : مقاييس اللغة (وسع) : ٩٥٥ .

(٥) تاج اللغة وصحاح العربية (وسع) .

(٦) ينظر : المفردات في غريب القرآن (وسع) : ٥٣٨ .

(٧) ينظر : لسان العرب (وسع) ، وتاج العروس (وسع) .

للضمير في الفعل (ترني) [1] كما سيأتي ، وذكرهُ من بعده الفراء في معرض حديثه عن الفعل (أنزف) ودلالته على معنيين[2] وسيأتي أيضاً .

وتداول العلماء بعد ذلك هذا المفهوم ومنهم الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) إذ قال : "والعرب تتوسع في كلامها وبأيّ شيءٍ تفاهم الناسُ فهو بيانٌ ، إلا أنّ بعضه أحسن من بعض"[3] ، ثم جاء بعد ذلك ابن جني فوجدتُ الأمر واضحاً جداً في مخيلته _ على ما أحسبُ _ إذ ذكر في (باب في توجه اللفظ الواحد إلى معنيين اثنين) قولَ الخنساء[4] :

أبعدَ ابن عمرٍو من آلِ الشريـ دِ حلّتْ بـه الأرضُ أثقالَها

فقولها : (حلّت) يحتمل أن يكون من الحِلية ، أي : زيّنتْ به موتاها ، ويحتمل أن يكون من الحَلِّ ، كأنه لمّا مات انحلّ به عُقَدُ الأمور[5] .

ومما تجدر الإشارة إليه في هذا الشأن _ وعلى وجهٍ مهمٍ _ هو أني وجدتُ ابن جني قد استعمل عبارة (التوسع في المعنى) عند كلامه على جريان المصادر أوصافاً ؛ إذ قال : " قلّ استعمالهم إياها (المصادر) في اللفظ أوصافاً ، وحصل فيه بعض الاستكراه فلذلك لم يسمع عنهم : مررتُ بالرجل العلاء ؛ لضعف جريان المصادر أوصافاً في القياس فمن هنا جفا ذلك في اللفظ وإن كان قد يجوز تخيُّله على ضربٍ من التوسع في المعنى "[6] . وفي ضوء هذا القول يرى الباحث أنّ أبا الفتح بن جني هو أول لغوي استعمل عبارة (التوسع في المعنى) وإن كان السياق الذي وردت

---

(١) ينظر : الكتاب : ٢ / ٣٩٢ .

(٢) ينظر : معاني القرآن : ٢ / ٣٨٥ .

(٣) الحيوان : ٥ / ٢٨٧ ، وينظر : التوسع في المعنى في الجامع لأحكام القرآن : ٢٨ .

(٤) ينظر : شرح ديوان الخنساء : ٧٩ .

(٥) ينظر : الخصائص : ٣ / ١٦٩ .

(١) سر صناعة الإعراب : ١ / ٣٦٣ .

فيه لا يحيل على نحوٍ من التمام والكمال على الدلالة الاصطلاحية بالمفهوم الذي استقرّ عند لغويينا المعاصرين بَيْدَ أنّه يمكن أن يُقرأ ضمن دائرة المفهوم اللغوي للتوسع ، ذاك الذي يفضي إلى معنى السعة والغَناء والثراء . وهو تصورٌ يتلاقى مع الدلالة الاصطلاحية لِـ (التوسع في المعنى) بالمفهوم الذي تبناهُ المعاصرون ومنهم كاتبُ هذه الرسالة حيث إنّ احتمال اللفظ أو التركيب اللغويَيْنِ أكثر من معنى هو لون من ألوان الثراء اللغوي . وبناءاً على هذا يمكن القول : إنّ عبارة ابن جني هذه إرهاص متقدم لصيرورة هذا المصطلح واستعماله عند المعاصرين واستقراره مصطلحاً في الدرس اللغوي الحديث ، ولم يتنبه الباحثون الذين كتبوا في موضوع (التوسع في المعنى) على هذا الأمر ولم يشيروا إلى قوله هذا . والله أعلم

وقد عرّف ابن رشيق القيرواني (ت ٤٥٦هـ) التوسع بقوله : "وذلك أن يقول الشاعر بيتاً يتسعُ فيه التأويل فيأتي كلّ واحدٍ بمعنى ، وإنما يقع ذلك لاحتمال اللفظ وقوته واتساع المعنى"[١] .

أما عند الباحثين المعاصرين فيُعدّ الدكتور فاضل السامرائي من أكثر المعاصرين عنايةً بهذا اللون اللغوي فقد عرّف التوسع قائلاً : "قد يؤتى بالعبارة محتملة لأكثر من معنى ، وقد يؤتى بها لتجمع أكثر من معنى وهذه المعاني كلها مرادة مطلوبة ، فبدل أن يطيل في الكلام ليجمع معنيين أو أكثر يأتي بعبارة واحدة تجمعها كلها فيوجز في التعبير ويوسع في المعنى"[٢] .

وعرّفه الدكتور طه سبتي إبراهيم بأنه : "قدرة اللفظ الواحد أو العبارة الواحدة على تحمل أكثر من معنى في سياق واحد كلّ معنى من هذه المعاني صحيح"[٣] .

---

(١) العمدة : ٢ / ٧٣٤ .

(٢) الجملة العربية والمعنى : ١٤٢ .

(٣) التوسع في المعنى في الجامع لأحكام القرآن : ١٢ .

وعرّفه الباحث شاكر محمود حسين بأنه : "هو غاية المتكلم في إيراد لفظ أو عبارة محتملة لأكثر من معنى في سياق واحد يقصدُ إظهارها مجتمعة للمخاطب"[(١)].

وفي ضوء ما مرّ فإن الباحثَ يرى أن التوسع في المعنى : هو ضربٌ من التعبير اللغوي متضمن أكثر من معنى جامع لها جميعها ومحتملٌ إياها على وجه الصحة في أخصر قول وأقلّ عبارة . وأخيراً أرى لزاماً أن أذكر أنّ من المعاصرين من أطلق على (التوسع في المعنى) عبارة (انفتاح الدلالة) [(٢)] .

ب- مـسـوغـات التوسـع في المـعـنـى :

إنّ التوسع في المعنى في التعبير القرآني لم يأتِ جزافاً بل لا بدَّ من وجود عوامل أدت إلى إمكانية احتمال اللفظ أو العبارة القرآنية إلى استساغة وجوه المعاني المحتملة في السياق ولعل أهم هذه العوامل هي :

١– طبيعة اللغة العربية :

إن للغة العربية سماتٍ وخصائصَ تميزها عن غيرها من لغات العالم وذلك من خلال توسيع دائرة المعنى للمفردات اللغوية ، وقد زادها الله شرفاً بنزول القرآن المعجز بها ، وقد وصفها ابن جني بـ (شجاعة العربية)[(٣)] ومن ضروب الشجاعة التوسع في مدلولاتها وقدرتها في التعبير عن المعاني المتعددة بلفظ واحد أو بعبارة موجزة .

---

(١) اتساع المعنى عند السمين الحلبي في كتابه الدر المصون : ١٩ .
(٤) ينظر : مباحثات لسانية في ظواهر قرآنية : ١٣ .
(١) ينظر : الخصائص : ٢ / ٣٤٤ .
(٢) الجملة العربية والمعنى : ٥ .
(٣) من أسرار البيان القرآني : ١٩٨ .

ولا شك أنّ الذي عنده شيءٌ من المعرفة باللغة العربية "يعلم دقة هذه اللغة العظيمة في التعبير عن المعاني وسعة مساحتها التعبيرية وقدرتها الهائلة على توليد المعاني وعلى التوسع في المعنى وتفوقها الفني حتى تصل إلى درجة الإعجاز"[٢] كقوله تعالى :﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ﴾ البقرة : ٢٥٥ ، "قوله : (بما شاء) يحتمل أن تكون (ما) فيه مصدرية ، أي : بمشيئته ، ويحتمل أن تكون اسماً موصولاً ، أي : بالذي يشاؤهُ فهو قيوم على عملهم ، فجمع بهذا التعبير المعنيين ، أي : لا يحيطون بذاك إلا بمشيئته وبالذي يشاؤهُ"[٣] وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدلّ على مرونة اللغة العربية في التعبير عن المعاني في آنٍ واحدٍ .

٢- غياب القرينة :

القرينة لغةً : من قرنتُ الشيءَ إلى الشيء : شددتهُ[١] ، والقِران : الحبل يقرن به شيئان ، والقَرَن في الحاجبين : إذا التقيا[٢] ، ومنه عقدُ القِران ، أي : اقتران الرجل بالمرأة .

القرينة اصطلاحاً : "أمرٌ يشير إلى مطلوب"[٣] أو "هي ما يوضح عن المراد لا بالوضع تؤخذ من لاحق الكلام الدال على خصوص المقصود أو سابقه"[٤] . فغياب القرينة التي تقطع بهذا المعنى دون ذاك هو الذي شجع على دخول الدلالات والمعاني

(١) ينظر : العين (قرن) : ٣ / ٣٨٣ .
(٢) ينظر : مقاييس اللغة (قرن) : ٧٧٠ .
(٣) التعريفات : ٧٥ .
(٤) الكليات : ٧٣٤ .

في سلك الألفاظ والجمل مما أفضى إلى احتمال السياق القرآني أكثر من معنى كقوله تعالى :﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ ﴾ الحجر : ٩٤ ، (ما) في سياق الآية الكريمة تحتمل أن تكون موصولةً ، أي : فاصدع بالذي تؤمر به ، أو أن تكون مصدريةً ، أي : فاصدع بأمرك(١) .

والظاهر أنّ حذف عائد الموصول (الهاء) هو الذي سوّغ هذا الاحتمال في (ما) في النص القرآني ، وعدم ذكر القرينة (الهاء) في سياق الآية هو الذي أفضى إلى تحصيل المعنيين وقبولهما وبذلك اتسع المعنى القرآني عند غياب هذه القرينة المخصصة القطعية .

٣- كثرة الموضوعات في السياق :

تعدّ كثرة الموضوعات في السياق عاملاً من عوامل التوسع في المعنى وذلك ؛ لأنّ دلالة السياق "ترشدُ إلى تبيين المجمل ، والقطع بعدم احتمال غير المراد، وتخصيص العام ، وتقييد المطلق ، وتنوع الدلالة ، وهو من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم فمن أهمله غلط في نظيره وغالط في مناظراته"(٢) .

إذن السياق هو الحاكم على المعاني قبولاً ورفضاً، وبسبب كثرة الموضوعات والمعاني المقبولة في السياق القرآني يتحصل الاتساع في المعنى ؛ لأنّ السياق "هو مجرى الكلام وتسلسله واتصال بعضه ببعض"(٣) أو "هو تتابع المعاني وانتظامها في

(١) ينظر : روح المعاني : ١٤ / ٨٥ .
(٢) البرهان في علوم القرآن : ٤٤٥ .
(٣) الجملة العربية والمعنى : ٥٦ .

سلك الألفاظ القرآنية لتبلغ غايتها الموضوعية في بيان المعنى المقصود من دون انقطاع أو انفصال"[1] .

ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى : ﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ الصف : ٣ ، ففي التعبير بـ (كبُر مقتاً) معانٍ هي :

١- العرب تستعمل (كَبِر) بكسر الباء في السنّ ، وبضم الباء تخصّهُ بالكِبْر المعنوي فيكون التعبير خبرياً ، أي : أخبر عن بغضه بفعل من أفعال السجايا الدالة على الملازمة والثبوت .

٢- يحتمل الفعل أنّه محولٌ إلى (فعُل) لقصد التعجب من بغض هذا الفعل إلى الله.

٣- يحتمل الفعل أنّه محولٌ إلى (فعُل) لقصد الذم لهذا الوصف .

٤- استعمل كلمة (المقت) دون البغض ، والمقت أشدُّ البغض وأبلغه .

٥- يحتمل تحويل الفاعل إلى تمييز لقصد المبالغة .

٦- يحتمل إضمار الفاعل وتفسيره بالتمييز لقصد الإيضاح بعد الإبهام وتحويل الخبر إلى إنشاء .

٧- وَصَفَ المقت بالكِبْرِ وزاده بغضاً بقوله : (عند الله) [2] .

فجعل هذا التعبير ممقوتاً على أبلغ صورة خبراً وإنشاءاً وتعجباً وذماً ومبالغةً وإيضاحاً بعد إبهام وذلك ؛ لأنّ هذا الأمر يدخل في دائرة الكذب والمسلم لا ينبغي له أن يكذب ، والملاحظ أنّ هذه الأوجه لا تنافي سياق الآية التي تسبقها وهي قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ أي : إنّ الله لا يمقتُ الذين آمنوا ، بل يحبّهم ولكنه يمقتُ هذا الوصف فنزّههم عن مقتِهِ في الآية التي بعدها إكراماً للمؤمن

---

(١) نظرية السياق القرآني : ١٥ .

(٢) ينظر : على طريق التفسير البياني : ١ / ٢٠٦ للوقوف على هذه المعاني .

بقوله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٌ مَّرۡصُوصٌ ﴾[1] . وكلّ هذه المعاني منسجمة مع ما قبل الآية وما بعدها .

٤- الظواهر اللغوية : ثَمّة ظواهر لغوية من مثل : المشترك اللفظي والأضداد والاختلاف اللهجي في العربية أسهمت في إبراز (التوسع في المعنى) وقد خصصتُ الفصل الثالث من هذه الرسالة لهذا الأمر ، وبإمكان القارئ الكريم الوقوف على تفصيلاته هناك [2] .

---

(١) ينظر : المصدر نفسه : ١ / ٢٠٧- ٢٠٨ .

(٣) ص ١٣١ وما بعدها .

الفصل الأول
التوسع في المستوى النحوي

المبحـــث الأول : الفعـــــــل والمصـــــــدر والتضميـــــــن
المبحث الثاني : التعلق وتعدد أوجه الإعراب وعود الضمير
المبحـــث الثالـــث : التـوســــــــــــع فــــي الأســــالـيــب :
أولاً : أُسلوب الحـــــذف
ثانياً : أُسلوب الاستثناء

الفصل الأول
التوسع في المستوى النحوي

سأتناولُ في هذا الفصل الكلام على التوسع في المعنى في التعبير القرآني ضمن المستوى النحوي ، وسأضعُ بين يدي البحث أربعة أمثلة لكل فقرة وأُشير في الهامش إلى الأمثلة الأخرى في مواطن ورودِهَا في (أنوار التنزيل وأسرار التأويل)، وعلى وفق المباحث الآتية :

المبحث الأول
الفعل والمصدر والتضمين

أولاً : الفعل :

قد يؤدي الفعل إلى التوسع في المعنى وذلك باحتمالِهِ أكثر من وجه ومن الأمثلة التي جاءتْ عند البيضاوي :

١- قال تعالى :﴿ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾البقرة : ٢٠

قال البيضاوي تعليقاً على الآية الكريمة : " أضاء إما متعدٍ والمفعول محذوف بمعنى : كلما نوَّر لهم ممشىً أخذوه ، أو لازم بمعنى : كلما لَمَعَ لهم مشوا في مطرح نوره "(١) ، وذكر الفراء أنّ للفعل (أضاء) لغتين ؛ إذ قال : " فيه لغتان : يقال : أضاء القمرُ ، وضاء القمرُ ، فمن قال : ضاء القمرُ ، قال : يضوء ضُوءاً "(٢) بضم الضاد وكسرها ، وقال الزمخشري : " وأضاء إمّا متعدٍ بمعنى : كلما نوّر لهم ممشىً ومسلكاً أخذوه والمفعول محذوف ، وإمّا غير متعدٍ بمعنى : كلما لَمَعَ

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٣٨/١ .

(٢) معاني القرآن : ١٨/١ .

لهم (مشوا) في مطرح نوره ومُلقى ضوئه ، ويعضدهُ قراءةُ ابن أبي عبلة[1] : كلما ضاء لهم "[2] .

ضاء السراجُ يضوءُ ، وأضاء يضيءُ ، وضاء الشيءُ يضوءُ ضَوءاً وضُوءاً ، ويقال : ضاءت وأضاءت كلاهما بمعنىً[3] ، فإن كان (أضاء) متعدياً فالتقدير : كلما أضاء لهم البرقُ الطريقَ ، وعلى هذا يحتمل عود الضمير في (فيه) على المفعول المحذوف وهو (الطريق) ، ويحتمل أن يعود الضمير على (البرق) ، أي : مَشَوا في مطرح نوره ولمعانهِ ، شرط أن يكون الفعل (أضاء) لازماً ، أي : كلما لَمَعَ البرقُ مَشَوا في نوره[4] .

وذكر الآلوسي أنّ في مصحف ابن مسعود (ت٣٢هـ) بدلاً من (مشوا فيه) مَضَوا فيه ، وفيه إشارة إلى ضعف قواهم لمزيد خوفهم ودهشتهم فهو سبحانه لم يأتِ بما يدلّ على السرعة ، وفي حذف مفعول (أضاء) إشارةٌ إلى أنّهم لفرط الحَيْرة كانوا يخبطون خبطَ عشواء ويمشون كلّ ممشىً [5] .

وتوسُّعُ المعنى في الآية الكريمة مستبانٌ من جانبين :

الأول : حمل الفعل (أضاء) على التعدي واللزوم .

والآخر : جواز عود الضمير في قوله تعالى : (فيه) على البرق وعلى الطريق والله أعلم .

---

(١) ينظر : شواذ القراءات : ٥٤ ، ومعجم القراءات : ٥٨/١ .

(٢) الكشاف : ٨٢/١ ، وينظر : التفسير الكبير : ٨٨/٢ .

(٣) ينظر : لسان العرب (ضوأ) .

(٤) ينظر : البحر المحيط : ٢٢٨/١ ، والدر المصون في علوم الكتاب المكنون : ١٨٠/١ .

(٥) ينظر : روح المعاني : ١٧٦/١ .

٢- قال تعالى : ﴿ وَأَشْهِدُوٓا۟ إِذَا تَبَايَعْتُمْ ۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ۚ وَإِن تَفْعَلُوا۟ فَإِنَّهُۥ فُسُوقٌۢ بِكُمْ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ البقرة: ٢٨٢.

ذكر البيضاوي أن الفعل (يُضارَّ) يحتمل البناء للفاعل والبناء للمفعول[١] . وأصل الكلمة (ولا يُضارِرْ كاتبٌ ولا شهيد) فأدغمت الراء في الراء وحرّكت إلى الفتح وموضعها جزمٌ ؛ لأنَّ الفتح أخفُّ الحركات ، وقيل : (ولا يُضارَّ) أي : ولا يُضارَرْ على وجه ما لم يُسمَّ فاعلُهُ ، أي : ولا يضارِرْهما مَنْ استكتب هذا أو استشهد هذا ، وهو أولى بالصواب ؛ لأنّ الخطاب من مبتدأ الآية إلى آخرها على وجه : افعلوا أو لا تفعلوا ، ولو كان الكاتبُ والشهيد هما المنهيينِ عن الضِّرارِ لقيل: وإن يفعلا فإنَّه فسوقٌ بهما ؛ لأنهما اثنان وتوجيه الكلام إلى ما كان نظيراً لما في سياق الآية ، أولى من توجيههِ إلى ما كان مُنعدلاً عنهُ[٢] .

ويرى الزجاج أنَّ البناء للفاعل في (لا يُضارِرْ) أبين لقولهِ تعالى : (وإنْ تفعلوا فإنه فسوقٌ بكم) ؛ لأنّ الفاسق أشبه بغير العدل وبمن حرَّف الكتاب منه بالذي دعا شاهداً ليشهد ، ودعا كاتباً ليكتب وهو مشغول فليس بفاسق ، ولكن يسمى من كذب في الشهادة ومن حرَّف الكتاب فاسقاً[٣] .

وذهب الراغب الأصفهاني إلى جواز أنْ يكونَ مسنداً إلى الفاعل ، أي : لا يُضارِرْ . وأن يكون مسنداً إلى المفعول ، أي : لا يُضارَرْ بأن يُشغلَ عن صنعتِهِ ومعاشِهِ باستدعاء شهادتِهِ[٤] .

---

(١) ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ١/١٥٠ .

(٢) ينظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ٥/١١٣-١١٨ .

(٣) ينظر : معاني القرآن وإعرابه : ١/٣٦٦ ، وإعراب القرآن للنحاس : ١/٣٤٧ ، والزاهر في غريب ألفاظ الشافعي : ٤٢٣ .

(٤) ينظر : المفردات في غريب القرآن (ضرَّ) : ٢٩٧ ، ومعالم التنزيل : ١/٣٥٢ ، ولسان العرب (ضرر) .

أمَّا الآلوسي فقد أنكر أنْ تحمل الصيغة على البناء للفاعل والمفعول فبعد أنْ ذكرهما قال : "وحمل بعضُهُم الصيغة على المعنيين وليس بشيءٍ كما لا يخفى"(١) .

والذي يبدو أن هذه الصيغة "تحتمل أن يكون الكاتب والشهيد مصدراً للإضرار ، أو أن يكون المكتوب له والمشهود له مَصدراً للإضرار ؛ لأنّ يضارَّ يحتمل البناء للمعلوم وللمجهول ، ولعل اختيار هذه المادة هنا مقصود ، لاحتمالها حكمين ، ليكون الكلام موجهاً فيُحمل على كلا معنييهِ لعدم تنافيهما ، وهذا من وجه الإعجاز"(٢) ، ولو أراد معنىً واحداً منهما لفكَّ الإدغام كقوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ الأنفال : ١٣ ، إلا أنَّهُ أدغم ليجمع المعنيين ، أمَّا القول بأنَّ بناء الفعل للفاعل أصوب فمردود ؛ لأنَّ القرآن الكريم لو أرادَ ذلك لفكَّ الإدغام وقال : ولا يضارِرْهما أحدٌ ، وليس هذا بعزيزٍ على التعبير بيْدَ أنّ الإيجاز في الصيغة وإرادة المعنيين هما المقصودان حقيقةً وهذا مظنة التوسع في المعنى إذ الأمران مرادان ههنا (اسم الفاعل واسم المفعول) والله اعلم .

٣- قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُواْ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴾ سبأ : ١٤

قال البيضاوي تعليقاً على قوله تعالى : (تبينت) : "علمت الجن بعد التباس الأمر عليهم (أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين) أنهم لو كانوا يعلمون الغيب كما يزعمون لعلموا موتَهُ حينما وقع فلم يلبثوا حولاً في تسخيره إلى أن خرَّ ، أو ظهرت الجن وأن بما في حيزهِ بدلٌ منه ، أي : ظهر أن الجنّ لو كانوا

---

(١) روح المعاني : ٦١/٣ .

(٢) التحرير والتنوير : ١١٧/٣ ، وينظر : الجملة العربية والمعنى : ١٥١ .

يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب"[١] ذُكِر أنّ العصا لمّا أكلتها الدابة خرَّ سليمان (عليه السلام) وكان الناس يرون أنّ الشياطين تعلم السرَّ فلما خرَّ تبين أمرُ الجن للإنس أنهم لا يعلمون الغيب ولو علموهُ ما عَمِلوا بين يديه وهو ميّت[٢] . فـ(تبينت) أي : ظهر أمرُها ، ويجوز أن يكون بمعنى : علمت وظهر لها العجز فكانت تسترق السمع وتلبس بذلك على الناس أنها تعلم الغيب فحينما خرَّ زال الشكُ في أمرها كأنها أقرتْ بالعجز[٣] .

بانَ الشيءُ يبينُ ومبين : اتَّضح ، والبيانُ : الكشف عن الشيء ، وفلانٌ أبينُ من فلانٍ ، أي : أفصحُ وأوضح كلاماً[٤] . و(أنْ) وما بعدها في محل رفع والمعنى: تبيَّن وانكشف وظهر أمرُهُم ، وقد تكون (أن) في موضع النصب ، والمعنى : علمت وأيقنتِ الجنُ أن لو كانوا يعلمون[٥] . فإن كان (تبيّن) بمعنى (بانَ) فكأنّه قال : افتُضِحت الجنُّ ، أي : للإنس ، وإن كان بمعنى (عَلِمَ) فالمعنى : تحقق جمهورهم والفعلةُ منهم والخدمة[٦] . و"تبيَّن يأتي لازماً ومتعدياً ، فإذا جعلتَهُ لازماً فالتقدير : فلما خرَّ ظهر جهلُ الجنّ أن لو كانوا يعلمون ، ومحل (أن لو) رفعٌ بدلٌ من (الفاء)... وإذا جعلتَهُ متعدياً فالمعنى : علمت الجن و(أن لو) في محل نصب"[٧] وهذا "موجودٌ في كلام العرب قال الشاعر[٨] :

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٨٤٧/٢ .

(٢) ينظر : معاني القرآن للفراء : ٣٥٧/٢ ، ومحاسن التأويل : ٤٩٤٤/١٤ .

(٣) ينظر : غريب القرآن لابن قتيبة : ٣٥٥ .

(٤) ينظر : مجمل اللغة (بين) : ١٤١/١ ، والأفعال لابن القطاع : ٩٩/١ .

(٥) ينظر : الكشف والبيان : ٨١/٨ ، ومعالم التنزيل : ٣٩٢/٦ .

(٦) ينظر : المحرر الوجيز : ٤١٢/٤ .

(٧) غرائب التفسير وعجائب التأويل : ٩٣٠/٢ .

(٨) هو أنيف بن زبان النبهاني الطائي ، والبيت في الكامل في اللغة والأدب : ٧٩/١ ، وينظر : أوضح المسالك : ٣٨٦/٤ . والقماءة : الذلة والصغر ، ينظر : تاج العروس (قمأ) ، وطيالها : جمع طويل وأصله (طِوَال) ، ينظر : المنجد في اللغة (طال) : ٤٧٦ .

تبيَّن لي أنَّ القماءةَ ذلَّةٌ وأن أعزاءَ الرجالِ طيالُها

... أي فتبيني ذلك ، أي : اعلميهِ"[١] قال ابن هشام الأنصاري تعليقاً على هذه الآية الكريمة : "إنَّ فيه حذف مضافين ، والمعنى : عَلِمت ضعفاء الجن أن لو كان رؤساؤهم ، وهذا معنى حسن إلا أن فيه دعوى حذف مضافين لم يظهر الدليل عليهما والأولى أنَّ تبيَّن بمعنى وَضُحَ وأنْ وصلتها بدل اشتمال من الجنّ ، أي : وضح للناس أنّ الجنّ لو كانوا إلخ"[٢] أما إن كان (تبين) بمعنى : عَلِمَ فالمراد بالجن ضعفاؤهم فهُم علموا أنّ رؤساءهم لو كانوا يعلمون الغيب كما توهموا وأوهموهم ذلك ما التبس عليهم الأمر ، أو المراد كبارهم وهم وإن كانوا عالمين قبل ذلك لكن أُريد التهكم بهم كقولك للمبطل إذا أدحضتَ حجتَهُ : هل تبينتَ أنك مبطلٌ ؟ وقد كان متبيناً[٣] . "ولا حاجة على ما قُرر إلى اعتبار مضاف مقدر هو فاعل تبين في الحقيقة إلا أنه بعد حذفِهِ أقيم المضاف إليه مُقَامَهُ وأُسند إليه الفعل ، ثم جُعل (أن لو كانوا) إلخ بدلاً منهُ بدل كل من كل والأصل : تبين أمر الجن أن لو كانوا إلخ"[٤] ووجه التوسع ظاهرٌ في الفعل (تبين) فهو بمعنى : عَلِمَ فيكون متعدياً ، وبمعنى : ظهر فيكون لازماً والله أعلم .

---

(١) البحر المحيط : ٢٥٧/٧ ، وينظر : الدر المصون في علوم الكتاب المكنون : ١٦٧/٩ ، وحاشية الشيخ زاده على تفسير البيضاوي : ٦٠٦/٣ .

(٢) مغني اللبيب : ٢١٠/٢ .

(٣) ينظر : حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي : ١٩٥/٧ .

(٤) روح المعاني : ١٢٢/٢٢ .

٤- قال تعالى : ﴿ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴾ الواقعة : ١٩ .

ذكر البيضاوي للفعل (أنزفَ) في الآية الكريمة دلالتين : الأولى : لا تنزف عقولُهُم ، والأُخرى : لا ينفدُ شرابُهُم[١] . قال الفراء في تفسير قولِهِ تعالى : ﴿ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴾ الصافات : ٤٧ : "وله – أي ينزفون – معنيان : يقال : قد أنزفَ الرجلُ : إذا فَنِيت خمرُهُ ، وأنزفَ : إذا ذهبَ عقلُهُ"[٢] .

وقال الطبري (ت٣١٠هـ) في آية الصافات أيضاً : "العرب تقول : قد نُزِفَ الرجلُ فهو منزوفٌ : إذا ذهبَ عقلُهُ من السُّكر ، وأنزفَ فهو مُنْزِفٌ ، محكيةٌ عنهم اللغتان كلتاهما ، في ذهاب العقل من السكر ، وأمّا إذا فَنِيتْ خمرُ القوم فإني لم أسمع فيه إلا أنزف القومُ بالألف ومن الإنزاف بمعنى : ذهاب العقل من السكر قول الأُبَيْرد[٣] .

لَعمري لئن أنزفتُمُ أو صحوتُمُ لبئسَ النَّدامى كنتُمُ آل أبجرا "[٤]

وتأويل الآية "لا ينالهم عن شربها ما ينال أهل الدنيا من الصُّداع ، (ولا ينزفون) لا يسكرون ، والنزيف السكران ، وإنما قيل له نزيف ومنزوف ؛ لأنّه نُزِف عقلُهُ"[٥] والأصل في (نزف) : نفاد الشيء وانقطاعُهُ ، ومنه قولهم : أنزفوا ، أي : نَزَفَ ماءُ بئرهم ، وأنزفتُ الشيء أبلغ من نَزَفْتُهُ[٦] ، بمعنى : أنّ أفعلَ أبلغ من فَعَل في هذا السياق ، وليس معناهما متطابقاً ، وأما الجواليقي (ت٥٤٠هـ) فهو يرى أنّ (أنزفَ

(١) ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ١٠٣٩/٢ .
(٢) معاني القرآن : ٣٨٥/٢ .
(٣) البيت في الأغاني : ١٨٤/١٣ ، وينظر : لسان العرب (نزف) ، وتاج العروس (نزف) .
(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ٥٣٦/١٩-٥٣٧ .
(٥) معاني القرآن وإعرابه : ١١٠/٥ .
(٦) ينظر : مقاييس اللغة (نزف) : ٨٩٤ ، والمفردات في غريب القرآن : (نزف) : ٤٩٠ .

ونزفَ) معناهما واحد[١] ، إلا أنّه أعطى الحكم العام في اللغة في كون (أفعل وفعل) بمعنى واحدٍ ولم يقصد هذا النص القرآني . ومع كثرة ودوام الشرب فهم لا يسكرون ، وعدم السكر بنفاد الشراب ليس بعجبٍ لكنَّ عدم سكرِهِم مع أنَّهم مستديمون للشراب عجيبٌ[٢] . وفي قولهِ تعالى : (لا يصدعون عنها ولا يُنزِفون) نفى بالفعلين جميع عيوب الخمر ، وجمع بقولهِ : (ولا ينزفون) عدم العقل، وذهاب المال ، ونفاد الشراب[٣] . "والنفاد في الآية إمّا للعقل أو للشراب فإن نفاد الشراب مخلٌ بنشاط أهل المجلس"[٤] ولا يخفى ما في الفعل (يُنزِفون) من الدلالة على التوسع في المعنى الذي اقتضاهُ هذا الفعل من عدم السكر بذهاب عقول المُنعمين خلافاً لخمر الدنيا التي تذهب بعقول شاربيها فضلاً عن عدم نفاد شرابِهِم مما يدلُّ على كمال التنعيم من كلّ جانبٍ ، ولو أُبدل هذا الفعل بأيِّ فعلٍ آخر لاختلَّ التركيب زيادةً على انتفاء معنى التوسع في هذا التعبير القرآني حينئذٍ[٥] .

ثانياً : المصدر :

ومن أمثلة التوسع في المصادر :

١- قال تعالى : ﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴾ النساء : ١٦٠ .

---

(١) ينظر : ما جاء على فعلت وأفعلت بمعنى واحد : ٧١ .

(٢) ينظر : التفسير الكبير : ١٥٣/٢٩ .

(٣) ينظر : البرهان في علوم القرآن : ٧٦٦ ، والإتقان في علوم القرآن : ١٤٠/٣ .

(٤) حاشية الشيخ زاده على تفسير البيضاوي : ٣٤٣/٤ .

(٥) للمزيد : ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ١٦١/١ ، ٩٢٨/٢ .

قال البيضاوي تعليقاً على قولهِ تعالى (كثيراً) : "ناساً كثيراً أو صدّاً كثيراً"[١]. فيحتمل أن يريد : صدَّهم في ذاتِهِم ، أي : لأنفسِهِم ، ويحتمل أن يريد : صدَّهم لِغَيْرِهِم[٢] ، ويحتمل وجهاً ثالثاً لم يُشر إليه البيضاوي وهو صدُّهُم : زماناً كثيراً[٣] . ورجح السمين الحلبي أن يكون (كثيراً) مفعولاً به من بين هذه الأوجه ، قال : "أظهرنا : أنّه مفعولٌ بهِ ، أي : بصدِّهم ناساً أو فريقاً أو جمعاً كثيراً ، وقيل : نصبُهُ على المصدرية أي : صدّاً كثيراً ، وقيل : على ظرفية الزمان ، أي : زماناً كثيراً ، والأول أوْلى ؛ لأنّ المصادر بعدها ناصبة لمفاعيلها ، فيجري البابُ على سننٍ واحدٍ"[٤] "و(صدَّ) يجوز أن يكون قاصراً فيكون (كثيراً) صفة مصدر محذوف ، وأن يكون متعدياً فيكون مفعولاً به ، أي : وصدّهم كثيراً من الناس بالإضلال عن الطريق، فمُنِعوا مستلذات تلك المآكل بما منعوا أنفسَهم وغيرَهم من لذاذة الإيمان"[٥] "يقال : صددتُ فلاناً عن أمرِهِ أصدُّهُ صدّاً . فصدَّ يصُدُّ ، يستوي فيه لفظ الواقع واللازم"[٦] والأظهر أنّ هذهِ الأوجه مرادة جميعاً ، والتعبير القرآني استعمل المصدر (وبصدِّهم) من دون أن يحددَ فعلَهُ وذلك لإرادة التوسع في المعنى ، فإن كان الفعل لازماً كان (كثيراً) صفة لمصدر محذوف يحتمل أن يكون : صدّاً كثيراً أو زمناً كثيراً ، خلافاً لترجيح أن يكون (كثيراً) مفعولاً بهِ ، ويحتمل أن يكون الفعل متعدياً ، فيكون (كثيراً) حينئذٍ مفعولاً بهِ لـ(صدَّ) المتعدي ، أي : ناساً كثيراً ، ولا توجد قرينة داعية إلى تحديد وجه دون آخر ،

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٢٥١/١ .

(٢) ينظر : المحرر الوجيز : ١٣٥/٢ ، وحاشية الشهاب على تفسير البيضاوي : ٢٠٠/٣ .

(٣) ينظر : التبيان في إعراب القرآن : ٣٠٨/١ ، والبحر المحيط : ٤١١/٣ .

(٤) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون : ١٥١/٤ ، وينظر : اللباب في علوم الكتاب : ١٢١/٧ .

(٥) نظم الدرر : ٣٦٦/٢ ، وينظر : فتح القدير : ٨٤٥/١ .

(٦) تاج العروس (صدد) .

والسياق القرآني مُحتملٌ هذه المعاني كلّها ، وعدم ذكر وجه من هذهِ الأوجه أثرى المعنى القرآني وأطلقهُ والله أعلم .

٢- قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ المائدة : ١٢

قال البيضاوي بشأن قوله تعالى (قرضاً) في الآية الكريمة : "قرضاً : يحتمل المصدر والمفعول"[(١)] "وذلك قولك : اجتوَرُوا تجاوُراً ، وتجاورُوا اجْتواراً ؛ لأنَّ معنى : اجتَوروا وتجاوروا واحد ، ومثل ذلك : انكسَرَ كَسْراً ، وكُسِر انكساراً ؛ لأنّ معنى كُسِر وانكسر واحد ، وقال الله تبارك وتعالى : ﴿ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴾ نوح : ١٧ ؛ لأنه إذا قال : أنبتَهُ فكأنّه قال : قد نَبَتَ ، وقال عزَّ وجلّ : ﴿ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴾ المزمل : ٨ ؛ لأنه إذا قال : تَبَتَّلْ فكأنّهُ قال : بَتِّلْ"[(٢)] . فلو قيل: كيف يقال : (وأقرضتم اللهَ قرضاً حسناً) ولم يقل : إقراضاً حسناً ، مع أنّ مصدر (أقرض) الإقراض ؟ قيل : لو قال ذلك كان صواباً ، ولكنّ قولَه : (قرضاً حسناً) أخرج مصدراً من معناهُ لا مِنْ لفظه ففي قولهِ : أقرض معنى (قرض) فكان معنى الكلام : وقرضتُم اللهَ قرضاً حسناً[(٣)] .

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٢٦١/١ .

(٢) الكتاب : ٨١/٤ ، وينظر : الأصول في النحو : ١٣٤/٣ ، وشرح كتاب سيبويه للسيرافي: ٤٥٦/٤-٤٥٧ .

(٣) ينظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ٢٤٥/٨ .

"قال الفراء : ولو قال : وأقرضتم اللهَ إقراضاً حسناً لكان صواباًَ أيضاً إلاّ أنهُ قد يقام الاسم مقام المصدر ، ومثله قولُهُ : ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ ﴾ آل عمران : ٣٧ ، ولم يقل : بتقبلٍ ، وقولُهُ : ﴿ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا ﴾ آل عمران: ٣٧، ولم يقل : إنباتاً"(١) .

و"(قرضاً) يجوز أنْ يكونَ مصدراً محذوف الزوائد ، والعامل فيه أقرضتُم أي : إقراضاً ، ويجوز أن يكونَ القَرضُ بمعنى المُقْرض ، فيكون مفعولاً به"(٢) . إذن (قرضاً) يحتمل أن يكون اسم مصدر على غرار (نباتاً) و(قبولٍ) ، ويحتمل المفعولية للفعل (قرضَ) وهو واضح ومستبانٌ بشكل جليّ .

واسم المصدر (قرضاً) منصوب بفعل مضمر يدلُّ عليه الفعل الظاهر كقوله تعالى: (والله أنبتكم من الأرض نباتاً) ، أي : ونبتُّم ، وساغ إضمارُهُ ؛ لأنهم إذا أُنبتوا فقد نبتوا ، ولا يجوز أن ينصب بالظاهر وهو (أقرض) إذا أُريد به المصدرية؛ لأنّ الغرض من المصدر تأكيد الفعل الذي نصبه أو تبيين معناهُ ، وإذا كان المصدر مغايراً لمعنى الفعل الظاهر لم يحصل بذلك الغرض المقصود ؛ لأنّ (النبات) ليس بمعنى (الإنبات) وإذا لم يكن بمعناهُ فكيف يؤكدُهُ أو يبينُهُ ؟(٣) .

"فإنّه جاء بالفعل ولم يأتِ بمصدرِهِ وهو الإقراض بل جاء بمصدر الفعل الثلاثي وهو القرض ، والقرض يحتمل معنيين : معنى الإقراض فيكون مفعولاً مطلقاً ويحتمل ما يقرض من المال فيكون مفعولاً به ، والمعنيان مرادان وهما الإقراض الحسن والمال الحسن"(٤) . وهنا مكمن التوسع في التعبير القرآني في سياق هذه الآية الكريمة .

---

(١) التفسير الكبير : ١٩٠/١١ . ولم أعثر على كلام الفراء في كتابه (معاني القرآن) .

(٢) التبيان في إعراب القرآن : ٣٢٠/١ .

(٣) ينظر : البرهان في علوم القرآن : ٥٥٥ .

(٤) الجملة العربية والمعنى : ١٥٢ .

٣- قال تعالى : ﴿ وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُواْ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴾ الكهف : ٥٣

قال البيضاوي تعليقاً على لفظة (مصرفاً)في الآية الكريمة : "انصرافاً ، أو مكاناً ينصرفون إليه"[١] بمعنى : أنّ (مصرفاً) محتملٌ لأمرين : أحدهما : المصدرية (انصرافاً) ، والآخر : الظرفية المكانية (مُنْصَرَفاً) . ذكر سيبويهِ أنَّ : ما كانَ من فَعَل يَفْعِلُ ، فإنّ موضع الفعل (مَفْعِلٌ) نحو : هذا مَجْلِسُنا ، كأنّهم بنوهُ على يَفْعِلُ بكسر العين كما كسرت في يَفْعِل ، وبناء المصدر منه على مَفْعَلٍ نحو : إن في ألف درهمٍ لمَضْرباً ، وقد يجيء المَفْعِلُ يراد به الحينُ ، فإذا كان من فَعَل يَفْعِلُ بُني على مَفْعِلٍ فيُجعل الحينُ كالمكان نحو : أتت الناقةُ على مَنْتِجِها ، أي الحين الذي فيه النِّتاج ، وربما بنوا المصدر على المَفْعِل كما بَنَوا المكان عليه إلا أنّ تفسير الباب وجملته على القياس ، كالمرجِع في قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ﴾ الأنعام : ١٦٤، أي : رجوعُكُم[٢] . قال العكبري في قولِهِ تعالى : (مصرفاً) : "أي : انصرافاً ، ويجوز أن يكونَ مكاناً ، أي : لم يجدوا مكاناً ينصرفُ إليه عنها"[٣] . وقد ردَّ السمين الحلبي على العكبري قائلاً : "وهذا سهوٌ فإنّه جعل المَفْعِل بكسر العين مصدراً لما مضارعُهُ يَفعِل بالكسر من الصحيح وقد نصّوا على أن اسم مصدر هذا النوع مفتوح العين ، واسم زمانِه ومكانِه مكسوراها نحو : المَضْرَب والمَضْرِب ، وقرأ زيدُ بن علي[٤] (رضي الله عنه) (مَصْرَفاً) بفتح الراء جعله مصدراً ؛ لأنّه مكسور العين في المضارع فهو كالمَضْرَب ،

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٦٠٩/٢ .

(٢) ينظر : الكتاب : ٨٧/٤-٨٨ ، والأفعال لابن القطاع : ١٥/١ .

(٣) التبيان في إعراب القرآن : ١٥٢/٢ .

(٤) ينظر : شواذ القراءات : ٢٩٠ ، وأجازها أبو معاذ ، ينظر : البحر المحيط : ١٣١/٦ .

بمعنى : الضرب ، وليت أبا البقاء ذكر هذه القراءة ووجهها بما ذكرَهُ قبلُ"[١] ويحتمل أن يكون (مصرفاً) اسم زمان[٢]، وهذا الوجه أغفلهُ البيضاوي ولم يُشر إليه .

أما ذهاب العكبري ومن بعدِهِ البيضاوي إلى تأويل (مصرَفاً) بالمصدر ، فإنه وإن كان غيرَ مقيسٍ عند سيبويهِ ، إذ قياس ذلك عنده (المفعِل) بكسر العين كما المكان عنده كذلك نحو : المَجْلِس ، إلا أن بناء (المَفْعَل) بفتح العين واردٌ عن العرب مصدراً كما أنّ هذا البناء واردٌ عنهم مكاناً أيضاً ، أي : أنّ بناء (المَفْعِل) بكسر العين يعتقبان عليه (المصدر) و(المكان) وسبق أن أوردتُ كلامَهُ آنفاً في هذا الشأن وهو : ربما بنوا المصدر على المفعِل كما بنوا اسم المكان عليه ، وفي ضوء هذا الاستدلال فإنّ الباحث يوافق على هذا الكلام ويلتزمُهُ لأمرين :

أولهما : ورود هذا البناء (المفعَل) بفتح العين عن العرب ولا يضير أن يكون الأصل والقياس هو الكسر، والآخر : أنّه معضدٌ باستعمال القرآن الكريم إياهُ المتمثل بقراءة جمهور السبعة ما عدا عاصماً (ت١٢٧هـ) لقولهِ تعالى : ﴿إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُواْ﴾ المجادلة : ١١ ، إذ قرؤوها : (في المَجْلِسِ) بغير ألف[٣] فقوله : (مَصْرِفاً) يحتمل معنى المصدرية وهو حدث الانصراف ، والمكان الذي يُنصرفُ إليه ، وزمان الانصراف أيضاً ، فجاءَ التعبير بـ(مَصْرِفاً) لتوسيع دائرة المعنى القرآني وإرادة هذه الصيغ الصرفية والمعاني المترتبة عليها جميعها وهذا قائمٌ على مستندٍ لغوي يسوّغ الأوجه المذكورة كلّها .

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون : ٧/٥١٠-٥١١ ، وينظر : روح المعاني : ١٥/٢٩٩ .

(٢) ينظر : اللباب في علوم الكتاب : ١٢/٥١٣ .

(٣) ينظر : السبعة في القراءات : ٦٢٨ – ٦٢٩ .

٤- قال تعالى : ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ لقمان : ١٨

قال البيضاوي : "أي : فَرَحاً مصدر وقع موقع الحال ، أي : تمرح مرحاً ، أو لأجل المرح وهو البَطَر"[١] .

ذكر الأخفش الأوسط (ت ٢١٥هـ) في قولهِ تعالى : ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ﴾ الإسراء : ٣٧ ، أن القراءة[٢] بكسر الراء أحسن ، فـ(تمشي مَرِحاً) أحسن من (تمشي مَرَحاً) عنده[٣] . والمصدر إذا وقع موقع الحال ينوب عن اسم الفاعل كقولهم : قتلتُهُ صبراً ، أي : صابراً ، وجئتُهُ مشياً ، أي : ماشياً ، فالتقدير : أمشي مشياً ؛ لأنّ المجيء على حالات ، والمصدر دلَّ على فعلهِ من تلك الحال[٤] . فـ(مَرَحاً ، ومَرِحاً) في الجودة سواء إلا أن المصدر (مَرَحاً) أوكد في الاستعمال ، تقول : جاء زيدٌ رِكْضاً أوكد مِنْ : جاء زيدٌ راكضاً ؛ لأنَّ ركضاً يدلُّ على توكيد الفعل[٥] . ويحتمل أن يكون (مَرَحاً) مفعولاً له[٦] . "أو على حذف مضاف ، أي : ذا مرحٍ"[٧] . "ومجيء المصدر حالاً كمجيئِهِ صفة يراد منه المبالغة في الاتصاف ، وتأويله باسم الفاعل ، أي : لا تمشِ مارحاً ، أي : مشية المارح ، وهي المشية الدالة على كبرياء الماشي بتمايل وتبختر ، ويجوز أن يكون (مرحاً) مفعولاً مطلقاً مبيناً للفعل (تمشِ) ؛ لأنَّ للمشي

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٨١٩/٢ .

(٢) وهي قراءة يحيى بن يعمر ويعقوب . ينظر : مختصر في شواذ القراءات : ٨٠ ، وشواذ القراءات : ٢٨١ .

(٣) ينظر : معاني القرآن : ٤٢٤/٢ .

(٤) ينظر : المقتضب : ٢٣٤/٣ ، ومعاني النحو : ٢٤٨/٢ .

(٥) ينظر : معاني القرآن وإعرابُهُ : ٢٤٠/٣ .

(٦) ينظر : التبيان في إعراب القرآن : ١٢٨/٢ .

(٧) البحر المحيط : ٣٤/٦ ، وينظر : الدر المصون في علوم الكتاب المكنون : ٣٥٤/٧ .

أنواعاً ، منها : ما يدل على أنَّ صاحبَهُ ذو مرحٍ ، فإسناد المرح إلى المشي مجاز عقلي[1] ، والمشي مرحاً أن يكون في المشي شدة وَطْءٍ على الأرض وتطاول في بدن الماشي"[2][3] .

فالتعبير بـ(مَرَحاً) أظهر المعاني الآتية :

أولاً : إن القراءة بكسر الراء من (مَرِحاً) بمعنى اسم الفاعل ، أي : لا تمشِ في الأرضِ مارحاً .

ثانياً : (مَرَحاً) أبلغ في التوكيد من (مارحٍ ، ومَرِحٍ) ؛ لأنه من قبيل الوصف بالمصدر .

ثالثاً : يحتمل أن يكون (مَرَحاً) مفعولاً له ، أي : لا تمشِ في الأرض لأجل المرح والبَطَر .

رابعاً : يجوز أنْ يكون (مرحاً) مفعولاً مطلقاً مبيناً للفعل (تمشِ) .

خامساً : محتمل أن يكون على حذف مضاف ، أي : ذا مرحٍ .

سادساً : المجيء بالمصدر حالاً يرادُ منه المبالغة في الوصف ، كأنَّ الذات هو عين الفعل ، أي : تحوَّل الماشي إلى المرح نفسه ، ولم يبقَ فيه شيءٌ من عنصر الذات .

وكل هذه المعاني مرادة ويحتملها السياق فهو من قبيل إيجاز اللفظ وتكثيف المعنى وهو توسعٌ ظاهر بما لا يخفى[4] .

---

(١) ينظر : الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز : ٤٠/١ .

(٢) التحرير والتنوير : ١٠٣/١٥ .

(٣) أغلب أهل التفاسير ورد تفسيرهم لـ(مرحاً) في آية سورة الإسراء .

(٤) للمزيد : ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٢١٦/١ ، ٤٤٦/١ ، ٦١٢/٢ ، ٨٤٧/٢ .

ثالثاً : التضمين :

التضمين لغةً : هو كلُّ شيءٍ أُحْرِزَ أو جُعِل في وعاء شيءٍ آخر فقد ضُمِّنَهُ(1).

واصطلاحاً قال عنه ابن جني : "اعلم أنَّ الفعلَ إذا كان بمعنى فعل آخر ، وكان أحدهما يتعدى بحرف ، والآخر بآخر فإنَّ العرب قد تتسع فتوقع أحد الحرفين موقع صاحبه إيذاناً بأنّ هذا الفعل في معنى ذلك الآخر ؛ فلذلك جيءَ معه بالحرف المعتاد مع ما هو في معناه ، وذلك كقول الله – عزَّ اسمُهُ – : ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾ البقرة : ١٨٧ ، وأنت لا تقول : (رفثتُ إلى المرأة) وإنما تقول : (رفثتُ بها) ، أو (معها) ؛ لكنه لمَّا كان الرفثُ هنا في معنى الإفضاء ، وكنت تعدي (أفضيتُ) بـ(إلى) كقولك : (أفضيتُ إلى المرأة) جئتَ بـ(إلى) مع الرفث ، إيذاناً وإشعاراً أنّهُ بمعناهُ"(2) .

ومنه قولُهُ تعالى : ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ الكهف : ٢٨ ، يقال : عداهُ إذا جاوزهُ ، وعُدّي الفعل (عدا) بـ(عن) لتضمينِهِ معنى : نَبَا وعلا ، نحو : نَبَتْ عنه عينُهُ وعلتْ : إذا اقتحمتْهُ ولم تَعْلَقْ بهِ ، والغرض منه : إعطاء مجموع معنيين ، وذلك أقوى من إعطاء معنى واحدٍ ، فمعنى الآية : ولا تقتحمهم عيناك مجاوزتين إلى غيرهم(3) .

"والتضمين : إشراب اللفظ معنى لفظ آخر ، وإعطاؤهُ حكمهُ لتصير الكلمة تؤدي مؤدى كلمتين نحو : ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ﴾ النور : ٦٣ ، أي :

---

(1) ينظر : العين (ضمن) : ٢٦/٣ ، ومجمل اللغة (ضمن) : ٥٦٦/٢ .

(2) الخصائص : ٢٩٥/٢ ، وينظر : معاني النحو : ١١/٣ .

(3) ينظر : الكشاف : ٦٢/٣-٦٣ ، والجملة العربية والمعنى : ١٦٠-١٦١ .

يخرجون"[١] فيُكْسَبُ بالتضمين معنيان : معنى الفعل الأول ، ومعنى الفعل الثاني[٢].

ويعدُّ التضمينُ صورةً من صور الاتساع في المعنى ومن أمثلتِهِ عند البيضاوي :

١- قال تعالى : ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ التوبة : ١٠٤

قال البيضاوي : "إذا صحت – أي التوبة – وتعديتُهُ بـ(عن) لتضمنهِ معنى التجاوز"[٣] . قال ابن عطية الأندلسي (ت٥٤٦هـ) : "(عن عباده) هي بمعنى (مِنْ)، وكثيراً ما يتوصل في موضع واحد بهذه وهذه ، تقول : لا صدقةَ إلا عن غنىً ومن غنىً ، وفَعَلَ فلانٌ ذلك من أشرِهِ وبطرِهِ وعن أشرِهِ وبطرِهِ"[٤] ، بَيْدَ أنَّ (عن) تفيد البعد نحو : جَلَس فلان عن يمين الأمير ، أي : في ذلك الجانب مع البعد ، فالتائب صار مُبعداً عن قبول التوبة بسبب ذلك الذنب فيحصل انكسار العبد الذي طردَه مولاهُ . فـ(عن) تنبه على أنه لا بُدَّ من حصول هذا المعنى للتائب[٥] .

"والذي يظهر من موضوعِ عَنْ أَنها للمجاوزة ، فإن قلت : أخذتُ العلم عن زيدٍ ، فمعناهُ : أنه جاوز إليك ، وإذا قلت : من زيدٍ دلَّ على ابتداء الغاية ، وأنّه ابتداء أخذك إياهُ من زيد ، وعن أبلغ لظهور الانتقال معه ، ولا يظهر مع مِنْ ، وكأنّهم لما جاوزت توبتُهُم عنهم إلى الله اتصف هو تعالى بالتوبة عليهم"[٦] .

ويبدو أنّ (مِنْ ، وعَنْ) ليستا متقاربتين ، فـ(مِنْ) للابتداء عموماً سواءٌ امتدّ الحدثُ أم لا ، وليس لابتداء الغاية ؛ لأنّ الغاية بمعنى النهاية والمدى ، نحو :

---

(١) حاشية الصبان : ١٤٥/٢ .

(٢) ينظر : معاني النحو : ١٢/٣ .

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٤٢١/١ .

(٤) المحرر الوجيز : ٧٩/٣ ، وينظر : حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي : ٣٦١/٤ .

(٥) ينظر : التفسير الكبير : ١٩٠/١٦ .

(٦) البحر المحيط : ١٠٠/٥ ، وينظر : اللباب في علوم الكتاب : ١٩٧/١٠ .

اشتريتُ الكتاب من خالدٍ ، فـ(خالد) مبتدأ الشراء ، وهو ليس حدثاً ممتداً[1] . و(عن) للمجاوزة والبعد واستعمالُهُ مع الفعل (يقبل) وسَّعَ المعنى القرآني ؛ لأنّ (يقبل) يستعمل معه (مِنْ) ولكنّه عَدَلَ إلى (عن) للتضمين الذي أفضى إلى جمع معنيي القبول والمُجاوزة بأوجزِ عبارة ، وكلاهما معنيان مرادان . والله أعلم .

٢- قال تعالى : ﴿ لَّا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ النور : ٦٣

قال البيضاوي : "يخالفون أمرَهُ بترك مقتضاهُ ، ويذهبون سمتاً – نهجاً – خلاف سمتِهِ ، وعن لتضمنِهِ معنى الإعراض ، أو يصدون عن أمرِهِ دون المؤمنين، مِنْ (خالفَهُ عن الأمر) : إذا صدَّ عنه دونَهُ"[2] .

وفي العربية أفعالٌ توصل بحروف الجر نحو : اخترتُ فلاناً من الرجال ، واستغفرُ اللهَ من ذلك ، وقد يحذف الحرف ويعمل الفعل كقول المتلمس[3] :

آليتَ حَبَّ العراقِ الدهرَ أطعمُهُ والحَبُّ يأكلُهُ في القريةِ السُّوسُ

يريد : على حبِّ العراق ، ونحو : نُبِّئتُ زيداً يقولُ ذاك ، أي : عن زيدٍ ، وليست (عن ، وعلى) هنا بمنزلة الباء في قولهِ تعالى : ﴿ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾ النساء:٧٩ ، أي : ليستا بزائدتين ؛ لأنَّ (عن ، وعلى) لا يفعل بهما ذلك[4] .

(١) ينظر : شرح الرضي على الكافية : ٢٦٣/٤ ، ومعاني النحو : ٦٥/٣ .
(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ١٣٣/٢ .
(٣) البيت في الأغاني : ٢٣٣/٢٤ ، وينظر : الجمل في النحو : ٩٦ ، والمخصص : ٢٤٤/٤ ، السوسُ : الدود ، ينظر : لسان العرب (سوس) .
(٤) ينظر : الكتاب : ٣٨/١ ، ومعاني القرآن للنحاس : ٨٢٠/٢ .

إلاَّ أنَّ أبا عبيدة يرى أنّ (عن) في هذه الآية زائدة[١] ، وتابعهُ الأخفش الأوسط في زيادتها ، أي : فليحذر الذين يخالفونَ أمرَهُ[٢] . "وعن في موضعها غير زائدة"[٣] ، "والزيادة خلاف الأصل"[٤] . فَعُدِّيَ (يخالفون) بـ(عن) لما في المخالفة من معنى التباعد ، وهو أبلغ من أنْ يتعدى بنفسِهِ نحو : خالف زيداً عن الأمر ، أي: صدَّهُ عنه ، والمفعول هنا محذوف ، أي : يخالفون المؤمنين ، ويصدونهم عن أمرِهِ، والمراد من حذف المفعول تقبيح حال المخالِف ، وتعظيم أمر المخالَف عنه فذَكَر الأهم ، وترك ما لا اهتمامَ بهِ[٥] . وبهذا اتسع معنى التعبير بكسبِ الفعلين (خالف ، وصدَّ) فهو خالف الأمرَ بنفسِهِ ، وصدَّ عنهُ غيرَهُ فأوجز في العبارة وتوسَّع في المعنى .

٣- قال تعالى : ﴿ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلۡمَلَإِ ٱلۡأَعۡلَىٰ وَيُقۡذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٖ ﴾ الصافات : ٨

قال البيضاوي عن علة تعدية (سَمِعَ) بـ(إلى) : "وتعدية السماع بإلى لتضمنِهِ معنى الإصغاء مبالغةً لنفيهِ وتهويلاً لما يمنعهم عنه"[٦] . وقرئ[٧] : (يَسْمعون) بتخفيف السين ، والأصل في (يسَّمَّعون) يتسمعون ، بمعنى : لا يتسمعون ، فأدغمت التاء في السين[٨] . والتسمع طلب السماع ، والمتعدي بنفسِهِ يفيد الإدراك والمتعدي

---

(١) ينظر : مجاز القرآن : ٢/٦٩ .

(٢) ينظر : النكت والعيون : ٤/١٢٩ ، ولم أقف على ما عُزي ههنا إلى الأخفش في كتابه (معاني القرآن) .

(٣) معاني القرآن للنحاس : ٢/٨٢٠ .

(٤) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون : ٨/٤٥٠ .

(٥) ينظر : روح المعاني : ١٨/٢٢٦ .

(٦) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٢/٨٧٨ .

(٧) حمزة والكسائي وعاصم بالتشديد ، والباقون بالتخفيف ، ينظر : الحجة للقراء السبعة : ٦/٥٢ ، وحجة القراءات : ٦٠٥ .

(٨) ينظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ١٩/٤٩٨-٤٩٩ .

بـ(إلى) يفيد الإصغاء مع الإدراك[1] . وضُمّن (سَمِعَ) معنى انتهى ، أو أصغى ، ومعنى الكلام : لا ينتهي سمعُهُم أو تسمُّعُهم أو إصغاؤهم إلى الملأ[2] .

والقراءة بالتشديد أبلغ في نفي الاستماع ؛ لأنّه إذا نفى عنهم التسمع بعدما حفظ منهم السماع نفى عنهم السماع بأولوية ، والتسمّع طلب السماع ، يقال : تسَّمَّع فسَمِعَ أو فلم يسمع ، وتسمَّع لا يتعدى إلا بـ (إلى) ، ويقال : سمعتُ فلاناً يُحدّثُ وسمعتُ حديثَهُ والمخفف يتعدى بـ(إلى) ، فإن قلت : ما الفرق بين : سمعتُ فلاناً يتحدّثُ ، وسمعتُ إليه يتحدّث ، وسَمِعتُ حديثَهُ وإلى حديثِهِ ؟ والجواب : إنّ المعدّى بنفسِهِ يفيد الإدراك ، والمعدّى بـ(إلى) يفيد الإصغاء مع الإدراك فالآية سواء قرئت بالتشديد أو التخفيف أبلغ في نفي السماع من قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴾ الشعراء : ٢١٢ ؛ لأنها على التقديرين تدلُّ على كونهم ممنوعين عن الإصغاء وهو طلب السماع فكونهم ممنوعين عن السمع أولى ، وفيها تهويل عظيم لما يمنعهم عنهُ[3] . "وحاصلُهُ : أنّه ليس المنفي هنا السماع المطلق حتى يلزم ما ظنّوهُ ؛ لأنَّه لما تعدى بإلى وتضمّن معنى الإصغاء صار المعنى : حفظناها من شياطين لا تنصت لما فيها إنصاتاً تاماً تضبط به ما تقولُهُ الملائكة ، ومآلهُ : حفظناها من شياطينَ مسترقةٍ للسمع"[4] والتضمين يشير إلى : "معنى ينتهون فيسمعون ، أي : لا يتركهم الرمي

---

(١) ينظر : الكشاف : ٣/٦٧٠-٦٧١ ، والبحر المحيط : ٣٣٨/٧ ، ومُغني اللبيب : ٣٤١/٢ .

(٢) ينظر : نظم الدرر : ١٩٦/١٦ .

(٣) ينظر : حاشية الشيخ زاده على تفسير البيضاوي : ٥٠/٤ ، وروح المعاني : ٦٩/٢٣-٧٠.

(٤) حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي : ٢٦١/٧ .

بالشهب منتهين إلى الملأ الأعلى انتهاء الطالب المكان المطلوب ... وذلك أبعد لهم من أن يسمعوا ؛ لأنهم لا ينتهون فلا يسمعون"[١].

ولا يخفى ما في التضمين من الجمع بين هذه المعاني القرآنية ، فالفعل (سَمِعَ) يتعدى بنفسِهِ ، إلا أنّه عُدِّي بـ(إلى) لإرادة معنى الإصغاء والانتهاء إلى جانب معنى المبالغة في التسمع وهذا من بديع الإيجاز ، وكل هذه المعاني مرادة مقصودة في سياقها والتوسع واضحةٌ ملامحُهُ في هذا التعبير البليغ والله أعلم .

٤- قال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ ﴾ المطففين : ٢

قال البيضاوي : "أي : إذا اكتالوا من الناس حقوقَهم يأخذونها وافيةً ، وإنما أبدل (على) بـ (مِنْ) للدلالة على أنّ اكتيالهم لِمَا لهم على الناس ، أو اكتيال يتحامل فيه عليهم"[٢] .

قال الفراء في المعاقبة بين (على ومِنْ) : "يريد : اكتالوا من الناس ، وهما تعتقبان : على ومِنْ في هذا الموضع ؛ لأنّه حقٌّ عليه ، فإذا قال : اكتلتُ عليك ، فكأنّه قال : أخذتُ ما عليك ، وإذا قال : اكتلتُ منك ، فهو كقولك : استوفيتُ منك"[٣] إلا أنّ الحرف (على) قد يستعمل في الأفعال الشاقّة المستثقلة نحو : قد سِرنا عشراً وبَقِيت علينا ليلتان ، وقد حفظتُ القرآنَ وبقيتْ عليَّ منه سورتان ، وقد صُمنا عشرين

---

(١) التحرير والتنوير : ٩٢/٢٣ .

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ١١٣٩/٢ .

(٣) معاني القرآن : ٢٤٦/٣ ، وينظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ١٨٦/٢٤ ، وحروف المعاني للزجاجي : ٢٣ .

من الشهر وبقي علينا عشر[١] . وأحسبُ أنّ عبارة البيضاوي (وإنّما أبدل على بمِنْ) غير صحيحة ، والصحيح أن يقال : أُبدل مِنْ بـ(على) ؛ لأنّ ما بعد (أبدل) هو المتروك[٢] . وقال المرادي (ت٧٤٩هـ) في مجيء (على) بمعنى (مِنْ) في هذه الآية : "قالَهُ بعض النحويين ، والبصريون يذهبون في هذا إلى التضمين ، أي : إذا حكموا على الناس في الكيل"[٣] و(بعض النحويين) يريد بهم : الكوفيين . و"الاكتيال أخذ الحقّ من الغير بالكيل كما أن الاتّزان أخذه منه بالوزن فهما أخذ الحقّ لنفسِهِ ، والكيل والوزن إعطاؤه لغيره بالمكيال والميزان فحقٌّ الاكتيال أن يتعدى بكلمة مِنْ حيث يقال : كِلتُ من فلان ، ولا يقال : كِلتُ على فلان إلا أنّ كلمة (على) أُقيمت في الآية مقامَ (مِنْ) لوجهين : الأول : الدلالة على أنّ المأخوذ الحق الثابت له على الناس فإنه إذا قيل : اكتلتُ منه لا يفهم منه إلا أنه أخذ منه بالكيل مع قطع النظر عن كون المأخوذ هل هو حق له عليه أو لا ؟ والثاني : الدلالة على أن اكتيالهم اكتيال فيه إضرار لهم وتحامل عليهم فإن كلمة (على) تدل على الإضرار والظلم يقال : تحامل عليه ، أي : ظلمه ، فقولهم : اكتال عليه يفهم منه أنه أَخَذَ منه أخذاً متضمناً للتحامل عليه والوجه الأول أظهر"[٤] .

أما المعاقبة بين (على ، ومن) فغير مرادة ؛ لأن (اكتال) عدّي بـ(على) لتضمينِهِ معنى التحامل ، أي : إلقاء المشقة على الغير وظلمِهِ . وشأن التاجر طلبهُ

(١) ينظر : الخصائص : ٢٦٣/٢ .

(٢) ينظر : لسان العرب (بدل) .

(٣) الجنى الداني في حروف المعاني : ٤٧٨ .

(٤) حاشية الشيخ زاده على تفسير البيضاوي : ٥٣٧/٤ ، وينظر : حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي : ٣٣٥/٨ .

توفير الربح وأنه مظّنة السَّعة ووجود المال بيدِهِ[١] . فيكون الاكتيال مُتحاملاً فيه على الناس مما يؤدي إلى المشقة والاستثقال عليهم في المكيل ، وهو ما يدلُّ عليه الحرف (على) الدال على فعل المشقة والثقل كقولهِ تعالى : ﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾ المزمل : ٥ ، وكل هذا لا يُلحظ في السياق إذا ما استُعمل الحرف (مِنْ) مع الفعل (اكتال) ، فالتضمين أكسب الآية معنيين : معنى اكتال منه ، ومعنى تحامل عليه وهما معنيان مرادان مقصودان ههنا ، وهما مناط التوسع في المعنى والله أعلم[٢] .

المبحث الثاني
التعلُّق وتعدد أوجه الإعراب وعود الضمير

أولاً : التعلق :

هو عبارة عن ارتباط شبه الجملة بالحدث الذي يدلُّ عليه الفعل أو ما يشبه الفعل – اسم الفاعل واسم المفعول وسائر المشتقات – وعلى هذا يكون الظرف والجارّ

(١) ينظر : التحرير والتنوير : ١٩٠/٣٠ .

(٢) للمزيد : ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ١١٥/١ ، ٣٥٢/١ ، ١٠٨٦/٢ ، ١٠٩٩/٢ .

والمجرور الواقعان بعد المبتدأ متعلقين بمحذوفٍ خبر وليسا هما الخبر نحو : زيدٌ في البيت ، أو زيدٌ أمامَ البيت ، أي : زيدٌ (كائنٌ أو مستقرٌ أو كان أو استقر) في البيت أو أمام البيت(١) .

"ويكون التعلق بما فيه صحة المعنى ... كقوله تعالى : ﴿ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيْءٍ ﴾ إبراهيم : ١٨ ، فـ(على شيء) مرتبط بـ(يقدرون) لا بـ(كسبوا) ؛ لأنَّ المعنى يكون على هذا : (كسبوا على شيء) وهو فاسد ، وإنما المعنى : لا يقدرون على شيء"(٢) .

ومن أمثلة التعلق في مضمار التوسع في المعنى :

١- قال تعالى : ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم ﴾ البقرة : ١٠٩

جوَّز البيضاوي أن يتعلق الجارّ ومجرورُهُ (من عند أنفسهم) بـ(ودَّ) ، أي : تمنّوا ذلك من عند أنفسهم وتشهيهم ، ويجوز أن يتعلق بـ(حسداً) ، أي : حسداً منبعثاً من أصل نفوسهم(٣) .

غير أنَّ الزجاج أنكر أن يتعلق (من عند أنفسهم) بـ(حسداً) لأن حسدَ الإنسانِ لا يكونُ إلا من عند نفسِهِ(٤) .

وليس الأمر كما ذكر بل هو على التأكيد ، قال ابن عطية الأندلسي : "واختُلف في تعلق قوله : (من عند أنفسهم) فقيل : يتعلق بـ(ودَّ) ؛ لأنّه بمعنى ودُّوا، وقيل : يتعلق بقوله : (حسداً) فالوقف على قولهِ : (كفاراً) ، والمعنى على هذين القولين : أنّهم

---

(١) ينظر : التطبيق النحوي : ٣٥٦ .

(٢) معاني النحو : ٣/٩٨-٩٩ .

(٣) ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ١/٨٧ .

(٤) ينظر : معاني القرآن وإعرابُهُ : ١/١٩٣ ، وغرائب التفسير وعجائب التأويل : ١/١٧٠ .

لم يجدوا ذلك في كتاب ولا أُمروا به فهو من تلقائهم ، ولفظة الحسد تعطي هذا ، فجاء من عند أنفسِهِم تأكيداً وإلزاماً ، كما قال تعالى : ﴿ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم ﴾ آل عمران : ١٦٧ ، و﴿ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ﴾ البقرة : ٧٩ ، ﴿ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ ﴾ الأنعام : ٣٨ "[١] .

وأغفل البيضاوي وجهاً ثالثاً في تعلق الجار وهو "أنّه متعلق بيردُّونكم ، و(مِنْ) للسببية ، أي : يكون الردُّ من تلقائهم وجهتِهِم وبإغوائِهِم"[٢] .

قال ابن عاشور : "وقوله : (من عند أنفسهم) جيء فيه بِمِنْ الابتدائية للإشارة إلى تأصّل هذا الحسد فيهم وصدوره عن نفوسهم ، وأُكِّد ذلك بكلمة (عند) الدالة على الاستقرار ليزداد بيان تمكنه ، وهو متعلق بـ(حسداً) لا بقولهِ : (ودَّ) "[٣] . ويكاد يجمع المفسرون على تعلقِهِ بـ(ودَّ) ، وهو مرادٌ من حيث المعنى علاوةً على المعنيين الآخرين ، فأدَّى تعدد احتمالات التعلق إلى الاتساع في تعدد أوجه المعاني ، وهي مرادة مطلوبة يحتملها السياق من غير ضعفٍ ينتابُهُ .

٢- قال تعالى : ﴿ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴾ طه : ١٣

ذكر البيضاوي أنَّ : اللام تحتمل التعلق بـ(اخترتك) ، وتحتمل التعلق بـ(استمع)[٤] . وأجاز الزمخشري من قبلِهِ تعلق اللام بكلا الفعلين[٥] ، ورفض أبو حيان الأندلسي تعلّق اللاّم بـ(اخترتُك) رادّاً بذلك على الزمخشري ؛ إذ قال : "ولا يجوز

(١) المحرر الوجيز : ١٩٦/١ ، وينظر : البحر المحيط : ٥١٨/١ .
(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون : ٦٨/٢ ، وينظر : اللباب في علوم الكتاب : ٣٩١/٢ .
(٣) التحرير والتنوير : ٦٧٠/١ .
(٤) ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٦٤٠/٢ .
(٥) ينظر : الكشاف : ١٣٧/٣ .

التعليق باخترتك ؛ لأنّه من باب الإعمال فيجب أو يختار إعادة الضمير مع الثاني فكأن يكون فاستمعْ له لما يُوحى ، فَدَلَّ على أنّه من إعمال الثاني"[1] وانتصف السمين الحلبي للزمخشري وذكر أنّه : لم يعنِ أن تكون المسألة من باب التنازع بين الفعلين كأنّهُ قيل : اخترتُك لما يوحى ، فاستمع لما يوحى ، وإنما عنى التعليق المعنويَّ من حيث الصلاحيةُ ، وأمَّا تقدير الصناعة فلم يَعْنِهِ[2] . و(ما) في قوله تعالى : (لما يوحى) تحتمل أن تكونَ مصدريةً ، أي : فاستمع للوحي ، وتحتمل أن تكون موصولةً بمعنى : الذي ، أي : فاستمع للذي يوحى[3] . ويرى الشيخ زاده أنّ: اللام متعلقة بـ(استمع) فقط ، قال : "والظاهر تعلقه باستمع واللام مزيدة في المفعول كما في : ﴿ رَدِفَ لَكُم ﴾ النمل : ٧٢ "[4] وقالَ الشهابُ الخفاجي : "وقوله : واللام إلخ ، أي : إن لم تكن زائدة كما في﴿ رَدِفَ لَكُم ﴾ كما قيل ، وتعلقه بكلٍّ منهما، أي : على البدل لا على أنه من التنازع كما فهمهُ أبو حيان حتى يردَّ بأنَّه : لا يجوز تعليقُهُ باخترتك ؛ لأنه يجب إعادة الضمير مع الثاني فيقال : فاستمع له لما يوحى فيجاب عنه بأنه أراد التعليق المعنوي من حيث الصلاحية ، ومرادُهُ ما قدّمناهُ وعبارتُهُ تحتملُهُ لا تأباهُ كما توهَّمَ"[5] وعليه يكون تعلق اللام بـ(اخترتك) أي : اخترتُك للوحي : وللذي يوحى ، وبـ(استمع) أي : استمع للوحي وللذي يوحى ، وهذا مما يفضي إلى ثراء العبارة القرآنية وتوسعها باحتمالها للمعنيين كليهما .

---

(١) البحر المحيط : ٢١٧/٦ .

(٢) ينظر : الدر المصون في علوم الكتاب المكنون : ١٨/٨ .

(٣) ينظر : اللباب في علوم الكتاب : ١٩٣/١٣ .

(٤) حاشية الشيخ زاده على تفسير البيضاوي : ٣١٠/٣ .

(٥) حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي : ١٩٣/٦ .

٣- قال تعالى : ﴿ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴾ طه : ٣٩

ذكر البيضاوي احتمالين في تعلق الجارّ والمجرور (منّي) فقال : "أي : محبةً كائنةً مني قد زرعتُها في القلوب بحيث لا يكاد يصبر عنك من رآك فلذلك أحَبك فرعون ، ويجوز أن يتعلق (مني) بألقيت أي : أحببتُكَ ومن أحبّهُ اللهُ أحبّتْهُ القلوبُ"(١) .

فإن عُلِّق الجار والمجرور (مني) بـ(ألقيتُ) فاللهُ سبحانه هو الذي أحبّهُ ، ويحتمل أنّه متعلق بمحذوف هو صفة لـِ(محبة) أي : محبةً حاصلةً أو واقعةً مني زرعتُها أنا في القلوب لذلك أحبك فرعونُ وكل مَنْ أبصرك(٢) .

ورجَّح فَخرُ الدين الرازي الاحتمال الأول ؛ لأنّ "الثاني يُحْوِجُ إلى الإضمار وهو أنْ يقال : وألقيتُ عليك محبةً حاصلةً مني وواقعةً بتخليقي وعلى التقدير الأول لا حاجةَ إلى هذا الإضمار"(٣) .

والذي يبدو أنَّ في الإضمار معنى التنكير فـ"مِنْ متعلقة بمحذوف هو صفة لمحبة مؤكدة ؛ لما في تنكيرها من الفخامة الإضافية ، أي : محبةً عظيمةً كائنةً مني قد زرعتها في القلوب بحيث لا يكاد يصبر عنك من رآك ولذلك أحبّك عدوُّ الله وآلُهُ"(٤) . والمحبة من الله دالَّة "على أنها محبةٌ خارقةٌ للعادة لعدم ابتداء أسباب المحبة العرفية من الإلْفِ والانتفاع ، ألا ترى قول امرأة فرعون : ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ﴾ القصص : ٩ ، مع قولها : ﴿ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ﴾ فكان قرة عينٍ لها قبل أن ينفعها

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٦٤٣/٢ .

(٢) ينظر : الكشاف : ١٤٥/٣ ، والتبيان في إعراب القرآن : ١٨٣/٢ .

(٣) التفسير الكبير : ٥٣/٢٢ .

(٤) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم : ١٥/٦ ، وينظر : روح المعاني : ١٨٩/١٦ .

وقبل اتخاذِهِ ولداً"[1] . ولا تخفى دلالةُ الإضمار على فخامة المحبّة في تنكير المحذوف إلى جانب المعنى الأول وهو توسعٌ في المعنى ظاهر .

٤- قال تعالى : ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ ﴾ غافر : ٢٨

ذكر البيضاوي : أن الرجل من أقارب فرعون ، وقيل : من آل فرعون متعلق بـ(يكتم إيمانه) ، والرجل غريب موحّد كان ينافقهم[2] . فـ"يجوز أن يكون المعنى : وقال رجلٌ مؤمنٌ يكتم إيمانَهُ من آل فرعون ، على التقديم والتأخير ، ويجوز أن يكون المعنى : وقال رجلٌ مؤمنٌ من آل فرعون يكتم إيمانَهُ"[3] ، قال أبو حيان الأندلسي : "وجُعل (آل فرعون) متعلقاً بقوله : (يكتم إيمانَهُ) لا في موضع الصفة لِـ(رجل) كما يدلُّ عليه الظاهر ، وهذا فيه بُعدٌ ؛ إذ لم يكن لأحد من بني إسرائيل أن يتجاسر عند فرعون بمثل ما تكلَّم به هذا الرجل ، وقد ردَّ قولُ مَنْ علَّق (من آل فرعون) بـ(يكتم) فإنه لا يقال : كتمتُ من فلانٍ كذا ، إنما يقال : كتمتُ فلاناً كذا ، قال تعالى : ﴿ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴾ النساء : ٤٢ "[4] وهذا مردودٌ ؛ لأن بعض أهل اللغة جوَّز زيادة (مِنْ) في المفعول الأول ، قال أحمد بن محمد الفيومي (ت٧٧٠هـ) : "كتمتُ زيداً الحديثَ كتماً ، من باب قتل ، وكِتماناً بالكسر يتعدى إلى مفعولين ، ويجوز زيادة مِنْ في المفعول الأول ، فيقال : كتمتُ من زيدٍ الحديثَ ، مثل : بعتُهُ الدارَ ، وبعتُ منه الدارَ

(١) التحرير والتنوير : ٢١٧/١٦ .

(٢) ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٩٢٦/٢ .

(٣) معاني القرآن للنحاس : ١٠٩٦/٢ .

(٤) البحر المحيط : ٤٤١/٧ ، وينظر : البرهان في علوم القرآن : ٧٧١ ، واللباب في علوم الكتاب : ٣٩/١٧ .

، ومنه عند بعضهم :﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ ﴾ وهو على التقديم والتأخير ، والأصل : يكتم من آل فرعون إيمانَهُ"[١] "ووجهُ تقديمِهِ هنا : التخصيص ؛ لأنّه إنّما كتم إيمانه عن آل فرعون دون موسى ومن اتبعَهُ"[٢] فلا حجة لمن منع تعدية الفعل (يكتمُ) بـ(مِنْ) الأمر الذي يؤدي إلى إرادة المعنيين "فإن علقتَ (من آل فرعون) بمحذوف كان المعنى : أنّ الرجل من آل فرعون ، وإن علقتها بـ(يكتم) كان المعنى : أنّه يكتم إيمانَهُ من آل فرعون ولا يدل على أنّه منهم"[٣] وكلا المعنيين مرادان وسياق الآية يدعو إليهما ويحتملهما والله سبحانَه أعلم .

ثانياً : تعدد أوجه الإعراب :

قد يُتوسع في إعراب اللفظ وذلك باحتماله أكثر من وجه إعرابي ومن الأمثلة التي وردت في تفسير البيضاوي :

١- قال تعالى : ﴿ وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ البقرة : ٣٥

القربُ من الشيء يورث ميلاً يأخذ بمجامع القلب ويلهيهِ عمّا هو مقتضى العقل فينبغي أن لا يحوما حول ما حرّم الله مخافةَ أن يقعا فيه ، وجعله سبباً لأن يكونا من الظالمين ، فإنَّ الفاء تفيد السببية سواء جعلت للعطف على النهي أو الجواب له[٤] .

فيجوز أنْ يكون (فتكونا) جواباً نصباً ، ويجوز عطفُهُ على أول الكلام فيكون جزماً ، ومعنى الجزم : تكرير النهي نحو : لا تذهبْ ولا تعرضْ لأحدٍ ، ومعنى الجواب

---

(١) المصباح المنير (كتم) : ٢٧١ ، وينظر : روح المعاني : ٦٤/٢٤ .
(٢) حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي : ٣٦٨/٧ .
(٣) الجملة العربية والمعنى : ٢٠٢ .
(٤) ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٥٨/١-٥٩ .

والنصب : لا تفعل هذا فيُفعلَ بك مجازاةً ، فلما عُطِفَ حرفُ الفاء على الواو وكان في أوّله حادثٌ لا يصلحُ في الثاني نُصِب[1] .

فما كانَ جواباً منصوباً بالفاء فهو على إضمار (أنْ)[2] . "ولو جزمَهُ على العطف كان جائزاً"[3] .

ولِـ(فتكونا) وجهان من التأويل : "أحدُهما : أن يكون (فتكونا) في نية العطف على قولِهِ : (ولا تقربا) فيكونَ تأويلُهُ حينئذٍ : ولا تقربا هذه الشجرة ، ولا تكونا من الظالمين ، فيكون (فتكونا) حينئذٍ في معنى الجزم مجزوماً بما جُزِم به (ولا تقربا) ، كما يقول القائل : لا تكلِّمْ عَمراً ولا تُؤْذِهِ ... والثاني : أن يكون (فتكونا من الظالمين) بمعنى جواب النهي ، فيكون تأويلُهُ حينئذٍ : لا تقربا هذه الشجرة ، فإنّكما إنْ قربتُماها كنتما من الظالمين ، كما تقول : لا تشتمْ زيداً فيشتُمَكَ مجازاةً ، فيكون (فتكونا) حينئذٍ في موضع نصب إذ كان حرفاً عُطِف على غير شكلِهِ ، لمّا كان في (ولا تقربا) حرف عاملٌ فيه لا يصلحُ إعادتُهُ في (فتكونا) فنُصب"[4] .

ويرى أبو حيان الأندلسي أنّ المنصوب على الجواب أظهر ؛ وذلك لظهور السببية ، أمّا العطف فلا يدلُّ عليها[5] . ويبدو أنَّ الفاء العاطفة تفيد السببية في الغالب كقوله تعالى : ﴿ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيۡهِ ﴾ القصص : ١٥ ، وقولِهِ : ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِ ﴾ البقرة : ٣٧[6] .

(١) ينظر : معاني القرآن للفراء : ١/٢٦-٢٧ .
(٢) ينظر : معاني القرآن للأخفش : ١/٦٥ .
(٣) المصدر نفسه : ١/٦٧ .
(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ١/٥٥٨ .
(٥) ينظر : البحر المحيط : ١/٣١٠ .
(٦) ينظر : مغني اللبيب : ١/١٨٢ ، ومعاني النحو : ٣/٢٠٥ .

أمَّا العطف بالجزم في الآية فالسببية ظاهرة معه وفاقاً للبيضاوي ، فإذا كان ما بعد الفاء "مجزوماً كان داخلاً في النهي فيكون قد نهى عن الظلم ، كما نهى عن قربان الشجرة ؛ فكأنه قال : لا تقربا هذه الشجرة فلا تكونا من الظالمين"(١) . فهما ما كانا من الظالمين بسبب النهي عن قرب الشجرة . والفعل (فتكونا) يحتمل النصب على الجواب ، ويحتمل العطف على الجزم وكلا المعنيين مرادان ، فأدَّى التوسعُ إلى ثراء النص القرآني على وفق ما مرَّ ذكرُهُ .

٢- قال تعالى : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴾ الرعد:٢

" (ترونها) صفة لعَمَدٍ ، أو استئناف للاستشهاد برؤيتهم السموات كذلك"(٢) .

"يقال : إنّ الله عجّب الخلق من خلق السموات في الهواء من غير أساس وأعمدة ، وبناؤهم لا يثبت إلا بهما ، فقال : خلقتهما من غير حاجة إلى الأعمدة ليعتبر الخلق ، ويعرفوا قدرته . وقال آخر : بغير عَمَدٍ ترونها ، أي : لها عَمَدٌ لا ترونها"(٣) .

فهي مرفوعة بلا عَمَدٍ ترونها ، والرؤية لا تحتاج إلى خبر ، وقد تكون مرفوعة بعَمَدٍ لا ترون تلك العمد ، والعرب قد تقدم الحجة من آخر الكلمة إلى أولها(٤) .

---

(١) البرهان في علوم القرآن : ١٠٠٨ .
(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٥٠٢/١ .
(٣) العين (عَمَدَ) : ٢٢٨/٣ .
(٤) ينظر : معاني القرآن للفراء : ٥٧/٢ .

فإن كانت بغيرِ عمدٍ ، فالمعنى : بغير عمدٍ وأنتم ترونها ، وإن كانت بعمدٍ ف(ترونها) نعت للعمد ، والمعنى : بغير عمدٍ مرئية[١] . وتحتمل الآية وجهاً ثالثاً ذَكَرَهُ أبو جعفر النحاس وهو أن تكون جملة (ترونها) في موضع نصب على الحال، أي : رفع السموات مرئيةً بغير عمدٍ[٢] . ووافقَهُ مكي القيسي (ت٤٣٧هـ) في هذا المعنى[٣] . في حين ذهب البغوي (ت٥١٦هـ) مذهباً خالف فيه المتقدمين ؛ إذ قال: "ومعناهُ نفي العمد أصلاً ، وهو الأصحّ"[٤] وتابعَهُ ابن عطية الأندلسي[٥] ، وابن الجوزي أيضاً[٦] ، ويبدو أن هذه الأوجه كلّها مرادةٌ ، أي : "يحتمل أنه خلقها مرفوعة بغير عمدٍ ، ويحتمل أنه خلقها مرفوعة بعمدٍ غير مرئية فيحتمل نفي العمد وإثباتها فتكون جملة (ترونها) على إثبات العمد صفةً ، وعلى نفي العمد استئنافيةً ، ويكون المعنى : أنها مرفوعة بغيرِ عمدٍ وها أنتم ترونها"[٧] .

"ونحوهُ قولك : (ما تأتينا فتحدثُنا) برفع (تحدثُنا) فهذا يحتمل نفي التحديث ، أي : ما تأتينا فما تحدثنا والفاء عاطفة ، ويحتمل إثبات التحديث فيكون المعنى : أنت ما تأتينا ولكنك تحدثُنا فتكون الفاء استئنافية ، فالتحديث منفي على تقدير ومثبت على تقدير آخر"[٨] وتحتمل جملة (ترونها) أن تكون حالية ، أي : خلقها مرئيةً بغير عمدٍ، والمعنى : هذهِ حالُها منذ أنْ خلقها الله مرئيةً بغير عمدٍ قبل خلقِكم ، وهذه الأوجه مرادة جميعاً وهو توسع في المعنى بما لا يخفى والله أعلم .

---

(١) ينظر : معاني القرآن وإعرابه : ١٣٦/٣ .

(٢) ينظر : إعراب القرآن : ٣٤٩/٢ .

(٣) ينظر : مشكل إعراب القرآن : ٢٥٥ .

(٤) معالم التنزيل : ٢٩٢/٤ .

(٥) ينظر : المحرر الوجيز : ٢٩١/٣ .

(٦) ينظر : زاد المسير : ٣٠١/٤ .

(٧) الجملة العربية والمعنى : ٨١ .

(٨) المصدر نفسه والصفحة نفسها .

٣- قال تعالى : ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴾ الكهف : ٣٩

قال البيضاوي : "يحتمل أن يكون أنا فصلاً ، وأن يكونَ تأكيداً للمفعول الأول"[١] .

جاء في (الكتاب) : "وأمّا قولُهُ عزَّ وجلَّ :﴿ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴾ فقد تكون أنا فصلاً وصفةً "[٢] .

قال السيرافي (ت٣٦٨هـ) : "فإنما جاز في أنا الصفة والفصل ؛ لأنّ النون والياء في ترني ضميرٌ ، وقد يوصفُ الضمير بالضمير ويؤكَّد"[٣] .

فالضمير (أنا) ضمير فصل لا محل له من الإعراب ، ويجوز أن يكون تأكيداً للمفعول في (ترني) نحو : ضربتُك أنت ، وضربتني أنا[٤] .

و(ترني) يجوز "أن تكون بَصَرِيَّةً وأنا توكيد للضمير في ترني المنصوب فيكون (أقلَّ) حالاً"[٥] . وذهب السمين الحلبي إلى ما ذهب إليه أبو حيان الأندلسي ههنا في جعل (أنا) توكيداً لا ضَمير فصلٍ في حال جعل (رأى) بَصَريّة ؛ لأنّ شرط ضمير الفصل أن يقع بين مبتدأ وخبر أو ما أصلُهُ المبتدأ والخبر[٦] .

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٦٠٦/٢ .
(٢) الكتاب : ٣٩٢/٢ .
(٣) شرح كتاب سيبويه : ١٦٠/٣ .
(٤) ينظر : غرائب التفسير وعجائب التأويل : ٦٦١/١ .
(٥) البحر المحيط : ١٢٣/٦ .
(٦) ينظر : الدر المصون في علوم الكتاب المكنون : ٤٩٥/٧ .

و(ترنـي) إن كانـت عِلْميَّـةً (قلبيّـة) فأقـلَّ مفعـول ثـانٍ ، وحينئـذٍ يحتمـل (أنـا) الوجهين ، أي : الفصل والتوكيد[١] .

وكِلا الإعرابين يفضيان إلى إرادة المعنيين : فيحتمل أن يكون (أنا) ضمير فصل أفادَ الحصر[٢] ، أي : أنا أقلَّ منك مالاً وولداً دون غيري ، ويحتمل أن يكون توكيداً لضمير المتكلم (النون والياء) في قولهِ : (ترني) والمعنيان مقصودان إن جعلت الرؤية في (ترني) عِلْميةً لا بَصَريةً .

٤- قال تعالى: ﴿ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ الأنبياء: ٧٩

ذكر البيضاوي أنّ (والطيرَ) يحتمل أن يكونَ معطوفاً على الجبال ، ويحتمل أنْ يكونَ مفعولاً معهُ[٣] .

فالبيضاوي يُجوز العطف والمعيّة ، أي : "معطوف على الجبال ، ويجوز أنْ يكون بمعنى مع الطير كما تقول : التقى الماءُ والخشبةَ"[٤] . أي : جعلُهُ مفعولاً معَهُ. "فإن قلت : لم قدِّمت الجبال على الطير ؟ قلتُ : لأنّ تسخيرها وتسبيحها أعجب وأدلُّ على القدرة وأدخلُ في الإعجاز ؛ لأنها جمادٌ والطيرُ حيوان إلا أنه غيرُ ناطقٍ . رُوي أنه كان يمرُّ بالجبال مسبحاً وهي تجاوبُهُ ، وقيل : كانت تسير معه حيث سار"[٥] . ذكر أبو حيان الأندلسي أنَّ (الطير) معطوف على الجبال قال : "ولا يلزم من العطف دخوله في قيد التسبيح"[٦] .

(١) ينظر : روح المعاني : ٢٨٠/١٥ .
(٢) ينظر : معاني النحو : ٤٤/١-٤٥ .
(٣) ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٦٧٢/٢ .
(٤) إعراب القرآن للنحاس : ٧٥/٣-٧٦ .
(٥) الكشاف : ٢٠٠/٣ .
(٦) البحر المحيط : ٣٠٧/٦ .

وقيل : جملة (يسبِّحْنَ) مستأنفةٌ لا محل لها من الإعراب ، وهو قولٌ بعيدٌ[١] .

وبالنظر يتبين أنَّ (الواو) في قولِهِ : (والطير) تحتمل أن تكون عاطفة فيكون الطيرُ معطوفاً على الجبال ، فإنّ كانت الجبالُ مسبحةً وهي جماد فمِنْ باب أولى أنْ يكون الطيرُ مسبحاً بلغتِهِ مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ الإسراء : ٤٤ . والواو تقتضي مطلق الجمع[٢] ، أي : قد تكون الجبال مسبحةً قبل الطير وقد يكون العكس ، وتحتمل أنْ تكون الواو للمعية ، وحينئذٍ تقتضي المصاحبة والاقتران في وقتٍ واحدٍ[٣] ، وكلا المعنيين مقصودان ، وهذا القصد جاء من احتمال الواو للعطف والمعية كما هو ظاهر النص القرآني[٤] .

ثالثاً : عود الضمير :

قد تعدد أوجه عود الضمير في التعبير القرآني وهذا العَودُ يدخل في إطار التوسع في المعنى ما لم تكن هناك قرينة تحدد معنىً من المعاني ، ومن أمثلة عود الضمير :

١- قال تعالى : ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ آل عمران : ١٠٣

---

(١) ينظر : الدر المصون في علوم الكتاب المكنون : ١٨٥/٨ .

(٢) ينظر : مغني اللبيب : ١٧/٢ ، ومعاني النحو : ١٨٧/٣ .

(٣) ينظر : معاني النحو : ٢٢٠/٢ .

(٤) للمزيد : ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٤٩/١ ، ١٧٢/١ ، ٦٤٩/٢ ، ٦٧٩/٢ .

قولُهُ : (منها) : "الضمير للحفرة ، أو للنار ، أو للشفا وتأنيثه لتأنيث ما أُضيف إليه أو ؛ لأنّهُ بمعنى الشفة فإن شفا البئر وشفتها طرفها كالجانب والجانبة"[١].

فالهاء قد تعود على الشفا فترك (الشفا) ووقع التأنيث على الحفرة ، والعرب تفعل ذلك كثيراً ، قال جرير[٢] :

رأتْ مرَّ السنين أخذنَ مني كما أخذَ السِّرارُ[٣] من الهلالِ[٤]

وقد تعود على الحفرة ، أي : أنقذكم من الحفرة[٥] . وقد "تعود على النار ؛ لأنّها المقصودة"[٦] .

والمذكر المضاف قد يكتسب التأنيث مما أُضيف إليه والعبارة تصح إذا أُسقط المضاف وأُقيم المضاف إليه مُقامَهُ ، نحو : أضرتْ بيَ مرُّ السنين ، فلو أُسقط المذكر المضاف لجاز المعنى : أضرتْ بي السنون[٧] . وكقراءة الحسن البصري (ت١١٠هـ) وابن كثير (ت١٢٠هـ) وابن أبي عبلة (ت١٥٢هـ) : (تلتقطْهُ بعضُ السيارة) يوسف : ١٠ ، وكقولهم : ذهبت بعضُ أصابعِهِ ، فأنث لمّا كان (بعض السيارة) سيارة في المعنى ، وبعض الأصابع إصبعاً[٨] . أي : تلتقطْهُ السيارة ، وذهبتْ أصابعُهُ ، ولذا يصح في غير القرآن أن نقول : وكنتم على حفرةٍ من النار فأنقذكم منها .

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ١٧٨/١ .

(٢) ينظر : شرح ديوان جرير : ٥٤٦ .

(٣) السرار : يوم يستتر فيه الهلال آخر يوم من الشهر أو قبله ، ينظر : العين (سرر) : ٢٣٦/٢ .

(٤) ينظر : مجاز القرآن : ٩٨/١ .

(٥) ينظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ٦٥٨/٥ .

(٦) إعراب القرآن للنحاس : ٣٦٨/١ .

(٧) ينظر : شرح كتاب سيبويه للسيرافي : ٣١٣/١ .

(٨) ينظر : الخصائص : ٣٩٢/٢ ، وتنظر القراءة في : شواذ القراءات : ٢٤٢ .

ذكر ابن عطية الأندلسي في عود الضمير على الشفا أنه : لا يُحتاج فيه إلى هذه الصناعة ، إلا لو لم تجد معاداً للضمير فثمةَ لفظ مؤنث يعود الضمير عليه ، ويعضدُهُ المعنى المتكلَّمُ فيه فلا حاجة إلى تلك الصناعة(١) .

والسؤال هو : شفا الحفرة مذكر فكيف قال : (منها) ؟ والجواب عن هذا من أوجه :

الأول : الضمير عائد إلى الحفرة ولما أنقذهم من الحفرة فقد أنقذهم من شفا الحفرة وشفاها جزءٌ منها .

والثاني : عائد إلى النار ؛ لأن القصد الإنجاء من النار لا من شفا الحفرة .

والثالث : إن شفا الحفرة حرفُها وشفيرها وجائز أن يخبر عنه بالتذكير والتأنيث(٢) . فاكتسب التأنيث منها بإضافته إليها . ومعلومٌ أنّ المضاف والمضاف إليه كالشيء الواحد .

أما أبو حيان الأندلسي فقد ردَّ مقالة ابن عطية الأندلسي قائلاً : "لا يحسنُ عودُهُ إلا على الشفا ؛ لأنَّ كينونتهم على الشفا هو أحد جزأي الإسناد ، فالضمير لا يعود إلا عليه ... فالإنقاذ من الشفا أبلغ من الإنقاذ من الحفرة ومن النار ؛ لأنَّ الإنقاذ منه يستلزم الإنقاذ من الحفرة ، ومن النار ، والإنقاذ منهما لا يستلزم الإنقاذ من الشفا فعَوْدُهُ على الشفا هو الظاهر من حيث اللفظُ ومن حيث المعنى"(٣) .

الذي يبدو أنَّ في هذه الأقوال نظراً ، فأما الصناعة النحوية المتمثلة باكتساب المضاف التأنيث من المضاف إليه فقد قال به جمهور النحاة والمفسرين(٤) .

فالصناعة أكسبت النص معنىً ثالثاً وهو أبلغ من المعنيين الآخرين والإنقاذ من حافة الحفرة أفخم معنىً من الحفرة والنار أنفسهما ؛ لأنَّ الإنقاذ من الشفا لازمٌ للإنقاذ

---

(١) ينظر : المحرر الوجيز : ٤٨٥/١ .

(٢) ينظر : التفسير الكبير : ١٨٠/٨ .

(٣) البحر المحيط : ٢٢/٣ .

(٤) ينظر : شرح ابن عقيل : ٤٩/٣ ، وهمع الهوامع : ٤٢١/٢ ، وروح المعاني : ٢٠/٤ .

من الحفرة والنار وفاقاً لأبي حيان في هذا المعنى ، وأما قصر الضمير في عودِهِ على الشفا فلا يمكن وإن كان أبلغ من الحفرة والنار ؛ وذلك لإمكان عود الضمير عليهما ؛ لأنّ الذي سوّغ احتمالات مرجع الضمير على الكل هو غياب القرينة التي تقطعُ بهذا المعنى دون ذاك ، الأمر الذي يفضي إلى احتمال هذه الأوجه جميعها وهي كلُّها مرادة مقصودة في سياق الآية الكريمة وفي هذا اتساع المعاني بما لا يخفى والله أعلم .

٢- قال تعالى : ﴿ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ۚ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ يونس : ٨٣

قال البيضاوي : "إلا أولادٌ من أولادِ قومِهِ بني إسرائيل دعاهم فلم يجيبوهُ خوفاً من فرعونَ إلا طائفة من شبّانهم ، وقيل : الضمير لفرعون والذرية طائفة من شبانهم آمنوا به ، أو مؤمن آل فرعون ، وامرأته آسية وخازنه وزوجته وماشطته"(١) .

ذهب الطبريّ إلى أنَّ الهاء في قولِهِ تعالى : (من قومِهِ) تعودُ على موسى ؛ لقربها من ذكرِهِ وهذا العَوْدُ أولى من عودها على فرعون لبُعدِ ذكرِهِ منها ، فإنّ في قولِهِ : (على خوفٍ من فرعون وملئِهِم) الدليل الواضح على أنّ الهاء لموسى ، ولو كانت لفرعون لكان الكلام : على خوفٍ منه ، ولم يكن : على خوفٍ من فرعون(٢).

وذكر البغوي أنَّ الهاء راجعة إلى فرعون ، والذرية ناس من قوم فرعون آمنوا ، منهم : امرأة فرعون ، ومؤمن آل فرعون ، وخازن فرعون ، وامرأة خازنه، وماشطته(٣) . "فإن قلت : إلامَ يرجع الضمير في قولِهِ : (وملئِهِم) ؟ قلت : إلى فرعون ، بمعنى :

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ١/٤٤٥ .

(٢) ينظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ١٢/٢٤٧ .

(٣) ينظر : معالم التنزيل : ٤/١٤٥ .

آل فرعون كما يقال : ربيعةُ ومضر ؛ أو لأنّهُ ذو أصحابٍ يأتمرون له"[١] . وثمة من يرى العكس ؛ إذ يضعف عود الضمير إلى موسى قال ابن عطية الأندلسي : "ومما يضعف عود الضمير على (موسى) أنّ المعروف من أخبار بني إسرائيل أنهم كانوا قوماً تقدمت فيهم النبوات وكانوا في مدة فرعون قد نالهم ذلٌّ مفرط وقد رجوا كشفه على يد مولود يخرج فيهم يكون نبياً ، فلما جاءهم موسى ﴿ عليه السلام ﴾ أصفقوا عليه – اجتمعوا – واتبعوه ولم يحفظ قطّ أن طائفة من بني إسرائيل كفرت به فكيف تعطي هذه الآية أن الأقل منهم كان الذي آمن ؟ فالذي يترجَّحُ بحسب هذا أنَّ الضمير عائد على (فرعون)"[٢] .

ووافق فخر الدين الرازي الطبري في عود الضمير إلى موسى[٣] ، وكذا أبو حيان الأندلسي[٤] ، والسمين الحلبي[٥] .

وأيَّد الآلوسي ابن عطية الأندلسي ، قائلاً : "فالظاهر القول الثاني : وما ذكر من أن المحدَّث عنه موسى ﴿ عليه السلام ﴾ لا يخلو عن شيء ، فإنّ لقائل أن يقابل ذلك بأن الكلام في قوم فرعون ؛ لأنهم القائلون إنه ساحر ... لأن المراد حينئذٍ : فما أظهر إيمانه وأعلن به إلا ذريةٌ من بني إسرائيل دون غيرهم فإنهم أخفوهُ ولم يظهروه"[٦] .

ويبدو أن الضمير يحتمل المعنيين : إن عاد إلى موسى ؛ فلأنّهُ الأقرب وهو المحدَّث عنه ، وإن عاد إلى فرعون ؛ فلأنَّ ذكر فرعون وقومه قد تقدم قبلُ قال تعالى : ﴿ **وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِي بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم**

(١) الكشاف : ٣٧٧/٢ .

(٢) المحرر الوجيز : ١٣٧/٣ .

(٣) ينظر : التفسير الكبير : ١٥٠/١٧ .

(٤) ينظر : البحر المحيط : ١٨٢/٥ .

(٥) ينظر : الدر المصون في علوم الكتاب المكنون : ٢٥٤/٦ .

(٦) روح المعاني : ١٦٨/١١ .

مُّلۡقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّآ أَلۡقَوۡاْ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئۡتُم بِهِ ٱلسِّحۡرُۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبۡطِلُهُۥٓۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصۡلِحُ عَمَلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴾ يونس : ٧٩-٨٢ .

أما القول : إنّه لو كان الضمير لفرعون لقال بعدَهُ : على خوفٍ منه لاستلزم أن يقول : على خوفٍ منه وإنّه لعالٍ في الأرض وليس بمراد ؛ لأنَّ السياق قبل الضمير وبعده يركّز على إجرام فرعونَ وعُلُّوهِ في الأرض وتكرار اسمه أوكد من أنْ يُكنى عنه بالضمير .

٣- قال تعالى : ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴾ الحديد : ٢٢

قال البيضاوي في قولهِ : (نَبرأها) : "نخلقها ، والضمير للمصيبة ، أو للأرض ، أو للأنفس"(١) .

وذكر أبو جعفر النحاس أنَّ : الضمير قد يكون راجعاً للأنفس أو للأرض أو للمصائب ، والأول أولاها ؛ لأنَّ الجلّة قالوا به وهو أقرب إلى الضمير(٢) .

أما ابن عطية الأندلسي فلم يعيّن مرجع الضمير قال : "وهي كلّها معانٍ صحاح ؛ لأنَّ الكتاب السابق أزليّ قبل هذه كلّها"(٣) .

وقيل : "إذا تقدم مما يصلح للتفسير شيئان فصاعداً ، فالمفسِّر هو الأقرب لا غير ، نحو : جاءني زيدٌ وبكرٌ فضربتُهُ ، أي : ضربت بكراً"(٤) .

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ١٠٤٩/٢ .

(٢) ينظر : إعراب القرآن : ٣٦٥/٤ ، والهداية إلى بلوغ النهاية : ٧٣٢٩/١١ .

(٣) المحرر الوجيز : ٢٦٨/٥ ، وينظر : التفسير الكبير : ٢٣٨/٢٩ .

(٤) شرح الرضي على الكافية : ٤٠٤/٢ ، وينظر : معاني النحو : ٥٨/١ .

ويجوز أن يعود الضمير على الأول بدليل القرينة ، نحو : جاءني عالمٌ وجاهلٌ فأكرمتُهُ ، أي : أكرمتُ العالم(١) .

ويرى أبو حيان الأندلسي أنَّ الضمير في (نبرأها) يعود على المصيبة ؛ لأنها هي المحدّث عنها ، وذكر الأرض والأنفس على سبيل محل المصيبة(٢) .

والأظهر من بين هذه الأقوال هو ما ذهبَ إليه ابن عطية الأندلسي ؛ لأنَّ "ما يقع من مصيبة في الأرض أو في الأنفس إنما هو مدوَّن في كتاب قبل خلق الأرض وقبل خلق الأنفس وقبل وقوع المصيبة"(٣) وليس هناك قرينة سياقية تحدد معنىً من هذه المعاني على سبيل الحصر وهذا إن دلَّ على شيء فإنما يدل على جواز عود الضمير في (نبرأها) على الكلّ وهو مرادُ السياق القرآني على ما أحسب واللهُ أعلم.

٤- قال تعالى : ﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾ الإنسان : ٨

ذكر البيضاوي أن الضمير في قولهِ : (على حبهِ) قد يعود على حبّ الله تعالى أو على الطعام أو على الإطعام(٤) . وهو بهذا موافق الزمخشريّ في وجهين : الأول : عود الضمير للطعام ، أي : مع اشتهائه والحاجة إليه ، والآخر : عودُهُ على حب الله(٥) . "ويحتمل على حبّ الله الإطعام ، ويكون المصدر مضافاً إلى الفاعل"(٦). والمعنى : "على حبّ إطعام الطعام"(٧) .

---

(١) ينظر : شرح الرضي على الكافية : ٤٠٤/٢ .

(٢) ينظر : البحر المحيط : ٢٢٤/٨ ، والدر المصون في علوم الكتاب المكنون : ٢٥١/١٠ .

(٣) على طريق التفسير البياني : ٢٨٧/١ .

(٤) ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ١١١٧/٢ .

(٥) ينظر : الكشاف : ٥١٤/٤ .

(٦) غرائب التفسير وعجائب التأويل : ١٢٨٧/٢ .

(٧) الجامع لأحكام القرآن : ٤٥٩/٢١ .

وذكر القزويني (ت٧٣٩هـ) أن : (التتميم) هو أن يؤتى في كلام لا يوهم غيرَ المرادِ بكلمةٍ زائدةٍ تفيد نكتةً كالمبالغة في قوله : (على حبّهِ) أي : مع الحاجة إليه ، أو على حبّ الله فلا يكون من هذا(١) .

والظاهر أن المبالغة والتكثير في الإطعام مظنة ابتغاء وجه الله ومرضاته وهو معنىً مراد في سياق الآية ، جاء في (البحر المحيط) : "والأول – على حب الطعام – أمدح ؛ لأنّ فيه الإيثار على النفس ، وأما الثاني – على حب الله – فقد يفعله الأغنياء أكثر"(٢) . "أو على حبِّ الإطعام بأن يكون ذلك بطيب نفس وعدم تكلّف"(٣) . "فالضمير يعود على مصدر (يطعمون) وهو الإطعام ... وأعلاها أن يكون لكلّ ذلك ، فهُم يطعمون الطعام مع حاجتهم إليه واشتهائه فيكون ذلك من باب الإيثار ، ويفعلونه بطيب نفس من غير تكدير ولا مِنّة فيكون من باب الإحسان ، مبتغين بذلك وجه الله تعالى ورضاه خالصاً عملُهُم له فيكون من باب الإخلاص فيجتمع بذلك الإيثار والإحسان والإخلاص"(٤) وهذه الأوجه كلها مرادة وإن كان المعنى (على حب الله) أظهر لمجيئهِ في الآية بعدها : ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ ﴾ الإنسان: ٩ (٥)(٦) .

---

(١) ينظر : الإيضاح في علوم البلاغة : ٢٠٥ ، وجواهر البلاغة : ١٤٦ .

(٢) البحر المحيط : ٣٨٨/٨ .

(٣) روح المعاني : ١٥٥/٢٩ .

(٤) على طريق التفسير البياني : ١٦٧/١ .

(٥) ينظر : المصدر نفسه والصفحة نفسها .

(٦) للمزيد : ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ١٣٦/١ ، ٣١٨/١ ، ٩٤٣/٢ .

المبحث الثالث
التوسع في الأساليب

أولاً : أُسلوب الحذف :

الحذف لغةً : حَذَفَ الشيء يحذِفُهُ حذفاً : قطعهُ من طرفِهِ ، والحُذافة ما حُذف من شيء فطُرح ، وحَذْفُ الشيء إسقاطه[١] .

واصطلاحاً : هو "إسقاط جزء الكلام أو كلّه لدليل"[٢] ، وما من شيءٍ حُذف في الحالة التي ينبغي أن يحذف فيها إلا وحذفُهُ أحسن من ذكرهِ وإضمارُهُ في النفس أولى وآنس من النطق بهِ[٣] ، والحذف في الكلام قد يؤدي إلى التوسع في المعنى وقد لا يؤدي إليه ، يقول الدكتور فاضل السامرائي : "الحذف قسمان : قسم لا يؤدي إلى إطلاق في المعنى ولا إلى توسعٍ فيه وهو ما تعيَّن فيه المحذوف كقوله تعالى : ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡۚ قَالُواْ خَيۡرٗا﴾ النحل : ٣٠ ، أي : أنزل خيراً ، ونحو ما جاء في الحديث الشريف : (ما تظنون أني فاعل بكم ؟ قالوا : خيراً ، أخٌ كريم وابن أخٍ كريم) [٤] ، أي : فاعلٌ خيراً ، أنت أخٌ كريمٌ وابن أخٍ كريم ، ونحو أن تقول : ماذا تشرب ؟ فيقول :

---

(١) ينظر ، المحكم والمحيط الأعظم (حذف) : ٢١٧/٣ ، ولسان العرب (حذف) .

(٢) البرهان في علوم القرآن : ٦٨٥ .

(٣) ينظر : دلائل الإعجاز : ١١٧ .

(٤) السنن الكبرى للبيهقي (باب فتح مكة) : ١١٨/٩ .

لبناً ، أي : أشربُ لبناً . والقسم الآخر : وهو الذي يؤدي إلى التوسع في المعنى وذلك إذا لم يتعين فيه المحذوف بل يحتمل عدة تقديرات ، فما صحَّ تقديرُهُ وأمكن أن يكون مراداً في سياقِهِ كان ذلك من باب التوسع في المعنى"[١] ، ومن الحذف الدال على التوسع في المعنى قولُهُ تعالى : ﴿ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴾ الشعراء : ٧٢-٧٣ "فقد ذكر مفعول النفع ولم يذكر مفعول الضَّرِّ وقد تظن أنّه إنما فعل ذلك لفواصل الآي ، ولا شك أنّه لو ذكر المفعول بهِ لم تنسجم الفاصلة مع فواصل الآي ، ولكنَّ الحذف اقتضاهُ المعنى أيضاً فقد ذكر مفعول النفع فقال : (ينفعونكم) ؛ لأنهم يريدون النفع لأنفسهم ، وأطلق الضر لسببين : الأول : أنّ الإنسان لا يريد الضرر لنفسه وإنّما يريدهُ لعدوِّهِ ، والآخر : أنّ الإنسان يخشى من يستطيع أن يلحق به الضرر ، فأنت ترى أن النفع موطن تخصيص والضَّرَّ موضع إطلاق ، فخَصَّ النفع وأطلق الضرّ والمعنى : أن هذه الآلهة لا تتمكن من الإضرار بعدوكم كما أنها لا تستطيع أن تضركم فلماذا تعبدونها ؟! ولو ذكر المفعول به فقال : (أو يضرونكم) لَمَا أفاد هذين المعنيين ، فانظر كيف أنّ الإطلاق في الضرّ اقتضاهُ المعنى علاوة على الفاصلة ؟ "[٢] .

١- قال تعالى : ﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ الَّتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَن تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا ﴾ النساء : ١٢٧

(١) الجملة العربية والمعنى : ١٥٧ .

(٢) التعبير القرآني : ٢١٩ .

قال البيضاوي تعليقاً على قولهِ تعالى : (وترغبون أن تنكحوهنّ) : "في أن تنكحوهنّ ، أو عن أن تنكحوهنّ ، فإن أولياء اليتامى كانوا يرغبون فيهنّ إنْ كنّ جميلات ويأكلون مالَهنّ ، وإلا كانوا يعضلونهنَّ طمعاً في ميراثهنَّ"[١] ولأهل اللغة في هذا تقديران : أحدهما : أن المعنى : وترغبون عن أن تنكحوهنّ فحذفتْ (عن) ، والآخر : وترغبون في أن تنكحوهنَّ فحذفت (في) [٢] . و"هذا اللفظ يحتمل الرغبة والنفرة ، فالمعنى في الرغبة : في أن تنكحوهنّ لمالهنّ أو لجمالهنّ ، والنفرة : وترغبون عن أن تنكحوهنّ لقبحهنّ فتمسكوهنَّ رغبةً في أموالهنّ"[٣] ، ولم يعيّن حرف الجر مع (رَغِبَ) ههنا ، والمطَّرد حذفُهُ مع (أنَّ ، وأنْ) وشرطُهُ أمنُ اللّبس نحو : عجبتُ أنّك فاضلٌ ، أي : من أنّك فاضلٌ ، وهذا معنى قول ابن مالك (ت٦٧٢هـ) :

نقلاً وفي أنَّ وأنْ يطَّردُ مَعْ أمنِ لبسٍ كعجبتُ أن يدوا

أي : يغرموا الدّية ، واحترز بـ(أمن اللبس) من نحو : رغبتُ في أنْ تفعلَ ، فلا يجوز حذف الجار لئلا يتوهم أن المراد : عن أن تفعلَ ، وأما حذف حرف الجر من قوله تعالى : (وترغبون أن تنكحوهنّ) فعنهُ جوابان : الأول : أن يكون حُذِفَ اعتماداً على القرينة الرافعة للبس ، والآخر : أن يكون حُذِفَ لقصد الإبهام ليرتدع من يرغبُ فيهنّ وعنهنّ[٤] . "وهنا سؤال : وهو أن أهل العربية ذكروا أنّ حرف الجر يجوز حذفُهُ باطراد مع (أنْ) و(أنَّ) بشرط أمن اللّبس ، وهذا يعني : أن يكون الحرف متعيناً نحو : عجبتُ أنْ تقوم ، أي : من أنْ تقوم ، بخلاف : مِلْتُ إلى أنْ تقوم أو عن أنْ تقوم ،

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٢٤٤/١ .

(٢) ينظر : معاني القرآن للنحاس : ٢٤٨/١ ، والنكت والعيون : ٥٣٢/١ .

(٣) البحر المحيط : ٣٧٨/٣ ، وينظر : فتح القدير : ٨٢٤/١ .

(٤) ينظر : توضيح المقاصد والمسالك : ٦٢٥/٢ ، ومغني اللبيب : ١٨٢/٢-١٨٣ .

والآية من هذا القبيل . والجواب : أنَّ المعنيين صالحان ... فصار كلٌّ من الحرفين مراداً على سبيل البدل"[١] .

وللنساء وصفان في هذه الآية : الرغبة فيهنّ والرغبة عنهنَّ فيحتمل أن يكون المحذوف (في) ويحتمل أن يكون (عن) وهو ما يدل على العموم[٢] .

"وحذف الجار هنا لا يعدُّ لبساً ، بل إجمالٌ ، فكل من الحرفين مرادٌ على سبيل البدل"[٣] وَلهُ "موقعٌ عظيمٌ من الإيجاز وإكثار المعنى ، أي : ترغبون في نكاح بعضِهِن ، وفي نكاح بعضٍ آخر فإنَّ الفعل رَغِبَ يتعدى بحرف (عن) للشيء الذي لا يُحبُّ ، وبحرف (في) للشيء المحبوب فإذا حذف حرف الجر احتمل المعنيين إن لم يكن بينهما تنافٍ"[٤] فأدى الحذفُ إلى إرادة المعنيين جميعاً على سبيل العموم ولو ذكر حرفاً منهما لأفضى ذكرُهُ إلى انتفاء التوسع في المعنى المترتب على الآية الكريمة ، ولصارَ المعنى متعلقاً بالحرف المذكور حَسْب بَيْد أن التعبير القرآني قَصَدَ هذا الحذف ليشمل الحكمين على السواء ، وهو توسعٌ في المعنى ظاهر .

٢- قال تعالى : ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ الأعراف : ٤٤ .

قال البيضاوي تعليقاً على قوله تعالى : (ما وَعَدَ ربكم) : "إنما لم يقل : ما وعدكم كما قال ما وَعَدَنا ؛ لأنّ ما ساءهم من الموعود لم يكن بأسرِهِ مخصوصاً وعدهُ

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون : ١٠٦/٤ .

(٢) ينظر : البرهان في علوم القرآن : ٦٩٢ ، والإتقان في علوم القرآن : ٤٨/٣ .

(٣) روح المعاني : ١٦٠/٥ .

(٤) التحرير والتنوير : ٢١٣/٥ .

بهم كالبعث والحساب ونعيم أهل الجنة"(١) . "يقول تعالى ذكرُهُ : ونادى أهلُ الجنة أهل النارِ بعد دخولهموها : أنْ يا أهل النار قد وجدنا ما وَعَدَنا ربُّنا في الدنيا على ألسنِ رسلِهِ من الثواب على الإيمان به وبهم وعلى طاعته حقاً ، فهل وجدتم ما وعد ربكم على ألسنتهم على الكفر به وعلى معاصيه من العقاب حقاً ؟ فأجابهم أهل النار بأنْ نعم قد وجدنا ذلك حقاً كما وعدنا ربُّنا"(٢) .

جاء في (الكشاف)(٣) : "فإن قلت : هلاّ قيل : ما وعدكم ربكم كما قيل : ما وعدنا ربّنا ؟ قلت : حذف ذلك تخفيفاً لدلالة وَعَدَنا عليه ، ولقائل أن يقول : أُطْلقَ ليتناول كلّ ما وعد الله من البعث والحساب والثواب والعقاب وسائر أحوال القيامة ؛ لأنهم كانوا مكذبين بذلك أجمع ؛ ولأنّ الموعود كلَّه مما ساءهم وما نعيم أهل الجنة إلا عذابٌ لهم ، فأطلق لذلك" .

وذكر المفعول مع (وَعَدَنا) يدلُّ على أنّه تعالى خاطبهم بهذا الوعد ، وكونهم مخاطبين من قِبل الله سبحانه يوجب مزيد التشريف ، ومزيد التشريف هذا لائقٌ بحال المؤمنين ، أمَّا حذف المفعول مع (ما وَعَدَ ربُّكم) ؛ فلأنَّ الكافر ليس أهلاً لأنْ يخاطبه الله تعالى ؛ لذلك لم يذكر الله أنّه خاطبهم بهذا الخطاب بل بيَّن هذا الحكم(٤). وهذه لمسة لطيفة ، فالغالب في الاستعمال القرآني أنّه يستعمل (وَعَد) في الخير أكثر(٥) ، وقد يستعمل (وعد) في الشر أيضاً(٦) ، وعلى المعنى الأول : كأنّ الله سبحانّهُ وتعالى لا يريد أنْ يمسَّهم بالخطاب بعد ما كانوا موغلين في الكفر ومُصرّين في عنادهم لذلك

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٣٤١/١ .

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ٢٠٥/١٠ ، وينظر : بحر العلوم : ٥٤٢/١ .

(١) ٢ / ١٥٧ ، وينظر : البحر المحيط : ٤ / ٣٠٣ .

(٤) ينظر : التفسير الكبير : ٨٩/١٤ .

(٥) ينظر : التبيان في إعراب القرآن : ٤٢٥/١ .

(٦) ينظر : لسان العرب : (وعد) .

حذف المفعول به معهم ، وليس الحال كذلك مع المؤمنين فقد نالهم من الخير ما نالهم فذَكَر المفعول معهم .

وردَّ السمين الحلبي على الزمخشري قائلاً : "قلتُ : قولُهُ : (ولقائلٍ إلى آخرِهِ) هذا الجواب لا يطابق سؤالَهُ ؛ لأنّ المدعى حذف المفعول الأول وهو ضمير المخاطبين ، والجواب وقع بالمفعول الثاني الذي هو الحساب والعقاب وسائر الأحوال ، فهذا إنما يناسب لو سُئل عن حذف المفعول الثاني لا المفعول الأول"(١) ويبدو أنّ قول السمين الحلبي فيه نظر ؛ لأن الحساب والعقاب وسائر أهوال القيامة يدلُّ على هذا كلّه المفعولُ الأولُ وهو ضمير المخاطبين وحُذِف لغرض العموم والتوسع في المعنى ، فإن كان المفعول الثاني دالاً عليها كما قال لم يكن للمفعول الأول معنىً بل الظاهر حَذْف الأول ليشمل الوعد بصورتِهِ العامة . ويرى الشهاب الخفاجي (ت١٠٦٩هـ) أنَّ حذف المفعول جاء لغرض التخفيف والإيجاز استغناءاً عنه بالأول فلا بُدَّ من حملِهِ على الاكتفاء بالسابق لا على الإطلاق(٢) . وليس كذلك بل الإطلاق هو مرادُ التعبير القرآني فيكون المرادُ : شاملاً لما وعدهم وما وَعَدَ غيرهم من الثواب والعقاب ويكون الكلام من باب التوسع في المعنى والله أعلم .

٣- قال تعالى : ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴾ الزمر : ٧٣

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون : ٣٢٦/٥ .

(٢) ينظر : حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي : ١٧١/٤ ، والتحرير والتنوير : ١٣٧/٨ .

جواب إذا الشرطية محذوف قال عنه البيضاوي : "حذف جواب إذا للدلالة على أنّ لهم حينئذٍ من الكرامة والتعظيم ما لا يحيط به الوصف ، وأن أبواب الجنة تفتح لهم قبل مجيئهم غير منتظرين"(١) .

إذاً جواب (إذا) مكفوف عن خبرِهِ ، أي : مقطوع عنه ومفصول ، والعرب تفعل ذلك في كلامها(٢) . وبعضهم يرى أنّ الواو في قولهِ (وفتحتْ) زائدة ، ويرى البعضُ الآخر : إضمار الخبر أحسن في الآية(٣) . أمّا نحاة الكوفة فقالوا : أُدخلت الواو في جواب (حتى إذا) وأُخرجت ، فمن أخرجها فلا شيء في ذلك ، ومن أدخلها شبَّه حال الكفار بالتعجب في الآية التي تسبق هذه وهي قولُهُ تعالى : ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ الزمر : ٧١ ، فجعل الثاني وهو قوله : (وقال لهم خزنتها سلام عليكم) عطفاً على الأول (وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسلٌ منكم) ، وإنْ كان الثاني جواباً لـ(إذا) عند الكوفيين فكأنه قال : أتعجب لهذا ولهذا ، والجواب متروك(٤) . "فدلَّ بحذفِهِ على أنه شيءٌ لا يحيط به الوصف"(٥) أو لتذهبَ نفسُ السامع كلَّ مذهبٍ فلا يتصوَّر مطلوباً إلا ويجوز أن يكون الأمرُ أعظم منه ، ولو عُيِّن شيءٌ اقتصر عليه ، وربما خفَّ أمرُهُ عند السامع(٦) . ولهذا قصدٌ يؤثر في مواطن التعجب والتهويل والتعظيم فحذف الجواب من قولهِ : (حتى إذا جاؤها وفتحت أبوابُها) ؛ لأنَّ وصف ما يجدونه

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٢/٩٢٠ .

(٢) ينظر : مجاز القرآن : ٢/١٩٢ .

(٣) ينظر : معاني القرآن للأخفش : ٢/٤٩٧ .

(٤) ينظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ٢٠/٢٦٨-٢٦٩ .

(٥) الكشاف : ٤/٦٨ ، وينظر : روح المعاني : ٢٤/٣٤ .

(٦) ينظر : الإيضاح في علوم البلاغة : ١٨٨ ، ومعاني النحو : ٤/١٠٦ .

في الجنة لا يتناهى ، فَجُعِل الحذفُ دليلاً على ضيقِ الكلام عمَّا هو مُشاهد وتُركتْ النفوس تقدّر ، ولا تبلغ مع ذلك كُنْهَ ما هنالك[(١)].

وعدم تقدير جواب لـِ(إذا) في هذا الموطن أولى ؛ لأنّ المعنى يقتضي عدم التقدير خلافاً للنحاة الذين قدَّروا وأوَّلوا من دون النظر إلى مراد المعنى ، وهذا الجواب لا تستطيع اللغة أن تعبر عنهُ لقولهِ تعالى : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ السجدة : ١٧ ، ويعضد هذا الحديثُ الشريف : (قال اللهُ عزَّ وجلَّ : أعددتُ لعبادي الصالحين ما لا عينٌ رأتْ ولا أُذنٌ سمعتْ ولا خطر على قلب بشر) [(٢)] فأدَّى حذفُ جوابِ الشرط إلى إطلاق المعنى وتوسعِهِ .

٤- قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ الحجرات : ١ .

قال البيضاوي في معرض حديثه عن هذه الآية الكريمة "أي : لا تقدموا أمراً، فحذف المفعول ليذهب الوهم إلى كلّ ما يمكن ، أو تُرك ؛ لأنّ المقصود نفي التقديم رأساً ، أو لا تتقدموا ، ومنه مقدمة الجيش لمتقدميهم"[(٣)] . (لا تقدموا) أي : لا تقولوا قبل أن يقول رسولُ الله ﴿ ﷺ ﴾ وتقول العرب : فلانٌ يقدِّم بين يدي الإمام وبين يدي أبيه ، أي : يُعجل بالأمر والنهي دونه[(٤)] وقرئ[(٥)] : لا تَقَدَّموا ، وكلتا القراءتين عند

---

(١) ينظر : الإتقان في علوم القرآن : ٢/١٤٥-١٤٦ ، ومعاني النحو : ٤/١٠٦ .

(٢) صحيح مسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها) : ١١٣٦ .

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٢/٩٩٨ .

(٤) ينظر : مجاز القرآن : ٢ / ٢١٩ ، وغريب القرآن لابن قتيبة : ٤١٥ .

(٥) وهي قراءة الضحاك ويعقوب ، ينظر : المحتسب : ٢/٢٧٨ ، والمستنير في القراءات العشر : ٢/٤٥٥ .

الزجاج بمعنى واحدٍ[١] . فإنْ "كانَ المعنى واحداً على التساهل فثَمَّ فرقٌ بينهما من حيث اللغة ، قدمت يتعدى فتقديرهُ : لا تقدّموا القولَ والفعلَ بين يدي رسول الله ﴿ ﷺ ﴾ وَتَقْدُمُوا ليس كذا ؛ لأنّ تقديرهُ : لا تقدموا بالقول والفعل"[٢] ولحذف مفعول (تقدّموا) وجهان : "أحدهما : أن يحذف ليتناول كل ما يقع في النفس مما يقدَّم ، والثاني : ألاَّ يقصدَ قصدَ مفعولٍ ولا حذفِهِ ، ويتوجه بالنهي إلى نفس التقدمة ، كأنّهُ قيل : لا تقدموا على التلبس بهذا الفعل ، ولا تجعلوه منكم بسبيل كقولهِ تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ ﴾ غافر : ٦٨ ، ويجوز أن يكون من قدَّم بمعنى تقدَّم كوجَّهَ وبيَّن ، ومنه مقدمة الجيش خلاف ساقته ، وهي الجماعة المتقدمة منه ، وتعضدُهُ قراءةُ من قرأ : لا تَقَدَّمُوا (بثلاث فتحات) بحذف إحدى تاءي (تتقدموا إلا أنَّ الأول أملأُ بالحسن وأوجه وأشدُّ ملاءمةً لبلاغة القرآن والعلماء له أقبل"[٣] وقَدَمَهم يَقْدُمُهم قَدْماً وقدوماً وقَدِمَهم : صار أمامهم ، وفسَّر ثعلب (ت٢٩١هـ) قراءة (تُقدِّموا) بـ : لا تقدموا كلاماً قبل كلامِهِ ، و(تَقَدَّموا) بـ : لا تَقَدَّموا قبله[٤] ، وعلى هذا يحتمل أنْ يكون الفعل (تُقدّموا) متعدياً وحُذف مفعولُهُ للعموم والنهي متعلق بنفس الفعل دون تعرض لمفعولٍ معين ، ومحتمل أن يكون الفعلُ لازماً بمعنى (تَقَدَّم) أي : لا تتقدموا في شيءٍ ما من الأشياء[٥] . وعلى هذا لا يجوز جعل القراءتين بمعنىً واحدٍ للفرق المعنوي بين الفعل المتعدي واللازم . والفعل نفسُهُ (لا تُقدِّموا) على قراءة العامة يحتمل اللزوم والتعدي ، ومفعوله محذوف إمّا اقتصاراً كقولهم : هو يعطي ويمنع ، وإمّا اختصاراً للدلالة عليه ، أي : لا تقدموا

(١) ينظر : معاني القرآن وإعرابُهُ : ٣١/٥ .

(٢) إعراب القرآن للنحاس : ٢٠٨/٤ .

(٣) الكشاف : ٢٤٠/٤ .

(٤) ينظر : لسان العرب (قدم) . ولم أجد هذا الكلام في مجالس ثعلب ولا في فصيحه .

(٥) ينظر : البحر المحيط : ١٠٥/٨ ، ودراسات لأُسلوب القرآن الكريم : القسم الثالث : ١٩٤/٢ .

ما لا يصلحُ ، وأمّا وجه لزومِهِ نحو : وجَّه وتوجَّه فالقراءة تؤيدُهُ[١] . والقصد من حذف المفعول العموم والإطلاق "أي : ليذهب ذهن السامع إلى كل ما يمكن تقديمه من قولٍ أو فعل ، مثلاً : إذا جرت مسألة في مجلسِهِ ﴿ ﷺ ﴾ لا يسبقونه بالجواب ، وإذا حضر الطعام لا يبتدئون بالأكل وإذا ذهبوا معه ﴿ ﷺ ﴾ إلى موضع لا يمشون أمامه إلا لمصلحة دعت إليه ونحو ذلك"[٢] ، ولو قُدّر مفعولٌ في سياق الآية كان التقديرُ ترجيحاً بلا مرجح والأصح يكون التقديرُ عاماً ؛ لأنه أكثر فائدةً مع الاختصار مع قطع النظر مما يُقدم[٣] .

ويظهر من هذا الذي مرَّ أنّ حذف المفعول بهِ من الفعل (لا تُقدّموا) مقصودٌ مرادٌ وفاقاً للزمخشري ؛ لأنَّ السياق القرآني اقتضى إظهار الفعل من دون مفعولِهِ بهدف القصد إلى العموم والإطلاق ليشملَ بذلك كلَّ تقديمٍ سواء أكان بالقول أم بالفعل إبرازاً لمكانة الرسول ﴿ ﷺ ﴾ وتعليماً للمسلمين الأدب بحضرتِهِ ، ولو أراد مفعولاً بهِ لحدَّدهُ ، ولكنّه أطلق ولم يحدد ، وفي هذا الحذف توسعةٌ في المعنى بما لا يخفى والله أعلم[٤] .

ثانياً : أُسلوب الاستثناء :-

وهو من أساليب العربية التي جاء بها القرآن الكريم على مقتضى قواعدها وقد أولى البيضاوي عنايتَهُ بهذا اللون النحوي وأشار إلى التوسع في هذا الأُسلوب غير مرة ومن الأمثلة التي جاءت في كتابِهِ :

---

(١) ينظر : الدر المصون في علوم الكتاب المكنون : ١٠/٥ .

(٢) حاشية الشيخ زاده على تفسير البيضاوي : ٤/٢٦٩ .

(٣) ينظر : حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي : ٨/٧١ .

(٤) للمزيد : ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ١/٢٩٩ ، ٢/٧١٦ ، ٢/٩٤١ .

١- قال تعالى : ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمٖ مُّجۡرِمِينَ ۝٥٨ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴾ الحجر : ٥٨-٥٩ .

قال البيضاوي : "إن كان استثناءً من (قوم) كان منقطعاً ؛ إذ القوم مقيد بالإجرام ، وإن كان استثناءً من الضمير في مجرمين كان متصلاً ، والقوم والإرسال شاملان للمجرمين ، وآل لوط المؤمنين به وكأنّ المعنى : إنّا أُرسلنا إلى قوم أجرم كلُّهم إلا آلَ لوط منهم لنهلك المجرمين وننجي آل لوط منهم . ويدلّ عليه قولُهُ : (إنا لمنجوهم أجمعين) أي : مما يعذب به القوم"(١) .

قال الزمخشري : "فإن قلت : قوله تعالى : (إلا آل لوط) استثناءٌ متصلٌ أم منقطعٌ ؟ قلت : لا يخلو من أن يكون استثناءً من (قوم) فيكون منقطعاً ؛ لأنَّ القوم موصوفون بالإجرام ، فاختلف لذلك الجنسان ، وأن يكون استثناءً من الضمير في مجرمين ، فيكون متصلاً كأنه قيل : إلى قوم قد أجرموا كلُّهم إلا آل لوط وحدَهم ، كما قال : ﴿ فَمَا وَجَدۡنَا فِيهَا غَيۡرَ بَيۡتٖ مِّنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴾ الذاريات : ٣٦ ، فإن قلت : فهل يختلف المعنى لاختلاف الاستثناءين ؟ قلت : نعم وذلك أنّ آل لوط مخرجون في المنقطع من حكم الإرسال ، وعلى أنهم أُرسلوا إلى القوم المجرمين خاصّةً ، ولم يرسلوا إلى آل لوطٍ أصلاً . ومعنى إرسالهم إلى القوم المجرمين كإرسال الحجر أو السهم إلى المرميِّ في أنه في معنى التعذيب والإهلاك ، كأنه قيل : إنا أهلكنا قوماً مجرمين ، ولكنْ آل لوط أنجيناهم ، وأمّا في المتصل فهم داخلون في حكم الإرسال وعلى أن الملائكة أُرسلوا إليهم جميعاً ؛ ليهلكوا هؤلاءِ ، وينجُّوا هؤلاء ، فلا يكون الإرسال مخلصاً بمعنى الإهلاك والتعذيب كما في الوجه الأول"(٢) .

(١) المصدر نفسه : ٥٣٥/١ .

(٢) الكشاف : ٥٦١/٢ ، وينظر : التفسير الكبير : ٢٠٣/١٩ .

أما أبو حيان الأندلسي فقد أنكر أن يكونَ الاستثناء متصلاً في هذهِ الآية ، إذ قال : "والظاهر أنه استثناءٌ منقطعٌ ؛ لأنّ آل لوط لم يندرج في قوله : (قوم مجرمين) لا على عموم البدل ؛ لأنّ وصف الإجرام منتفٍ عن آل لوط ، ولا على عموم الشمول لتنكير قوم مجرمين ، ولانتفاء وصف الإجرام عن آل لوط ، وإذا كان استثناءً منقطعاً فهو مما يجب فيه النصب ؛ لأنّه من الاستثناء الذي لا يمكن توجُّهُ العامل على المستثنى فيه ؛ لأنهم لم يرسلوا إليهم أصلاً ، وإنما أرسلوا إلى القوم المجرمين خاصة ، ويكون قوله : (إنّا لمنجوهم) جرى مجرى خبر لكِنْ في اتصاله بآل لوط ؛ لأنّ المعنى : لكِنْ آل لوط منجون"(١) .

وقد ردَّ السمين الحلبي على أبي حيان الأندلسي قائلاً : "قلت : وفيه نظر ؛ لأنّ قولهم : لا يتوجه عليه العامل ، أي : لا يمكن نحو : "ضَحِكَ القومُ إلا حمارَهم"، و"صَهِلَتِ الخيلُ إلا الإبلَ" ، وأما هذا فيمكن الإرسال إليهم من غير منعٍ ، وأما قولُهُ: (لأنهم لم يرسلوا إليهم) فصحيح ؛ لأن حكم الاستثناء كلِّه هكذا ، وهو أن يكون خارجاً عن ما حُكِم به الأول ، لكنّه لو تَسلَّط عليه لصحَّ ذلك ، بخلاف ما ذكرتُهُ من أمثلتهم"(٢) .

وعليه فالاستثناء المنقطع معناهُ : أنّ الملائكة مرسلون إلى المجرمين خاصةً بالعذاب والهلاك دون آل لوط ، والمتصل معناهُ : الإرسال إليهم جميعاً بيدَ أنَّ الإهلاك للمجرمين والإنجاء لآل لوط . والمعنيان مرادان والسياق في الآية الكريمة يحتملهما الأمر الذي يمكن إدراجهما في باب الاتساع في المعنى القرآني والله أعلم .

---

(١) البحر المحيط : ٤٤٧/٥ .

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون : ١٦٨/٧ ، وينظر : اللباب في علوم الكتاب : ٤٧٢/١١ .

٢- قال تعالى : ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ النمل : ٦٥ .

قال البيضاوي : "هو التفرد بعلم الغيب والاستثناء منقطع ، ورفع المستثنى على اللغة التميمية للدلالة على أنه تعالى إن كان مِمَنْ في السموات والأرض ففيها من يعلم الغيب مبالغةً في نفيه عنهم ، أو متصل على أن المراد ممن في السموات والأرض من تعلَّق علمُهُ بها ، واطَّلع عليها اطلاع الحاضر فيها فإنّه يعم الله تعالى وأولي العلم من خلقه"(١) .

رُفِع المستثنى ؛ لأن ما قبل (إلا) مرفوع ، ولو نُصِب المستثنى كان صواباً ، هذا إذا كان النفي ما قبل (إلا) مع أسماء معرفة ، فإذا كان مع نكرة فلم يقولوا : إلا الإتباع لما قبل (إلا) نحو : ما ذهبَ أحدٌ إلا أبوك ، فلا تقل : إلا أباك ؛ لأنّ ما قبل (إلا) جمع وما بعدها واحد أو بعض منه ، وليس بكلّه(٢) .

واختلف أهلُ العربية في رفع لفظ الجلالة ، فالبصريون ذهبوا إلى أنّهُ بدلٌ من (مَنْ) ؛ لأنّهُ منفي عنهُ ، والكوفيون ذهبوا إلى العطف على : قُلْ لا يعلمُ أحدٌ الغيبَ إلا اللهُ ، ويجوز أن تكون (مَنْ) معرفة ، ويكون عطفاً أيضاً ولا يكون بدلاً ؛ لأن الأول منفي ، والثاني مثبت نحو : قامَ زيدٌ إلا عمروٌ فيكون الثاني عطفاً على الأول(٣) .

والله يَتَعالى أن يكون ممن في السمواتِ والأرض ، غير أنه جاء مرفوعاً على لغة بني تميم حيث يقولون : ما في الدار أحدٌ إلا حمارٌ ، أي : ما فيها إلا حمارٌ كأن أحداً لم يذكر ، واختيار هذه اللغة دعت إليه نكتة هي : إن كان الله ممن في السموات والأرض فهم يعلمون الغيب ، يعني أنَّ علمهم الغيب في استحالتِهِ كاستحالة أنْ يكونَ

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٧٧٤/٢ .

(٢) ينظر : معاني القرآن للفرّاء : ٢٩٨/٢-٢٩٩ ، ومعاني القرآن وإعرابُهُ : ١٢٧/٤ .

(٣) ينظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ١٠٥/١٨-١٠٦ .

اللهُ منهم ، وكون اللهِ في السموات والأرض مجازاً وكونهم فيهنّ حقيقة وإرادة المتكلم بعبارةٍ واحدةٍ حقيقةً ومجازاً غير صحيحة ؛ لأنَّ الجمعَ بينه وبينهم في إطلاق اسمٍ واحدٍ فيه ايهامُ تسويةٍ والايهاماتُ مُزالةٌ عنه وعن صفاته تعالى(١) .

والمعنى أنّه "لو نصب لكان مندرجاً تحت المستثنى منه ، وإذا رفع كان بدلاً، والمبدل منه في نية الطرح ، فصار العامل كأنه مفرغٌ له ؛ لأنّ البدل على نية تكرار العامل ، فكأنّه قيل : "قل لا يعلم الغيبَ إلا اللهُ" "(٢) .

فإن كان استثناءاً متصلاً ففيه معنى العموم "وليس في الآية استعمال اللفظ في حقيقته ومجازه ؛ لأنّ من في السموات والأرض ههنا أبلغ صيغ العموم ، وليس المراد بها معيناً فهي في قوة أحد المنفي بقولك : لا يعلم أحدٌ الغيبَ إلا الله ، وأتى في هذا بذكر السموات والأرض تحقيقاً لإرادة العموم والإحاطة ، فالكلام مؤدٍ معنى: لا يعلم أحدٌ الغيبَ إلا اللهُ ، وإنما نشأ الوهمُ في ظنهم أن الظرف ههنا للتخصيص والتقييد ، وليس كذلك ، بل لتحقيق الاستغراق والإحاطة فهو نظير الصفة في قولهِ تعالى : ﴿ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ ﴾ الأنعام : ٣٨ ، فإنها ليست للتخصيص والتقييد ، بل لتحقيق الطيران المدلول عليه بطائر ، فكذلك قوله : (مَنْ في السموات والأرض)، لتحقيق الاستغراق المقصود بالنفي"(٣) .

وهذا الإطلاق لا يُلزم أن يكون مجازاً بل له على وجه الحقيقة التي تليق بجلالتِهِ ولا يشابهُهُ فيها شيءٌ من مخلوقاتِهِ ، ويطلق ذلك على خلقِهِ حقيقة والمختصة

(١) ينظر : الكشاف : ٤٢٠/٣ ، وفتح القدير : ١٩٤/٤ .
(٢) البحر المحيط : ٨٧/٧ .
(٣) بدائع الفوائد : ٤١٩ .

به سبحانه لا تماثل التي لخَلقِهِ فتناول الحقيقة لهما لا يستلزم تماثلهما حتى يفر منه إلى المجاز[١] .

"والاستثناء على ما قيل : منقطعٌ تحقيقاً متصلٌ تأويلاً"[٢] . فالمنقطع يدلُّ على تفردِهِ سبحانه بالعلم وحدَهُ مبالغةً في النفي عنهم ، والمتصل يعمُّ الله سبحانه وأولي العلم من خلقه على حقيقة علم الله التي لا تماثُلها حقيقة .

٣- قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴾ الزخرف : ٢٦-٢٧ .

قال البيضاوي : "استثناء منقطع أو متصل على أن (ما) يعم أولي العلم وغيرهم ، وأنهم كانوا يعبدون الله والأصنام والأوثان"[٣] .

فيجوز أنْ يكون استثناءاً من قولهِ : (مما تعبدون) ، ويجوز أن يكون بمعنى (لكِنْ) أي : استثناءاً منقطعاً[٤] . "كأنه قال : لكن الذي فطرني فإنّه سيهدين"[٥] ، وأغفل البيضاوي وجهَ الجرّ في المستثنى على أن يكون "بدلاً من المجرور بمِنْ ، كأنّه قال : إنني براءٌ مما تعبدون إلا من الذي فطرني . فإن قلت : كيف تجعلُهُ بدلاً وليس من جنس ما يعبدون ؟ من وجهين : أحدهما : أن ذاتَ الله مخالفةٌ لجميع الذوات ،

(١) ينظر : المصدر نفسه : ٤٢٠ .

(٢) روح المعاني : ٩/٢٠ .

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٩٥٧/٢ .

(٤) ينظر : معاني القرآن للنحاس : ١١٤٥/٢ .

(٥) الكشاف : ١٥٢/٤ ، وينظر : الجامع لأحكام القرآن : ٢٧/١٩ .

فكانت مخالفةً لذوات ما يعبدون ، والثاني : أنَّ الله تعالى غيرُ معبودٍ بينهم والأوثان معبودة . قلت: قالوا : كانوا يعبدون الله مع أوثانهم"[١] .

ولم يُجوّز أبو حيان الأندلسي وجهَ البدل المجرور ، قال : "ووجه البدل لا يجوز ؛ لأنه إنما يكون في غير الموجب من النفي والنهي والاستفهام ، ألا ترى أنّه يصلح ما بعد إلاّ لتفريغ العامل له ، وإنني بريءٌ جملة موجبة فلا يصلح أن يفرغ العامل فيها للذي هو بريء لما بعد إلا ، وعن الزمخشري كون بريء فيه معنى الانتفاء ، ومع ذلك فهو موجب لا يجوز أن يفرغ لما بعد إلاّ"[٢] .

وردَّ السمين الحلبي على أبي حيان الأندلسي قائلاً : "قد تأوَّل النحاة ذلك في مواضعَ من القرآن كقوله تعالى : ﴿ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ ﴾ التوبة : ٣٢ ... والاستثناء المفرغ لا يكون في إيجاب ، ولكن لمّا كان "يأبى" بمعنى : لا يفعل ... ساغ فهذا مثلُهُ"[٣] . معنى هذا أنّ النفي آتٍ من معنى الفعل (يأبى) .

وقد يقع الاستثناء المفرغ في الإيجاب كقوله تعالى : ﴿ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴾ البقرة : ٤٥ ، وقوله : ﴿ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ ﴾ ، فلما كان المعنى : وإنها لا تسهُلُ إلا على الخاشعين ، ولا يريد الله إلا أن يتمَّ نورَهُ . جاز ذلك[٤] . وكلفظ (قلَّ) تستعملُهُ العربُ بمعنى النفي ، نحو : قلَّ رجلٌ يقولُ ذاك إلا زيدٌ ، أي : ما رجلٌ يقول ذاك إلا زيدٌ ، فالبدل محمولٌ على المعنى لا على اللفظ[٥] .

---

(١) الكشاف : ١٥٢/٤ .

(٢) البحر المحيط : ١٣/٨ .

(٣) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون : ٥٨٢/٩ .

(٤) ينظر : مغني اللبيب : ٣٣٣/٢ ، وحاشية الصبان : ٢٢٣/٢ .

(٥) ينظر : الأشباه والنظائر في النحو : ١٠٤/٢ .

وبهذا يتضح أنّ وجه البدل واردٌ عن العرب في الاستثناء المفرغ من جهة المعنى لا اللفظ وفاقاً للزمخشري ، فإن كان الاستثناء متصلاً ؛ فلأنّهم كانوا يشركون مع الله غيرَهُ ، وإن كان منقطعاً فهو ليس من جنسهم ، وإن كان مفرغاً من جهة المعنى فهو قريبٌ من معنى المتصل وكلٌّ مرادٌ ههنا والمعنى محتملٌ لها جميعاً على وجه الاتساع في المعنى .

٤- قال تعالى : ﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَـٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴾ الحديد : ٢٧ .

قال البيضاوي تعليقاً على (إلا ابتغاءَ) : في الآية الكريمة : "استثناء منقطع ، أي : ولكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله ، وقيل : متصل فإن ما كتبناها عليهم بمعنى : ما تعبدناهم بها وهو كما ينفي الإيجاب المقصود منه دفع العقاب ينفي الندب المقصود منه مجرد حصول مرضاة الله ، وهو يخالف قولَه : ابتدعوها إلا أن يقال : ابتدعوها ثم ندبوا إليها ، أو ابتدعوها بمعنى : استحدثوها وأتوا بها أو ؛ لأنهم اخترعوها من تلقاء أنفسهم"(١) . والرهبانية فرقة خرجت إلى الصحاري وبَنَتِ الصوامع وطلبتْ أن تَسْلم على أن تعتزل فتُركَت فَسُمُّوا بالرهبان من الرهب وهو الخوف فهذا هو ابتداعُهُم ولم يفرض اللهُ ذلك عليهم(٢) . وفي قولِهِ : (إلا ابتغاءَ رضوان الله) قولان : "أحدهما : أنه استثناءٌ منقطعٌ ، أي : ولكنّهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله ، الثاني : أنه استثناء

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ١٠٥٠/٢ .

(٢) ينظر : المحرر الوجيز : ٢٧٠/٥ ، وفتح القدير : ٢٣٧/٥ .

متصل ، والمعنى : أنّا ما تعبدناهم بها إلا على وجه ابتغاء مرضاة الله تعالى ، والمراد : أنها ليست واجبة ، فإن المقصود من فعل الواجب دفع العقاب ، بل المقصود منه ليس إلا تحصيل مرضاة الله"(١) فيكون المعنى : أنّ الله سبحانه وتعالى كتبها عليهم ابتغاء مرضاتِهِ ، وكتب ههنا بمعنى : قضى(٢) . والاستثناء المتصل هو مما هو مفعولٌ من أجلِهِ ، أي : ما كتبناها عليهم لشيء من الأشياء إلا لابتغاء مرضاة الله(٣) . فصار المعنى : كتبناها عليهم وأمرناهم بها ابتغاء مرضاة الله . وهذا لا يخالف ابتداعهم لها من تلقاء أنفسهم ؛ لأنّ التنافي إنما يكون لو كانت الكتبة مقدمة على الاختراع ، أي : فعلوها حديثاً لم يسبقهم سائر الناس فيها والابتداع بهذا المعنى لا ينافي كونها مكتوبة عليهم وإتيانهم بها بعد الكتبة والابتداع بناءاً عليها(٤) . فقولُهُ : (ابتدعوها) يقتضي أنهم لم يؤمروا بها أصلاً ، و(ما كتبناها عليهم) يقتضي أنهم أُمروا بها لابتغاء رضوان الله تعالى(٥). فالاستثناء إن كان منقطعاً فهو يشير إلى ابتداع الرهبانية واستحداثها من تلقاء أنفسهم، وإن كان متصلاً فهو مظنة القضاء للرهبانية من عند الله سبحانه لكن ليس على سبيل الوجوب ، والتوسع حاصل بكلا المعنيين المرادين في الرهبانيين والله أعلم(٦) .

---

(١) التفسير الكبير : ٢٤٧/٢٩ ، وينظر : غرائب القرآن ورغائب الفرقان : ٢٦٢/٦ .

(٢) ينظر : البحر المحيط : ٢٢٧/٨ .

(٣) ينظر : الدر المصون في علوم الكتاب المكنون : ٢٥٧/١٠ ، واللباب في علوم الكتاب : ٥٠٦/١٨ .

(٤) ينظر : حاشية الشيخ زاده على تفسير البيضاوي : ٣٦١/٤-٣٦٢ .

(٥) ينظر : روح المعاني : ١٩١/٢٧ .

(٦) للمزيد : ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٧٥٢/٢ ، ٨٩١/٢ ، ١١٤٣/٢ .

الفصل الثانـي
التوسع في المستوى الصرفي

المبحـث الأول : القراءات القرآنيـــة .
المبحث الثاني : تعدد الصيغ الصرفية .
المبحث الثالث : الاشتقـــــــــاق .

الفصل الثاني

التوسع في المستوى الصرفي

المبحث الأول : القراءات القرآنية

عرفها الزركشي (ت٧٩٤هـ) بأنّها : "اختلاف ألفاظ الوحي – المذكور – في كتبة الحروف أو كيفيتها من تخفيف وتثقيل وغيرهما"(١) وهذا الاختلاف في الألفاظ التي قُرئت بوجهين أو أكثر أحد مظاهر التوسع في المعنى في التعبير القرآني "لأنَّ في اختلافها توفيراً لمعاني الآية غالباً فيقوم تعدد القراءات مقام تعدد كلمات القرآن"(٢) ومن هنا تبرز فائدةُ القراءات في أنّها تثري العبارة القرآنية بزيادة المعاني وحشدها ما احتملَ ذلك السياقُ ، وعلى وفق الضوابط النحوية والصرفية في العربية ، وسأتناول الدراسة الصرفية المترتبة على هذه القراءات على وفق الصيغ الصرفية التي جاءت عليها القراءة ، والأمثلة في كتاب البيضاوي كثيرة منها :

١- بين اسم الفاعل وصيغة المبالغة :

قال تعالى : ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾ الفاتحة : ٤ .

قال البيضاوي : "قراءة عاصم والكسائي ويعقوب(٣) ، ويعضدهُ قولُهُ تعالى : ﴿ يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ ﴾ الانفطار : ١٩ ، وقرأ الباقون(٤) : مَلِكِ، وهو المختار ؛ لأنّه قراءة أهل الحرمين ، ولقوله تعالى : ﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ﴾ غافر : ١٦ ، ولما فيه من التعظيم ، والمالك هو المتصرف في الأعيان المملوكة كيف يشاء من المِلْك ، والمَلِكُ هو المتصرف بالأمر والنهي في المأمورين من المُلك"(٥) ، وحجة

---

(١) البرهان في علوم القرآن : ٢٢٢ ، وينظر : علم القراءات : ٢٧ .

(٢) التحرير والتنوير : ٥٦/١ .

(٣) ينظر : النشر في القراءات العشر : ٢٧١/١ .

(٤) ينظر : المصدر نفسه والصفحة نفسها .

(٥) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ١٤/١ .

من قرأ (مالك) بأنّ : "المُلكَ داخل تحت المالك ، واحتج بقولِهِ تعالى : ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ ﴾ آل عمران : ٢٦ "(١) وحجة من قرأ (مَلِكِ) بأنَّ : "مَلِكاً أخصُّ من مالك وأمدح ؛ لأنَّه قد يكون المالك غير ملكٍ ، ولا يكون الملِكُ إلا مالكاً"(٢) . "والمصدر من (المَلِك) : (المُلك) يقال : (هذا مَلِكٌ عظيمُ المُلك) ، والاسم من (المالك) : (المِلْك) يقال : (هذا مالكٌ صحيح المِلْك) بكسر الميم"(٣) .

فلقراءة (مالِكِ) أوجهٌ دلالية منها : الأول : فيه حرف زائد والقراءة تكون أكثر ثواباً ، والثاني : يحصل في يوم القيامة ملوك كثيرون ، أمّا المالك الحقّ فهو الله سبحانه وتعالى ، والثالث : المالكية سبب لإطلاق التصرف في المِلْك ، والملكية ليست كذلك فالمالك أولى من الملك ، والرابع : المَلِك مَلِكٌ للرعية ، والمالك مالكٌ للعبيد ، والعبيد أدون حالاً من الرعية فثبتَ القهر في المالكية أكثر منه في الملكية ، والخامس : الرعية يمكنهم إخراج أنفسهم عن سيطرة الملك ، أمّا المملوك فلا يمكنه ذلك فالمالكية أكمل من الملكية في التسلط(٤) . ولقراءة (مَلِكِ) أوجه دلالية أيضاً منها: الأول : إنّ كلَّ واحدٍ من أهل البلد مالكٌ ، أما المَلِك فهو أعلى الناس فكان أشرف من المالك(٥) . والثاني : إن أمرَ الملك نافذ على المالك فلا يتصرف إلا عن تدبير الملك(٦) . "وقد رجَّح كلُّ فريقٍ إحدى القراءتين على الأخرى ترجيحاً يكادُ يسقط القراءة الأخرى وهذا غير مرضيّ ؛ لأن كلتيهما متواترة"(٧) قال الآلوسي : "وعندي لا ثمرة

---

(١) إعراب القراءات السبع وعللها : ٤٧/١ .

(٢) المصدر نفسه والصفحة نفسها .

(٣) حجة القراءات : ٧٨ ، وينظر : حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي : ٩٧/١ .

(٤) ينظر : التفسير الكبير : ٢٤١/١ .

(٥) ينظر : المصدر نفسه : ٢٤٢/١ .

(٦) ينظر : الجامع لأحكام القرآن : ٢١٦/١ ، وفتح القدير : ٨٧/١ .

(٧) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون : ٤٨/١ . (٢) روح المعاني : ٨٣/١-٨٤ .

للخلاف والقراءتان فرسا رهانٍ ولا فرقَ بين المالك والملك ... ولا التفات إلى من قال : إنهما كحاذر وحَذِر ، ومتى أردتُ ترجيح أحد الوصفين تعارضت لديّ الأدلة وسدت عليَّ البابَ الآثارُ وانقلب إليَّ بصرُ البصيرة خاسئاً وهو حسير إلا أني أقرأ كالكسائي (مالك) لأحظى بزيادة عشر حسنات ؛ ولأن فيه إشارة واضحة إلى الفضل الكبير والرحمة الواسعة والطمع بالمالك من حيث إنَّه مالك فوق الطمع بالملك ؛ لأنه ملك فأقصى ما يرجى من الملك أن ينجو الإنسان منه رأساً برأسٍ ومن المالك يرجى ما هو فوق ذلك فالقراءة به أرفقُ بالمذنبين مثلي"[1] وعلى هذا فالقراءتان جمعتا بين معنيي المالك والملك فيكون مَالكاً ومَلِكاً[2] ، وهذه الأوجه كلُّها مرادة في ذات الله سبحانه فهو المالك والملك على الحقيقة ، ولو لم تردْ قراءة المَلِك لما أمكن هذا التوسع في سياق الآية الكريمة فتعددت المعاني بتعدد القراءات .

٢- بين (فَعَلان) بفتح العين (مصدراً)، و(فَعْلان) بإسكانها (مصدراً أو نعتاً):

قال تعالى :﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟ ﴾ المائدة : ٢

ذكر البيضاوي أنّ : معنى (شَنَآن قوم) أي : شدة بغضهم وعداوتهم ، وقرأها ابن عامر وإسماعيل عن نافع وابن عياش عن عاصم بسكون النون[4] ، أي : شَنْآن على فَعْلان ، وهو مصدر أو نعت بمعنى : بغيض قوم ، وفَعْلان في النعت أكثر

---

(٣) ينظر : لمسات بيانية : ٣٤ . (٤) في (السبعة في القراءات : ٢٤٢) : قرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة والكسائي وعاصم برواية حفص ونافع برواية ابن جمّاز والأصمعي وورش وقالون (شَنَآن) مثقلةً محركة النون . وقرأ ابن عامر وعاصم برواية أبي بكر ونافع برواية إسماعيل بن جعفر والواقدي والمسيّبي (شَنْآن) خفيفةً ساكنة النون .

كسَكْران[١] . قال سيبويه : "وقالوا : لَوَيتهُ حقَّهُ لَيّاناً على فَعْلان"[٢] ، وذكر أنّ (الشَنَآن) بفتحتين شاذٌّ ؛ لأن فعلَهُ تعدى الفاعل إلى المفعول نحو : شَنِئْتُهُ شَنَآناً[٣] .

قال الفراء : "وهو لا يحملنّكم بغضُ قومٍ ، فالوجه إذا كان مصدراً أنْ يثقل – تحريك النون بالفتح – وإذا أردت بهِ بغيضُ قومٍ ، قلتَ : شَنْآن"[٤] بسكون النون ، "فـ(الشَنَآن) متحركٌ مثل : (الدَرَجان) و(المَيَلان) وهو مِنْ : (شَنِئْتُهُ فأنا أشنؤهُ شنآناً)"[٥] .

و"لَيَّاناً أصلُهُ لِيّاناً ؛ لأنّه ليس في المصادر فَعْلان ، وإنما يجيء على فِعْلان وفُعْلان كثيراً كالوِجْدان والإتْيان والعِرْفان ، فكأنّ أصلَهُ : لِيَّان أو لُيّان ، فاستثقلوا الكسرة والضمة مع الياء المشددة ففتحوا استثقالاً"[٦] إلا أنَّ أبا عليّ الفارسيّ(ت٣٧٧هـ) جوّز القياس على (فَعْلان) ؛ لأنّ (فَعْلان) بالسكون جاء مصدراً ووصفاً لكنهما قليلان فالمصدر نحو : لويتُهُ حقَّهُ لَيَّاناً ، والوصف نحو : نَدْمان ، ويجوز القياس على هذا[٧] . والقراءتان شاذتان عند الجوهري (ت٣٩٨هـ) قال : "الشناءَةُ ، مثال : الشناعة : البغض ، وقد شَنَأْتُهُ شَنْئاً وشُنْئاً وشِنْئاً ، ومَشناً ، وشَنَآناً بالتحريك ، وشَنْآناً بالتسكين ، وقد قرئ بهما قوله تعالى : (شَنَآنُ قُومٍ) ، وهما شاذّان، فالتحريك شاذٌّ في المعنى ، لأنَّ فَعَلان إنما هو من بناء ما كان معناهُ الحركة والاضطراب كالضَرَبان والخَفَقان ،

---

(١) ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل :٢٥٧/١ .

(٢) الكتاب : ٩/٤ .

(٣) ينظر : المصدر نفسه : ١٥/٤ .

(٤) معاني القرآن : ٣٠٠/١ .

(٥) معاني القرآن للأخفش : ٢٧١/١ .

(٦) شرح كتاب سيبويه للسيرافي : ٤٠٢/٤ .

(٧) ينظر : الحجة للقراء السبعة : ٢٠٠/٣ ، والممتع في التصريف : ٨٩ ، وشرح شافية ابن الحاجب : ١٥٩/١ .

والتسكين شاذٌّ في اللفظ ؛ لأنّه لم يجيءْ شيءٌ من المصادر عليه"[١] وشَنَآن مصدر قياسي لـ : شَنِئتُهُ أشنؤهُ شَنَآناً : أبغضتُهُ ، والمعنى على قراءة فتح النون من (شَنَآن) : لا يحملنّكم بغضُ قومٍ ، وعلى تسكين النون : لا يحملنّكم رجلٌ بغيضُ قومٍ ثم حُذِف الموصوف وأُقيمت الصفةُ مُقامَهُ ، والمصدر مضاف إلى المفعول ، أي : لا يحملنكم بغضكم لقومٍ على كذا ، أو مضاف إلى الفاعل ، أي : لا يحملنَّكم بغضُ قومٍ إياكم[٢] .

قال الشيخ زاده : "فَعْلان بسكون العين قليل في المصادر كلَيَّان وكثير في الصفات نحو : سَكْران ، وفَعَلان بالفتح قليل في الصفات نحو : عَدَوان بمعنى : شديد العدو ، وكثير في المصادر نحو : غَلَيان ونَزَوان والمصنف جعل شنآن بالتحريك مصدراً حيث فسَّرهُ بشدة البغض بناءً على أنَّ فَعَلان بالتحريك قليل في الصفات"[٣] أما قول الجوهري بأنَّ التحريك شاذٌّ في المعنى ففيه نظر ، لأنَّ فَعَلان بالفتح "من المصادر الدالّة على الاضطراب والتقلُّب ؛ لأنَّ الشَنَآن فيه اضطراب النفس فهو مثل الغَلَيان والنَّزَوان"[٤] كأنَّ نفوسَهم مضطربة تغلي وتفور ، متحركة من شدة بغضِهِم وعداوتِهِم ، وأمّا التسكين فقد وردَ مصدراً على نحو ما مرَّ حتى أنَّ أبا عليّ الفارسي قاس عليه في كلامِهِ المذكور آنفاً وإنْ كان قليلاً ، وفي هذا توسع مفادُهُ أنَّ المعنيين مرادان :

الأول : لا يحملنَّكم بغضُ قومٍ إياكم أنْ صدوكم عن المسجد الحرام ، أي : الانتقام منهم بإلحاق مكروهٍ بهم .

والآخر : لا يحملنَّكم بغضُكُم لقومٍ الاعتداء عليهم والنيل منهم .

---

(١) تاج اللغة وصحاح العربية : (شنأ) .

(٢) ينظر : الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد : ٣٩٩/٢-٤٠٠ ، وملاك التأويل : ٣٧٠/١ .

(٣) حاشية الشيخ زاده على تفسير البيضاوي : ١٩١/٢ .

(٤) التحرير والتنوير : ٨٦/٦ ، وينظر : أبنية الصرف في كتاب سيبويه : ٢١٣ .

٣- بين اسم الفاعل واسم المفعول :

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ يوسف : ٢٤

قال البيضاوي تعليقاً على لفظة (المخلصين) : "الذين أخلصهم الله لطاعتِهِ ، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر ويعقوب بالكسر (المخلِصين) [١] في كل القرآن إذا كان في أوّله الألف واللام ، أي : الذين أخلصوا دينَهم لله"[٢] يقال : هذا الشيءُ خالصةٌ لك ، أي : خالصٌ لك خاصّة ، وأخلصتُ للهِ ديني : أمحضتُهُ ، والمُخلَصون بفتح اللام : المختارون ، والمُخْلِصون بالكسر : الموحِّدون ، والخِلاص: زُبْدُ اللّبن يستخلصُ منه ، أي : يستخرجُ[٣] . والقراءةُ بكسر اللام (المخلِصين) معناها : أنّ الله سبحانَهُ وصفهم بالإخلاص كقولِه تعالى : ﴿ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ الأعراف : ٢٩ نحو : أخلصَ يُخلصُ إخلاصاً فهو مُخْلِصٌ ، والقراءةُ بفتح اللام (مُخْلَصين) على أنهم مفعولون ، أي : أخلصهم الله فصاروا مُخْلَصِين كقوله تعالى : ﴿ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴾ ص : ٤٦ [٤] . و(المُخْلِصين) هم الذين أخلصوا دينَهم وأعمالَهم من الرياء فإذا أخلصوا فهم مُخْلِصون فترى الفعل في اللفظ له ، و(المُخلَصين) هم الذين أخلصهم الله من السوء والفُحش فصاروا مُخْلَصين بإخلاص الله إياهم[٥] .

قال مكي القيسي : "وفتح اللام أحبُّ إليّ ؛ لأنهم لم يُخلِصوا أنفسَهم لعبادة الله إلا من بعد ما اختارهم الله وأخلصهم لذلك ، وقد قال تعالى ذكرُهُ : ﴿ وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ

(١) وقرأ الباقون بفتحها ، ينظر : السبعة في القراءات : ٣٤٨ .
(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ١/٤٨٣ .
(٣) ينظر : العين (خلص) : ١/٤٣٣ ، ولسان العرب (خلص) .
(٤) ينظر : إعراب القراءات السبع وعللها : ١/٣٠٩ ، والتبيان في إعراب القرآن : ٢/٥٤ .
(٥) ينظر : حجة القراءات : ٣٥٨-٣٥٩ ، والدر المصون في علوم الكتاب المكنون : ٦/٤٧٠.

لِلَّهِ ﴾ النساء : ١٤٦"(١) . والحديث عن يوسف ﴿ عليه السلام ﴾ ودخولِهِ في سلك المُخلِصين والمُخلَصين ؛ لأنّه أخلص نيَّته وطاعته لله سبحانَهُ وأخلصهُ الله كذلك . وكلتا القراءتين الدالتين على اسمي الفاعل والمفعول مرادتان ، وهو توسعٌ في المعنى ظاهرٌ ، والقراءتان مقبولتان في هذا السياق ؛ لأنّ المعنى موائمٌ لكلتيهما، ويوسف ﴿ عليه السلام ﴾ النبيّ والصِّديق من عباد الله المُخْلِصين والمُخْلَصين بكسر اللام وفتحها ، فجريان الصيغتين بصيغة اسم الفاعل واسم المفعول متمثلٌ في شخصِهِ الكريم ﴿ عليه الصلاة والسلام ﴾ .

٤- بين (الفَعْل) بفتح الفاء (مصدراً) ، و(الفِعْل) بكسرها (اسماً للمصدر) :

قال تعالى : ﴿ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَاۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝٥ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ۝٦ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ النحل : ٥-٧

قال البيضاوي تعليقاً على قوله : (بِشقّ الأنفس) : "إلا بكلفة ومشقة ، وقرئ(٢) بالفتح وهو لغة فيه ، وقيل : المفتوح مصدر : شَقَّ الأمرُ عليه وأصلُهُ : الصَّدعُ . والمكسور بمعنى : النِّصف كأنَّه ذهب نصفُ قوتِهِ بالتعب"(٣) .

وكسر الشين من (شِقّ) معناهُ : بجهد الأنفس ، وقد يكون بمعنى : النصف ، أي : يذهب الجهد بالنّصف من قوة الرجل ، وكأنَّ المكسور اسمٌ والمفتوح مصدر ، والعرب تقول : المالُ بيني وبينك شَقّ الشعرة وشِقّ الشَعرة وهما متقاربان(١) .

---

(١) الكشف عن وجوه القراءات السبع : ٢/٩-١٠ .

(٢) وهي قراءة أبي جعفر وعمرو بن ميمون وابن أرقم ، ينظر : المحتسب : ٢/٧ .

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ١/٥٤١ .

والشَقُّ والشِقُّ كلاهما بمعنىً[٢] .

وأصلُّ الشق : الانصداع في الشيء ، تقول : شققتُ الشيءَ أشقُّهُ شَقّاً : إذا صدعتَهُ ، وأصابَ فلاناً شِقٌّ ومَشقةٌ وذلك الأمرُ الشديد كأنّه من شدتِهِ يشقُّ الإنسانَ شقاً[٣] .

وحَملُ (الشِقّ) على كلا المعنيين جائز ، فإن حُمِل على المشقة فالمعنى : لم تكونوا بالغيهِ إلا بالمشقة ، وإن حُمِل على نصف الشيء فالمعنى : لم تكونوا بالغيهِ إلا عند ذهاب النّصف من قوتكم أو من بدنكم[٤] .

فالشِقّ بالكسر له معنيان : الأول : المشقة والجهد ، والآخر : النصف عَلاوة على مجيء المعنى الثالث عن طريق القراءة بفتح الشين وهو من الصدع ، أي : لولا الأنعامُ التي تحمل أثقالكم إلى البلاد النائية لشَقَّ عليكم الأمر وتصدعتم ، وكل هذهِ المعاني مرادة في سياق الآية وفي ذلك سعة في المعاني التي تنطوي عليها والله أعلم .

٥- بين (فَعالة) بفتح الفاء (مصدراً) ، و(فِعالة) بكسرها (اسماً للمصدر) :

قال تعالى : ﴿ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴾ الكهف : ٤٤

ذكر البيضاوي أنّ (الوَلاية) بفتح الواو بمعنى : النصرة لله وحدَهُ ، أو النصرة لأوليائهِ وقرأ حمزة والكسائي[٥] (الوِلاية) بكسر الواو بمعنى : السلطان والملك الذي لا

---

(١) ينظر : معاني القرآن للفراء : ٩٧/٢ ، والكشف والبيان : ٧/٦ .

(٢) ينظر : معاني القرآن للنحاس : ٦١٧/٢ ، والمحتسب : ٧/٢ .

(٣) ينظر : مقاييس اللغة (شقّ) : ٤٤٢ – ٤٤٣ .

(٤) ينظر : التفسير الكبير : ٢٣٤/١٩ ، والدر المصون في علوم الكتاب المكنون : ١٩٥/٧ .

(٥) وقرأ الباقون بفتحها ، ينظر : السبعة في القراءات : ٣٩٢ .

يغلب ولا يُمنع منه هنالك ، أو لا يُعبد غيرُهُ[1] . وذكر الفراء تعليقاً على قولِهِ تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَـٰيَتِهِم ﴾ الأنفال : ٧٢ ، أنّ: الوَلاية ، والوِلاية بفتح الواو وكسرها معناهما واحد ، إذ قال : "وقد سمعناهما بالفتح والكسر في معناهما جميعاً"[2] وفي سورة الكهف أنّ : الوِلاية بكسر الواو هي بمعنى المُلك[3] . قال الطبري : "واختلف القرأةُ في قراءة قولِهِ : (الوَلاية) ، فقرأ بعض أهل المدينة والبصرة والكوفة : (هنالك الوَلاية) بفتح الواو من (الوَلاية) يَعْنُون بذلك: هنالك الموالاة لله ، كقول الله : ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ البقرة : ٢٥٧ ، وكقولِهِ : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ محمد : ١١ ، يذهبون بها إلى الوَلاية في الدين ، وقرأ ذلك عامة قرأة الكوفة : (هنالك الوِلاية) بكسر الواو مِنَ المُلك والسلطان ، من قول القائل : وَلِيتُ عملَ كذا ، أو بلدةَ كذا أليهِ وِلايةً ، وأولى القراءتين في ذلك بالصواب قراءةُ من قرأ بكسر الواو ، وذلك أنّ الله عقّب ذلك خبره عن مُلكهِ وسلطانِهِ وأن مَنْ أحلَّ بهِ نقمتَهُ يوم القيامة فلا ناصرَ له يومئذٍ ، فاتباع ذلك الخبر عن انفرادِهِ بالمملكة والسلطان أولى من الخبر عن الموالاة التي لم يجرِ لها ذكرٌ ، ولا معنى لقول من قال : لا يسمى سلطان الله وِلايةً وإنما يسمى ذلك سلطان البشر ؛ لأنّ الوِلاية معناها أنّه يلي أمرَ خلقِهِ منفرداً به دون جميع خلقِهِ لا أنّه يكون أميراً عليهم"[4] ، وذهب القرطبي (ت٦٧١هـ) إلى أنَّ القراءةَ بالفتح والكسر معناهما واحدٌ كالرِّضاعة بكسر الراء والرَّضاعة بفتحها[5] . إلا أن (الوَلاية) بفتح الواو : المصدر ، وبالكسر : الاسم مثل : الإمارة والنِّقابة ؛ لأنّه اسم لما توليتَهُ

---

(١) ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٦٠٧/٢ .

(٢) معاني القرآن : ٤١٩/١ .

(٣) ينظر : المصدر نفسه : ١٤٦/٢ .

(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ٢٧٠/١٥ ، والكتاب الموضح في وجوه القراءات : ٧٨٥/١ .

(٥) ينظر : الجامع لأحكام القرآن : ٢٨٧/١٣ .

وقمتَ بـهِ فـإذا أرادوا المصدر فتحوا ، فمن فتح الواو جعلها من النُّصرة ، ومن كسر الواو جعلها بمعنى : السلطان والمُلك[1] .

ولَحَّنَ أبو عمرو بن العلاء (ت١٥٤هـ) ، والأصمعي (ت٢١٦هـ) القراءة بكسر الواو وذلك ؛ لأنّ (فِعالة) تجيء فيما كان صنعةً أو معنىً متقلَّداً ، وليس هناك تولي أمور[2] . ويبدو أنّ تلحينَ هذهِ اللغة فيه نظر ؛ لأنَّ سياق الآية يتحدث عن يوم القيامة و(الوِلاية) بالكسر فِعالة وهو من الأوزان الدالة على الحرفة والصناعة كالكِتابة والخِياطة[3] "والمعنى هنالك السلطان والغلبة له تعالى لا يُغلب ولا يُعبد غيرهُ بل يلتجئ إليه كلُّ مضطّر مغلوب فيه فلذلك قال الكافر : ﴿ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُشۡرِكۡ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ﴾ الكهف : ٤٢ ، جَزَعاً مما ساقَهُ إليه شؤمُ كفرِهِ"[4] ولا يجوز جعل الوزنين (فَعالة وفِعالة) بمعنىً واحدٍ على ما مرَّ ذكرُهُ من الفرق بينهما ، وظاهر الأمر أنّ القراءتين مرادتان في هذا السياق من التعبير القرآني مما أمكن أن يكونَ التوسع في المعنى مقصوداً بالجمع بين المعنيين كليهما .

٦- بين (الفَعَل) بفتح العين (اسماً للمصدر) ، و(الفَعْل) بتسكينها (مصدراً واقعاً موقع اسم المفعول) :

قال تعالى : ﴿ إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمۡ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴾ الأنبياء : ٩٨

(١) ينظر : لسان العرب (ولي) .

(٢) ينظر : البحر المحيط : ١٢٤/٦ ، والدر المصون في علوم الكتاب المكنون : ٤٩٩/٧ .

(٣) ينظر : همع الهوامع : ٢٨٣/٣ .

(٤) حاشية الشيخ زاده على تفسير البيضاوي : ٢٦٢/٣ .

قال البيضاوي عن (الحصب) : "ما يُرمى به إليها وتهيج به ، مِنْ حَصَبَهُ يحصِبُهُ : إذا رماهُ بالحصباء ، وقرئ[1] بسكون الصاد وصفاً بالمصدر "[2] . فمن قرأ (حَصْبُ جهنم) بسكون الصاد ، فهو على إيقاع المصدر موقع اسم المفعول كالخَلْقِ في معنى المخلوق[3] .

"وحَصَبَه يحصِبُهُ حَصْباً : رماهُ بالحصباء ، وتحاصبوا : تراموا بالحصباء... والحَصَبُ كلُّ ما ألقيتَهُ في النار من حَطَبٍ وغيره ، وفي التنزيل : (حَصَبُ جهنم) . ولا يكون الحَطَبُ حَصَباً حتى يُسْجَرَ بهِ"[4] .

والحَصَبُ بفتح الصاد : هو ما توقد به النار ، وبسكونها مصدر حَصَبتَها ، أي : أوقدتَها فيكون بمعنى المحصوب[5] .

والحَصْب بإسكان الصاد مصدرٌ فيه معنى المبالغة[6] .

وصيغة (فَعَلٍ) بفتحتين من الصيغ التي تفيد مبالغة اسم المفعول كالحَصَب بمعنى المحصوب ، ورجلٌ نَكَلٌ للذي ينكلُ به أعداؤُهُ ، وهذا العدول من صيغة مفعول إلى أخرى يفيد المبالغة عموماً[7] . وفي هذا التقديم توسعٌ من وجهين :

أحدهما : المبالغة بجعل الحَصَب بمعنى المحصوب .

والآخر : الوصف بالمصدر على قراءة التسكين في (حَصْبُ جهنم) ، أي : تحولوا إلى حصباء ولم يبقَ فيهم شيءٌ من عنصر الذات .

---

(١) قراءة ابن السميفع وابن أبي عبلة ومحبوب وأبي حاتم : ينظر : المحتسب : ٦٦/٢ ، والبحر المحيط : ٣١٥/٦ .

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٦٧٦/٢ .

(٣) ينظر : المحتسب : ٦٧/٢ .

(٤) المحكم والمحيط الأعظم (حصب) : ١١٩/٣ .

(٥) ينظر : التبيان في إعراب القرآن : ٢١٣/٢ .

(٦) ينظر : إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم : ٨٦/٦ ، وإتحاف فضلاء البشر : ٥٥٧ .

(٧) ينظر : معاني الأبنية في العربية : ٧٣ .

٧- بين (الفُّعلي) بضم الفاء المشددة (مصدراً مراداً به معنى : السُّخرة والعبودية)، و(الفِّعلي) بكسرها مع التشديد (مصدراً مراداً به معنى : الهُزْء) :

قال تعالى : ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴾ المؤمنون : ١٠٩-١١٠

قال البيضاوي تعليقاً على قوله تعالى : (سِخرياً) : "هزواً ، وقرأ نافع وحمزة والكسائي هنا وفي (ص)[١] : ٦٣ ، بالضم وهما مصدرا (سَخِرَ) زيدت فيهما ياء النسب للمبالغة وعند الكوفيين المكسور بمعنى : الهُزء ، والمضموم من السُّخرة بمعنى : الانقياد والعبودية"[٢] سَخِرَ منه وبهِ : استهزأ ، والسُّخرية : مصدر في المعنيين جميعاً ، والسُّخْرةُ ما تسخّرتَ من خادمٍ ودابّةٍ بلا ثمنٍ نحو : هم لك سُخْرة. وسُخْرياً ، وسِخْرياً في الاستهزاء[٣] . ورجَّح أبو علي الفارسي الكسرَ على الضم ؛ لأنّ ما بعدها أليق بها عندهُ وهو قولُهُ تعالى : (وكنتم منهم تضحكون) فالضحك أشبه بالسخرية والاستهزاء[٤] . وتابعَهُ ابن زنجلة (كان حياً سنة ٣٨٢هـ) [٥] .

وليس الأمر كذلك أمَّا الضَحِك فمعروفٌ ، وأما الاستهزاء والسخرية فإنّ "الإنسانَ يُستهزَأُ بهِ من غير أن يسبق منه فعلٌ يُستهزَأُ بهِ من أجلِهِ ، والسُّخْر : يدلُّ على فعلٍ

---

(٢) وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم وابن عامر (سِخرياً) بكسر السين في السورتين ، ينظر : السبعة في القراءات : ٤٤٨ .

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٧١٠/٢ .

(٣) ينظر : العين (سخر) : ٢٢٦/٢ ، ومقاييس اللغة (سخر) : ٤٣٣ .

(٤) ينظر : الحجة للقراء السبعة : ٣٠٥/٥ ، وحاشية الشيخ زاده على تفسير البيضاوي : ٤١١/٣ .

(٥) ينظر : حجة القراءات : ٤٩٢ ، والكشف عن وجوه القراءات السبع : ١٣١/٢ .

يسبق من المسخور منه"(١) فليس كلُّ ضاحكٍ مستهزِئاً ، فضلاً عن أنّ (سُخرياً) بالضم معناهُ الانصياع والتذلل وهذا المعنى مرادٌ ؛ لأنّ رؤساءَهم اتخذوا من المسلمين عبيداً وخَدَمًا ، جاء في (الكشاف) : "السُّخري بالضم والكسر مصدر سَخِرَ كالسَّخَر إلا أنَّ في ياء النسب زيادةَ قوةٍ في الفعل كما قيل : الخصوصية في الخصوص ، وعن الكسائي والفراء : أنّ المكسور من الهُزء ، والمضموم من السخرة والعبودية(٢) ، أي : تسخَّروهم واستعبدوهم ، والأول مذهب الخليل وسيبويه(٣) "(٤) .

وردَّ السمين الحلبي على أبي علي الفارسي قائلاً : "قلت : ولا حجة فيه ؛ لأنّهم جمعوا بين الأمرين : سخَّرُوهم في العمل ، وسَخِروا منهم استهزاءً ، والسخرة بالتاء : الاستخدام ، و(سُخرياً) بالضم منها ، والسخر بدونها : الهزء والمكسور منه"(٥) .

والراجح أنّه إنْ "كان للهزؤ به فهو السِّخرية بالكسر ومنه المسخرة ، وإنْ كان لعملٍ واستخدام من غير أُجرة فبالضم"(٦) وبالجمع بين القراءتين يتسع المعنى القرآني مفضياً إلى الأمور الآتية :

١- كسر السين من (سِخرياً) معناه : الاستهزاء بهم ، وضم السين معناه : التسخير والقهر في استخدامهم في العمل .

٢- في إلحاق ياء النسب الدلالةُ على المبالغة والقوة في فِعلهم فالسُّخريُّ أقوى من السُّخر .

---

(١) الفروق اللغوية : ٢٥٤ .

(٢) ينظر : معاني القرآن للفراء : ٢/٢٤٣ .

(٣) تقدم تفريق الخليل بين معنيي الكسر والضم وليس هما بمعنىً واحدٍ عنده ، وأمّا سيبويه فقد بحثت في كتابه ولم أهتدِ فيه إلى ما عُزي إليه .

(٤) ٣/٢٥٦ .

(٥) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون : ٨/٣٧١ .

(٦) حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي : ٦/٣٤٨ .

٣- الضم أثقل نطقاً من الكسر[١] ، فناسب ثقل النطق ثقل الفعل من حيث استخدامهم في العمل وإلقاء المشقة على كاهلهم وبهذا يتضح الفرق المعنوي بين اللغتين خلافاً لمن يرى أنَّهما بمعنىً واحدٍ .

٨- بين صيغة (فُعَلَة) بفتح العين للمبالغة مراداً بها الفاعل ، وصيغة (فُعْلة) بإسكانها للمبالغة مراداً بها المفعول :

قال تعالى : ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ الهمزة : ١

ذكر البيضاوي أن : الهمز واللمز شاعا في كسر أعراض الناس ، وبناء (فُعَلَة) يدلُّ على الاعتياد فلا يقال : ضُحَكَة ولُعَنَة إلا للمكثر المتعود ، وقرئ[٢] (هُمْزة لُمْزة) بسكون الميم على بناء المفعول وهو المسخرة الذي يأتي بالأضاحيك فيُضحَكُ منه ويشتم[٣] .

"والهمَّاز والهُمَزة : من يهمز أخاهُ في قفاهُ من خلفِهِ بعيبٍ ، واللمزة في الاستقبال"[٤] ، "ورجلٌ هُمَزَةُ لُمَزَةٌ : إذا كان يعيبُ الناس وذلك من عادتِهِ ، وقد هَمَزَ يَهمِزُ هَمْزاً ، ولَمَز يلمِزُ لمزًا ، قال الله تعالى :﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ وقال :

---

(١) ينظر : التصريف العربي : ٥٠ .

(٢) وهي قراءة أبي جعفر محمد بن علي والأعرج، ينظر : الجامع لأحكام القرآن : ٤٦٩/٢٢، وفي البحر المحيط : ٥١٠/٨ : "وقرأ الجمهور بفتح الميم فيهما ، والباقون بسكونها" .

(٣) ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ١١٧١/٢ .

(٤) العين (همز) : ٣٢٢/٤ ، وينظر : تاج العروس (همز) .

﴿ وَمِنۡهُم مَّن يَلۡمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾ التوبة : ٥٨ "[1] والمفعول به يأتي على (فُعْلة) بسكون العين ، والفاعل يأتي على (فُعَلة) بفتح العين ، نحو : رجل ضُحْكة وسُخْرة: إذا كان يُضحكُ ويُسخر منه ، ورجل ضُحَكَة وسُبَبَة : إذا فعل ذلك بالناس[2] .

وبناء (فُعَلَة) بفتح العين يدلُّ على أنّ ذلك عادة قد أُولع بها كاللُّعَنَة والضُحَكَة. أما سكون العين من (فُعْلة) فيدلُّ على المسخرة الذي يأتي بغرائب الكلام والأضاحيك فيضحك منه ويشتم[3] . و(فُعَلَة) من أبنية المبالغة ، نحو : نُوَمة وعُيَبة كقول زياد الأعجم[4] :

تدلي بودِّي إذا لاقيتني كذباً وإنْ أُغيب فأنت الهامزُ اللُّمَزَة[5]

والتاء في (الهمزة واللمزة) جيء بها "للمبالغة في الوصف كالتي في علاّمة وراوية ولذلك يقال : رجل هُمَزَة لُمَزَة كما يقال : امرأة هُمَزَةٌ لُمَزَةٌ"[6] فهما مستعملان مع المذكر والمؤنث بالصيغة نفسها "وأيضاً المفتوح صيغة مبالغة بمعنى اسم الفاعل والساكن بمعنى المفعول"[7] فالأصل في صيغة (فُعَل) أنّها ترد للمبالغة فإذا أُريد الزيادة في المبالغة في الاتصاف أُلحقت بها الهاء كإلحاقها في : رحَّالة فيقال : رجل حُطَمَةٌ ومنه هُمَزَةٌ ، ودلالة المبالغة الثانية وهي الهاء تفيد أن ذلك تَفَاقَمَ منه حتى صار له عادة قد ضَرِيَ بها وأُولِعَ[8] .

(١) شرح الفصيح لابن الجبّان : ٢٧٨ ، وينظر : المفردات في غريب القرآن (لمز) : ٤٥٨ .

(٢) ينظر : المخصص : ٢٩٧/٤ ، وشرح الفصيح للزمخشري : ٥١٧/٢ .

(٣) ينظر : التفسير الكبير : ٩١/٣٢ .

(٤) ينظر : مقاييس اللغة (همز) : ٩٤١ ، وفتح القدير : ٦٦٣/٥ .

(٥) ينظر : البحر المحيط : ٥٠٩/٨ .

(٦) حاشية الشيخ زاده على تفسير البيضاوي : ٥٩٨/٤ .

(٧) حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي : ٣٩٧/٨ .

(٨) ينظر : التحرير والتنوير : ٥٣٦/٣٠ .

ومثلها صيغة (فُعْلة) بسكون العين في الدلالة على المبالغة إلا أنّ الأولى تدلُّ على فاعل الهمز واللمز ، والثانية دالّة على المفعول وهو المَسْخَرَةُ الذي يُضْحَكُ عليه ، وقراءة التسكين يعضدها الحديث الشريف : "ويلٌ للذي يحدِّثُ فيكذب لِيُضْحكَ بهِ القومَ ويلٌ له ويلٌ له"(١) ومن لطيف المناسبة أنّ الآية القرآنية بدأت بلفظ الويل وكذلك الحديث الشريف . ولا تخفى دلالة التوسع في المعنى عن طريق الجمع بين القراءتين وكلا المعنيين مرادان مقصودان في هذا السياق القرآني(٢) .

المبحث الثاني
تعدّد الصيغ الصرفية

اشتمل القرآن الكريم على مفردات قد تعددت في الواحدة منها الصيغُ الصرفية ولكلِّ صيغةٍ من هذه الصيغ معنىً قائم بذاتِهِ وهذا التعدد يتبعُهُ تعددُ المعاني مما يمكن أنْ يندرجَ في إطار التوسع في المعنى بشرط أن يحتمل السياق هذه المعاني فإنْ قَبِل معنىً دون آخر استحال أنْ يكون ذلك من باب التوسع ؛ لأن السياق هو من أقوى القرائن وأعظمها دلالةً على مراد المتكلم(٣) .

وكان البيضاوي ممن التفت إلى ظاهرة التعدد هذهِ وكان تفسيرُهُ حاوياً على أمثلةٍ كثيرة منها :

١- (فُعْليّة وفعولة) :

---

(١) المعجم الكبير للطبراني (باب الميم) : ٤٠٣/١٩ .

(٢) للمزيد : ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٧٨/١ ، ٣٥٤/١ ، ٧٧٤/٢ ، ٧٩٥/٢ .

(٣) ينظر : البرهان في علوم القرآن : ٤٤٥ .

قال تعالى : ﴿ وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗاۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ البقرة : ١٢٤

قال البيضاوي : "والذّريّة نسل الرجل ، فُعْليّةٌ أو فعولةٌ قلبتْ راؤها الثانية ياءً كما في تقضيت ، من الذّر بمعنى التفريق ، أو فعولة أو فعيلة قلبت همزتُها من الذرء بمعنى الخلق"[١] .

اختُلف في تحديد صيغة (الذُّرية) ، فذكر الزجاج في قوله تعالى : ﴿ ذُرِّيَّةَۢ بَعۡضُهَا مِنۢ بَعۡضٖ ﴾ آل عمران : ٣٤ أنَّها فُعْلِيَّة من الذرّ ؛ لأنّ الله أخرج الخلقَ من صُلب آدم كالذرّ ، وقيل : أصلها ذُرُوْرَةٌ على وزن فُعُوْلَةٍ فكثر التضعيف وأُبدلت الراء الثانية ياءاً فصارت ذُرّوْيَة وأُدغمت الواو في الياء فصارت ذُرّيَة والأول أصوب عندهُ[٢] . وتابعَهُ ابنُ الجوزي[٣] .

فإن كانت من (ذرأ) ينبغي أن تكون مهموزة إلا أنّ العرب تركت همزها لتكاثرِهِ[٤] ، والأصلُ : ذُرِّيْئَة خففت الهمزة وأُبدلت ياءاً كخطيئة[*] ثم أُدغمت الياء الزائدة في الياء المبدلة من الهمزة فصارت (ذريَّة) ، وإن كان من الذّر ففي وزنها أربعة أوجه :

الأول : فُعْليَّة وهذه الياء تحتمل أن تكون للنسب وغيروا فتح الدال إلى الضم كقولهم في الدَّهْر : دُهْرِيّ ، وأن تكون لغير النسب كقُمْريَّة .

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٩١/١ .

(٢) ينظر : معاني القرآن وإعرابه : ٣٩٩/١-٤٠٠ .

(٣) ينظر : زاد المسير : ١٤٠/١ .

(٤) ينظر : لسان العرب (ذرأ) .

(*) خففت همزتها بإبدالها ياءًا وأدغمت الياءان فصارت : خطيَّة .

الثاني : فُعِّيْلة والأصل : ذُرّيرَة قلبت الراء الأخيرة ياءً لتوالي الأمثال كما قالوا : تسرَّيْتُ في تسرَّرْتُ .

الثالث : فُعُّولة والأصل : ذُرُّوْرَة قلبت الراء ياءً فصارت ذُرُّوْيَة وأُدغمت الواو في الياء فصارت ذُرِيَّة .

الرابع : فُعْلُولة والأصل : ذُرُّوْرة ففُعِلَ بها بمثل ما تقدم في الوجه الذي قبلَهُ[1] .

والذرّيّةُ : نسلُ الثقلين ، أو ولدُ الرجل ، وقد تجيء تارةً بمعنى الأبناء وتارةً بمعنى الآباء فهي من الأضداد[2] .

وذرأ الله الخلق يذرؤهم ذَرْأً : خلق ، والشيءَ : كثَّرهُ ، والذَّر معناه : التفريق ؛ لأن الله ذرَّهم في الأرض ، أي : فرَّقَهُم[3] .

وهذا التكثر من الصيغ الصرفية جاء من احتمالية (الذُرية) أنْ تكون من الذرء وهو الخلق الذي ذرأهُ الله سبحانه ، وأن تكونَ من الذَّر بمعنى التفريق ، وكلا المعنيين مرادان في سياق الآية والتوسع في المعنى فيه بادٍ .

٢- (فعيل ومُفْعَل) :

قال تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْءَايَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ آل عمران : ٥٨

قال البيضاوي : "(الذكر الحكيم) المشتمل على الحكم ، أو المُحكم الممنوع عن تطرق الخلل إليه ، يريد به القرآن ، وقيل : اللوح"[4] . وقد يكون (الحكيم) بمعنى : ذو الحكمة في تأليفهِ ونظمِهِ[5] . والحكيم يجوز أن يكونَ بمعنى : حاكم كالقدير بمعنى :

---

(١) ينظر : الدر المصون في علوم الكتاب المكنون : ١٠٢/٢ .

(٢) ينظر : الكليات : ٤٦٢ .

(٣) ينظر : تاج العروس (ذرأ) .

(٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ١٧٣/١ .

(٥) ينظر : معاني القرآن وإعرابه : ٤٢١/١ ، ومعاني القرآن للنحاس : ١٤٢/١ .

القادر ، ويجوز أن يكون الحكيم بمعنى : المُحْكَم كقولهِ تعالى : ﴿ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ﴾ هود : ١ ، فهو فعيل بمعنى : مُفْعَل ، وجاز هذا ؛ لأن حَكَمْتُ بمعنى : أحكمتُ ، فرُدَّ إلى الأصل[١] . وفي وصف القرآن بالحكيم أوجهٌ :

الأول : بمعنى الحاكم والأحكام تؤخذ منه .

الثاني : ذو حكمة في تأليفه ونظمه وكثرة علومه .

الثالث : محكم عن تطرق وجوه الخلل إليه[٢] .

والحُكْمُ : القضاء ، وجمعُهُ أحكام ، وهو مصدر قولك : حَكَمَ بينهم يَحكُمُ ، أي : قضى ، والحكيم : المتقن للأمور مِنَ الحِكْمة[٣] .

"والحكيم صيغة مبالغة محولٌ من فاعل كضريب من ضارب ، وَوَصَفَ الكتابَ بذلك مجازاً ؛ لأنّ هذه الصفة في الحقيقة لمُنْزِلِهِ والمتكلم به فوُصِف بصفةِ مَنْ هو من سببه وهو الباري تبارك وتعالى أو ؛ لأنّه ناطق بالحكمة أو ؛ لأنّه أحْكَمُ في نظمه ، وجوزوا أن يكون بمعنى مُفْعَل ، أي : مُحْكَم لقولِه تعالى : (كتابٌ أُحكمت آياتُهُ) ، إلا أنّ فعيلاً بمعنى مُفْعَل قليلٌ قد جاءت منه أُليفاظ قالوا : عقدتُ العسلَ فهو عقيد ومُعْقَد ، واحتبستُ الفرسَ في سبيل الله فهو حَبِيسٌ ومُحْبَس"[٤] . "والحُكْم أعمُّ من الحِكْمة ، وكلُّ حكمةٍ حُكْمٌ وليس كلُّ حُكْمٍ حكمةً"[٥] . إلا أنَّ هذا يكون في غير الله سبحانه ؛ لأن حُكمَهُ لا يكون إلا عن ذي حكمةٍ . والتوسع ظاهر في احتمال (الحكيم) أنْ يكونَ فعيلاً بمعنى فاعل ، أي : الحاكم بالعدل في الأمور ، أو بمعنى اسم المفعول وهو

---

(١) ينظر : تهذيب اللغة (حكم) : ٤/٦٩-٧٠ .
(٢) ينظر : التفسير الكبير : ٨/٨٢ .
(٣) ينظر : لسان العرب (حكم) .
(٤) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون : ٣/٢١٧-٢١٨ .
(٥) الكليات : ٣٨٠ .

المُحْكَمُ في نظمِهِ المنزّهُ من الاضطراب والخلل ، أو على النسب بمعنى أنّه ذو حكمة ، وكل هذه الأوجه مرادة في القرآن الحكيم وهي مبنى التوسع ههنا .

٣- (فعل ، وافتعل) :

قـال تعـالى : ﴿ وَجَآءَ ٱلۡمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ لِيُؤۡذَنَ لَهُمۡ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾ التوبة : ٩٠

قال البيضاوي : "المعذّر إما من عَذَرَ في الأمر : إذا قصَّر فيه موهماً أنّ له عذراً ولا عذَر له ، أو من اعتذر : إذا مهَّد العذر"[١] .

اعتذر من ذنبه فعذرتُهُ ، وأعذر فلان : أبلى عذراً فلا يُلام ، وأهل العربية يقولون : المُعْذِرون بالتخفيف : الذين لهم عذرٌ ، وبالتثقيل : الذين لا عذرَ لهم فتكلفوا عذراً[٢] . و(المُعذِّرون) أي : المعتذرون : وهم الذين لهم عذر ، أدغمت التاء في الذال فصارتا ذالاً مشددة ، كما قيل : يذَّكَّرون ويذَّكَّر ، وأما المعذِّر على وزن المفعِّل فهو الذي يعتذر بغير عذرٍ[٣] . "أي : من معذِّرٍ وليس بجادّ إنما يُظهر غير ما في نفسِهِ ويعرضُ ما لا يفعله"[٤] .

"وعذَّر الرجلُ : إذا قصَّر في عُذرِهِ ، ولم يبالغ فيه ، وهو ضدّ أعْذَرَ ، وعذَّر أيضاً : إذا كَثُرتْ عُيوبُهُ"[٥] "وقرئ[٦] المُعْذِرون بالتخفيف وهو الذي يجتهدُ في

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٤١٧/١ .

(٢) ينظر : العين (عذر) : ١٢٠/٣ ، وتاج اللغة وصحاح العربية (عذر) .

(٣) ينظر : معاني القرآن للفراء : ٤٤٧/١-٤٤٨ ، ومعاني القرآن للأخفش : ٣٦٣/١ ، ومعاني القرآن للنحاس : ٤٦٠/١ .

(٤) مجاز القرآن : ٢٦٧/١ ، وينظر : غريب القرآن لابن قتيبة : ١٩١ .

(٥) الأفعال للسرقسطي : ٣٢٣/١ .

(٦) وهي قراءة ابن عباس وزيد بن علي والضحاك والأعرج وأبي صالح وعيسى بن هلال ويعقوب والكسائي ، ينظر : البحر المحيط : ٨٦/٥ .

العذر"[١] وكون أصل (المُعذِّرين) بتشديد الذال : المعتذرين فإنّ هذا الاعتذار فاسدٌ بقولهِ تعالى : ﴿قُل لَّا تَعۡتَذِرُواْ﴾ التوبة : ٩٤ ، وقد يكون (المعذِّرون) من التعذير الذي هو التقصير ، يقال : قامَ فلانٌ قيامَ تعذيرٍ : إذا استكفيتَهُ في أمرٍ فَقَصَّر فيه[٢] . قال السمين الحلبي في قراءة الجمهور : "تحتمل وجهين : أن يكون وزنه فعَّل مضعفاً . ومعنى التضعيف فيه التكلّف ، والمعنى : أنّه توهَّم أنّ له عُذْراً ولا عذرَ لَهُ ، والثاني : أن يكون وزنُهُ افتعل ، والأصل : اعتذرَ فأدغمت التاء في الذال بأنْ قلبت تاء الافتعال ذالاً ونُقلت حركتها إلى الساكن قبلها وهو العين ويدلُّ على هذا قراءة[٣] سعيد بن جبير (المعتذرون) على الأصل"[٤] .

وقد يكون الاعتذارُ "بالصدق كما في قول لبيد[٥] :

ومن يبكِ حولاً كاملاً فقد اعتذر

يريد : فقد جاء بعذرٍ صحيح"[٦] ووجه الاتساع في قوله تعالى : (المعذّرون) ظاهرٌ باحتماله المعنيين ، وقد صرَّح به ابنُ عاشور ، إذ قال : "ويجوز أن يكونَ اختيار صيغة المعذِّرين من لطائف القرآن لتشمل الذين صدقوا في العذر ، والذين كذبوا فيه"[٧] وكلاهما معنيان مقصودان أرادهما التعبير القرآني فجمع بينهما من أقصر طريق وأوجزِهِ مما يدلُّ على براعة النظم القرآني في استعماله للألفاظ وتكثيفِهِ للمعاني .

---

(١) الكشاف : ٣٢٣/٢ .

(٢) ينظر : التفسير الكبير : ١٦٢/١٦ .

(٣) ينظر : شواذ القراءات : ٢١٩ ، واللباب في علوم الكتاب : ١٦٨/١٠ .

(٤) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون : ٩٦/٦ ، وينظر : حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي : ٣٥٣/٤ .

(٥) وصدرُهُ : إلى الحول ثم اسم السلام عليكما ، ينظر : شرح ديوان لبيد : ٢١٤ .

(٦) حاشية الشيخ زاده على تفسير البيضاوي : ٤٤٧/٢ .

(٧) التحرير والتنوير : ٢٩٢/١٠ .

٤- (فعيل بمعنى : فاعل ومفعول)

قال تعالى : ﴿ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَـٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ يوسف : ٨٤

(كظيم) : "فعيل بمعنى مفعول كقولهِ تعالى : ﴿وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ القلم : ٤٨ ، من كَظَمَ السقاء : إذا شدَّهُ على ملئِهِ ، أو بمعنى فاعل كقولهِ : ﴿وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ ﴾ آل عمران : ١٣٤ ، من كظم الغيظَ : إذا اجترعَهُ ، وأصلُهُ : كَظَمَ البعيرُ جِرَّتَهُ(١) إذا ردَّها في جوفِهِ"(٢) .

"(فهو كظيم) أي : كاظم ، كما تقول : قدير وقادر ، والكاظم : المُمسكُ على حزنِهِ لا يظهرُهُ ، ولا يشكوهُ"(٣) .

ذكر الطبري في آية آل عمران أنَّ : الأصل في الكَظْم مِنْ كَظْمِ القِرْبة إذا مُلِئتْ ماءاً ، وفلانٌ كظيمٌ ومكظومٌ : إذا كان ممتلئاً حُزناً(٤) .

قال أبو الليث السمرقندي (ت٣٧٥هـ) : "والكظيم والكاظم بمعنى واحدٍ ، مثل القدير والقادر"(٥) .

جاء في (الكشاف) : "(فهو كظيم)فهو مملوءٌ من الغيظ على أولادِهِ ، ولا يظهرُ ما يسوؤهم ، فعيلٌ بمعنى مفعول بدليل قولِهِ : (وهو مكظوم) "(٦) .

---

(١) أي : أخرج من جوفه ما أكله ، ينظر : لسان العرب (كظم) .

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٤٩٦/١ .

(٣) غريب القرآن لابن قتيبة : ٢٢١ ، وينظر : لسان العرب (كظم) .

(٤) ينظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ٥٨/٦ ، ومقاييس اللغة (كظم) : ٨١٠ .

(٥) بحر العلوم : ١٧٣/٢ .

(٦) ٤٩١/٢ .

و(كظيم) يجوز أن يكون بمعنى : الكاظم الممسك على حزنِهِ ، وأن يكون بمعنى المكظوم وهو المملوء من الحزن من سدِّ طريق نَفَسِهِ المصدور[١] .

وذهب أبو حيان الأندلسي إلى أنَّ (كظيم) إمّا للمبالغة ، أي : شديد الكظم ، وإما أنْ يكونَ فعيلاً بمعنى مفعول على غير قياس ، وردَّ على الزمخشري بعدم القياسية في كون فعيلاً بمعنى مفعول[٢] . وهذا صحيح فوُرود "اسم المفعول من الثلاثي على فعيل ، يُسمع ، ولم يُقسْ عليه ، نحو : قتيل ، وكحيل ، وجريح"[٣] .

والكَظَمُ : مخرجُ النَّفَس ، وكَظَم يَكظِمُ كظماً : حبس نَفَسَهُ ، والكاظمُ : الساكت[٤] .

أما القول بأنَّ الكظيم والكاظم بمعنى واحدٍ ففيهِ نظر ، لأنَّ دلالة (فاعل) غير دلالة (فعيل) ، "والفرق بين فاعلٍ وغيره من تلك الصفات أنّ الأصل في فاعل قصد الحدوث وقصد الثبوت طارئ"[٥] و(فعيل) من أبنية المبالغة يدلُّ على معاناة الأمر حتى أصبح كأنّهُ خلقةٌ في صاحبِهِ وطبيعةٌ فيه كعليم ، أي : لكثرة نظرهِ وتبحرهِ في العلم أصبح سجيةً ثابتةً في صاحبهِ كالطبيعة فيه[٦] . ويعقوب ﴿عليه السلام﴾ في أول الأمر كان كاظماً عند ذهاب يوسف وإخوتِهِ مع خوفِهِ عليه منهم ، وصار كظيماً عندما رجعوا من دونِهِ وعانى قساوةَ فراقِهِ حتى أصبح الكَظْمُ سجيةً فيه ، الأمر الذي أدى إلى ذهاب بصرِهِ وابيضاض عينيهِ .

---

(١) ينظر : التفسير الكبير : ٢٠٠/١٨ ، واللباب في علوم الكتاب : ١٨٩/١١ .

(٢) ينظر : البحر المحيط : ٣٣٣/٥-٣٣٤ ، وروح المعاني : ٤١/١٣ .

(٣) شرح القصيدة الكافية في التصريف : ٥٢ .

(٤) ينظر : تاج العروس (كظم) .

(٥) حاشية الصبان : ٤٩٠/٢ .

(٦) ينظر : معاني الأبنية في العربية : ١١٧ .

وأما تفسيرُ الزمخشري بأن فعيلاً بمعنى مفعول فهو وإن كان غيرَ مقيسٍ لكنّهُ مقبولٌ من حيث المعنى في سياقِهِ فضلاً عن مجيء القرآن به كقولِهِ تعالى : (وهو مكظوم) .

وبهذا دلَّتْ صيغة فعيل (كظيم) على المعاني الآتية :

١- اسم الفاعل أي : الكَاظِم الدّال على صفة الكظم الطارئة .

٢- اسم المفعول أي : المكظوم الممتلئ غيظاً على أولادِهِ .

٣- صيغة المبالغة أي : الكظيم الذي أصبح الكظمُ صفتَهُ الثابتة فيهِ كالطبيعة والجِبِلّة كأنَّهُ مجبولٌ عليها ، وهذهِ المعاني كلّها مرادة في ذات يعقوب ﴿ عليه السلام ﴾ والسياق يحتملها جميعها ، وتليق بهِ ﴿ عليه السلام ﴾ ؛ لما عاناهُ من فراق ابنِهِ يوسف ﴿ عليه السلام ﴾ وما لَقِيَهُ من خيبة الأمل التي لمسها من أولادِهِ والله أعلم .

٥- (فَعْلال ، وفَعْلل) :

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾ الحجر : ٢٦

قال البيضاوي تعليقاً على قولِهِ تعالى : (صلصال) : "من طينٍ يابسٍ يصلصلُ، أي : يصوّت إذا نُقر ، وقيل : هو من صَلْصَلَ : إذا أنْتَنَ تضعيف صلَّ"(١)

قال الفراء في قولِهِ تعالى : ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ كَٱلْفَخَّـارِ ﴾ الرحمن : ١٤ : "وهو طينٌ خُلِط برملٍ ، فصلصل كما يصلصلُ الفخار ، ويقال : من صلصالٍ منتنٍ يريدون بهِ : صلَّ ، فيقال : صلصال كما يقال : صرَّ الباب عند الإغلاق ، وصَرْصَرَ ، والعرب تردد اللام في التضعيف ، فيقال : كركرتُ الرجلَ يريدون : كررتُهُ ، وكبكبتُهُ يريدون : كببتُهُ ، وسمعتُ بعض العرب يقول : أتيتُ فلاناً فبَشْبَشَ بي من البشاشة

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ١/٥٣١ .

وإنما فعلوا ذلك كراهية اجتماع ثلاثة أحرفٍ من جنسٍ واحدٍ"[1] ، والبيضاوي يتابع الفراء في كلامِهِ هذا على نحو ما مستبان .

وذكر ابن قتيبة في آية سورة الرحمن أنَّ : الصلصال مأخوذ من (صلَّ الشيءَ) : إذا أنْتَنَ ، فكأنّهُ أراد : صَلاَّلاً ، ثم قَلَب إحدى اللامين صاداً[2] .

فإن كان الصلصال بمعنى : الطين اليابس الذي تصير له صَلْصَلَةٌ ، أي : صوتٌ ، أو بمعنى : المُنْتِن المُتغِيّر ، فالقولان محتملان[3] .

والمصادر الرباعية المضعفة تأتي للتكرير كالقَلْقَلة ، والصَلْصَلَة ، والقَرْقَرة ، فتكرار الحرف يشير إلى تَكْرار المعنى[4] .

والوجهُ عند الكوفيين أن يقال : صلاَّل إلا أنّه ضُوعف الفعلُ من فائِهِ وأُبدلت إحدى اللامين صاداً ، أمَّا البصريون فيرون أنَّ الفعلينِ متباينان ، أي : (صلَّ ، وصَلْصَلَ) كقولِهِم : صلَّ الخزفُ : إذا صوت بتمديد ، فإذا كان في صوتِهِ ترجيع كالجرس ، قلت : صَلْصَلَ[5] .

وضعَّف فخر الدين الرازي القولَ بأنَّ : الصلصال يدلُّ على النتن والتغير ؛ لأنَّ الحمأ المسنون يدلُّ عليهما فلا مغايرة بين الصلصال والحمأ المسنون[6] . والحقيقة أنْ لا تشابهَ بينهما ، فالحمأ : هو الطين الأسود المتغير ، والمسنون : المصوّر ، أي : كان تراباً فعُجِنَ بالماء فصار طيناً ، فمَكَثَ فصار حمأً ، فَخَلُصَ فصار سلالةً فصوّر

(١) معاني القرآن : ٣/١١٤ .

(٢) ينظر : غريب القرآن : ٤٣٧ .

(٣) ينظر : معاني القرآن للنحاس : ١/٦٠٣ .

(٤) ينظر : الخصائص : ٢/١٥١-١٥٢ .

(٥) ينظر : المحرر الوجيز : ٣/٣٥٨ .

(٦) ينظر : التفسير الكبير : ١٩/١٨٤ .

ويَبِسَ فصار صلصالاً[1] . و(صلصال) "وزنُهُ عند البصريين فَعْلال وهكذا جميع المضاعف حروفُهُ كلّها أصول لا (فعفع) خلافاً للفراء وكثير من النحويين ، ولا (فَعْفل) خلافاً لبعض البصريين وبعض الكوفيين ، ولا أن أصلَهُ فعَّل بتشديد العين أُبدل من الثاني حرف من جنس الحرف الأول خلافاً لبعض الكوفيين"[2].

"وخصَّ بعضُهُم هذا الخلاف بما إذا لم يختل المعنى بسقوط الثالث نحو : لَمْلَمَ وكَبْكَب فإنك تقول فيهما : لمَّ وكَبَّ ، فلو لم يصحّ المعنى بسقوطِهِ نحو : سِمْسِم ، قال : فلا خلاف في أصالة الجميع"[3] . ومبنى هذا من جانبين :

الأول : الكوفيون ومعهم الزجاج يرون أنّ المضعف الثلاثي هو أصل للمضعف الرباعي نحو : صرَّ وصَرْصَرَ ، وصلَّ وصَلْصَلَ ، وكَفَّ وكَفْكَفَ ، ودَمَّ ودَمْدَمَ . والآخر : يرى البصريون أن المضعف الثلاثي أصلٌ والمضعف الرباعي أصل قائمٌ بنفسِهِ أيضاً[4] . ويبدو أنّ قولَ البصريين يفضي إلى أنَّ (صلَّ) بالإدغام يشير إلى تمديد الصوت وقوتِهِ و(صَلْصَلَ) بالتكرار يشير إلى ترجيع الصوت مرةً بعد أُخرى فضُوعف لفظُهُ بمضاعفة معناهُ ، يُستنتجُ من هذا أنّ صيغة (صلصال) جمعت أكثر من معنى :

١- فَعْلال : وصلصال هو الطين اليابس يكون فيه صوتٌ إذا نُقر .

٢- فَعْلَلَ : وصَلْصَلَ على هذا مضعف ، وكُرر حرفُهُ إشارةً إلى تكرار معناهُ من ترجيع الصوت وجعله كالجرس .

---

(١) ينظر : مدارك التنزيل وحقائق التأويل : ٥٦٧/٢ ، واللباب في علوم الكتاب : ٤٥١/١١ .

(٢) البحر المحيط : ٤٣٢/٥ ، وينظر : روح المعاني : ٣٣/١٤ .

(٣) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون : ١٥٦/٧ .

(٤) ينظر : المساعد على تسهيل الفوائد : ٦٠/٤ ، والبحث اللغوي عند فخر الدين الرازي : ٢٥١ .

٣- ويحتمل أن يكونَ الصلصال من (صلَّ) : إذا تغيَّر ، وهي معانٍ مرادة في سياق الآية الكريمة على وجه الاتساع فيها والله أعلم .

٦- (فِعال ، ومِفْعل) :

قال تعالى : ﴿ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ (١٢٨) وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴾ طه : ١٢٨-١٢٩

ذكر البيضاوي أنَّ (لِزاماً) مصدرٌ وُصِف به ، أو اسم آلة سُمي بهِ لفرط لزومهِ كقولهم : لزازُ خصمٍ ، والأجل المسمى معطوف على (كلمة) ، أي : ولولا العدة بتأخير العذاب وأجلٌ مسمى لأعمارهم لكان العذابُ لِزاماً ، وتوسط (لكان لِزاماً) للدلالة على استقلال كلٍّ منهما بنفي لزوم العذاب ، ويجوز عطفه على الضمير في (كان) ، أي : لكان الأخذُ العاجل وأجل مسمى لازمين له[1] .

جاء في (الكشاف) : "واللِّزام إمّا مصدر لازمَ وُصِف به ، وإمّا فِعال بمعنى مِفْعَل ، أي : مِلْزَمٌ كأنّهُ آلة اللزوم لفرط لزومه ، كما قالوا : لزازُ خصم ، (وأجل مسمى) لا يخلو من أن يكون معطوفاً على (كلمة) ، أو على الضمير في كان ، أي: لكان الأخذ العاجل وأجل مسمى لازمين لهم ، كما كانا لازمين لعادٍ وثمودَ ، ولم ينفرد الأجل المسمى دون الأخذ العاجل"[2] .

---

(١) ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٦٥٨/٢ .

(٢) ١٧٣/٣ ، وينظر : البحر المحيط : ٢٦٧/٦-٢٦٨ .

وجوَّز العكبري أنْ يكونَ اللِّزام جمع لازم مثل : قائم وقيام[١] .

والفعل منه : لَزِمَ ، والفاعل لازم ، والمفعول ملزوم ، ولَزِمَ الشيءَ يلزَمُهُ لَزْماً ولزوماً ، ولازمَهُ ملازمةً ولِزاماً ، ورجلٌ لُزَمَةٌ : يلزم الشيء فلا يفارقُهُ ، واللِّزام مصدر لازمَ[٢] .

وقد رَدَّ السمين الحلبي على الزمخشري في ذهابِهِ إلى أن يكون اللِّزام فعالاً بمعنى مِفْعَل ، قال : "وعلى هذا فيقال : كان ينبغي أن يطابق في التثنية فيقال: لِزامينِ بخلاف كونه مصدراً فإنّه يفرد على كلِّ حالٍ"[٣] .

ويحتمل أن يكون الضمير في (كان) راجعاً إلى الإهلاك المدلول عليه بقوله : (أهلكنا) ، أي : لكان مثل إهلاكنا إياهم لازماً لهؤلاء الكفرة ، ويكون (لِزاماً) مصدراً أو اسم آلةٍ فإنَّ اللازم لا ينفك عن الملزوم كما أنَّ الآلة لا تنفك عما جعلت آلةً لهُ كقولهم : فلانٌ لزازُ خصمٍ ، أي : مُلِحٌّ شديدُ الخصومة ، مِنْ لَزَّهُ يلُزُّهُ لزَّاً ولزازاً : شدَّهُ ولصقَهُ ، ولازَتُهُ ، أي : لاصقتُهُ[٤] . وهذا التأويل لضمير (كان) أوجهُ مما ذهب إليه الزمخشري ومن بعدهِ البيضاوي وفاقاً للسمين الحلبي ؛ لأنَّ ما ذهبا إليه لا ينسجم مع كون اللِّزام اسم آلة ومِنْ ثَمَّ لا يمكن تحصيل هذا المعنى .

ووافق الآلوسيُّ السمينَ الحلبيَّ ، فقال بعد ذكرِهِ مقالة الزمخشري : "وأنت تعلم أنَّ هذا لا يتسنى إذا كان (لزاماً) اسم آلةٍ للزوم التثنية حينئذٍ"[٥] .

وكذلك رَدَّ الآلوسي على العكبري في جعلِهِ (لزاماً) جمع لازم قال : "وجوَّز أبو البقاء كونه جمع لازم كقيام جمع قائم وهو خلاف الظاهر"[١] .

---

(١) ينظر : التبيان في إعراب القرآن : ١٩٧/٢ .

(٢) ينظر : لسان العرب (لزم) .

(٣) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون : ١٢١/٨ .

(٤) ينظر : حاشية الشيخ زاده على تفسير البيضاوي : ٣٣٦/٣ .

(٥) روح المعاني : ٢٨٠/١٦ .

إلا أنَّ ابن عاشور جوَّز هذا المعنى قائلاً : "ويجوز أنْ يكون (فِعال) بمعنى (فاعل) "[2] . والغالب على صيغة (فِعال) دلالتُها على معنى الاشتمال كالحِزام ، والخِمار ، فالحزام يشتمل على الجسم ويلفُّهُ ، والخمار يشتمل على الرأس ويغطيهِ[3]. واللِّزام لشدة لزومهِ لهؤلاء كأنّهُ اشتمل عليهم وأحاط بهم من كل جانب والتعبير بـ(لِزاماً) أظهر الأوجه الآتية :

١- أن يكون مصدراً وُصف به للمبالغة في لزوم الهلاك .

٢- أن يكون (لِزام) فِعالاً بمعنى مِفْعَل على معنى اسم الآلة .

٣- أن يكون (لزام) جمعاً لِـ(لازم) .

٤- دلالة (لزام) على معنى الاشتمال كما مرَّ آنفاً . وكل هذه المعاني محتملة في سياق الآية الكريمة وهي محطُّ الاتساع والله أعلم .

٧- (فعيل ومفعول) :

قال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾ المؤمنون : ٥٠

قال البيضاوي : "وماءٌ معين ظاهرٌ جارٍ فعيل من : مَعَنَ الماءُ إذا جرى ، وأصلُهُ الإبعاد في الشيء ، أو من الماعون وهو المنفعة ؛ لأنّه نفاعٌ ، أو مفعول من عانَهُ إذا أدركهُ بعينِهِ ؛ لأنّهُ لظهورِهِ مدرك بالعيون وَصَفَ ماءها بذلك ؛ لأنّه الجامع لأسباب التنزه وطيب المكان"[4] .

(١) المصدر نفسه والصفحة نفسها .

(٢) التحرير والتنوير : ٣٣٦/١٦ .

(٣) ينظر : معاني الأبنية في العربية : ١٢٧ .

(٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٧٠٣/٢ .

و(المعين) : "الماء الظاهر والجاري ، ولك أن تجعلَ المعين مفعولاً من العيون ، وأنْ تجعلَهُ فعيلاً من الماعون ويكون أصلهُ المَعْن"(١) .

فإذا كان على (مفعول) يكون أصلُهُ (مَعْيوناً) كثوبٍ مخيط ، وبُرٌّ مكيل(٢) . أي : مخيوط ومكيول .

واستبعد الزجاجُ أنْ يكونَ المعينُ فعيلاً من المَعْن مشتقاً من الماعون "لأنَّ المَعْنَ في اللغة : الشيء القليل ، والماعون هو الزكاةُ ، وهو فاعول من المَعْنِ ، وإنما سُميتِ الزكاة بالشيء القليل ؛ لأنّهُ يؤخذُ من المال رُبْعَ عُشرِهِ ، فهو قليل من كثير"(٣) .

فإن كان (المعينُ) بمعنى : الماء الجاري في العيون ، أو بمعنى : الماء الذي يُرى بالعين فالميم منه زائدة كزيادتها في (مبيع) (٤) .

والأصلُ في (معن) : السهولة من جريانٍ وغيره ، والمَعْنةُ : ماءٌ قليلٌ يجري(٥) .

والوجهُ من جعلَهُ (مفعولاً) أنه مدركٌ بالعين لظهورِهِ ، مِنْ عانَهُ إذا أدركه بعينِهِ ، ومن جعلَهُ (فعيلاً) أنّه نَفّاعٌ بجريهِ مِنَ الماعون وهو المنفعة(٦) .

والربوة هي الأرض المرتفعة ، والقرار المُستَقر من كل أرضٍ مستوية مبسوطة يعني أنّه ؛ لأجل الثمار يستقر فيها ساكنوها(١) .

---

(١) معاني القرآن للفراء : ٢٣٧/٢ ، وينظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ٥٨/١٧ .
(٢) ينظر : غريب القرآن لابن قتيبة : ٢٩٧ .
(٣) معاني القرآن وإعرابه : ١٥/٤ .
(٤) ينظر : معاني القرآن للنحاس : ٧٨١/٢ .
(٥) ينظر : مقاييس اللغة (معن) : ٨٦٥ .
(٦) ينظر : الكشاف : ٢٥٣/٣ ، ومدارك التنزيل وحقائق التأويل : ٧٤٩/٣ .

(الماعون) اسمٌ جامعٌ لمنافع البيت كالقِدْر والفأس ، وهو أيضاً الماء والطاعة، وفي الجاهلية : كلُّ منفعةٍ وعطية[٢] .

وأرى أنَّ (المعين) يجوز أن يكونَ من الماعون ، والسياق يوحي بهذا ، لأنّ اللهَ سبحانه آواهما إلى تلك الأرض كي يستقرا وينتفعا بما فيها من منافعَ ، ولا يجوز حمل الماعون على الزكاة حصراً ، عَلاوة على أنّ سياق الآية الكريمة لا يحتمل أنْ يكونَ الماعون بمعنى الزكاة .

والميم في (معين) زائدة إذا كان مِنْ عانَهُ بمعنى أدركَهُ بعينِهِ ، وأصلية إذا كان مِنْ مَعَنَ بمعنى جرى ووُصف الماء بذلك ؛ لأنّه الجامع لانشراح الصدر وطيب المكان وكثرة المنافع[٣] .

وعلى هذا لا تكون الميم زائدة إذا كان المعين بمعنى : الماء الجاري في العيون خلافاً لمن ذهب إلى ذلك .

ووجه التوسع في الآية هو جعلُ (معين) فعيلاً من مَعَن الماء إذا جرى ، أو من الماعون وهو المنفعة ، وجعله مفعولاً مِنْ عانَهُ إذا أدركهُ بالعين الباصرة ، أي : جريانُ الماء ومنفعتُهُ والتلذذُ برؤيتِهِ عن قربٍ وهي معانٍ قصدها التعبير القرآني في هذه الآية الكريمة ، والسياق يحتملها جميعها .

٨- (استفعل ، وافتعل) :

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴾ المؤمنون : ٧٦

قال البيضاوي تعليقاً على لفظة (استكانوا) : "واستكان استفعل مِنَ الكون ؛ لأن المفتقر انتقل من كونٍ إلى كونٍ ، أو افتعل مِنَ السكون أُشبِعَتْ فتحتُهُ"[١] .

---

(١) ينظر : التفسير الكبير : ١٠٤/٢٣ .

(٢) ينظر : لسان العرب (معن) .

(٣) ينظر : روح المعاني : ٣٩/١٨ .

في (استكانوا) قولان : "أحدهما : أنّه (استفعلوا) من (كانَ يكون) ، أصلُهُ : استكْوَنوا فَحُولت فتحة الواو إلى الكاف وجُعلت الواو ألفاً ؛ لانفتاح ما قبلها وتحركها في الأصل كما قالوا : استقام ، وأصلُهُ : استقوم ، والقول الآخر : أنَّ (استكان) افتعل ، مِنَ السكون ؛ لأنَّ من صفة الخاضع تقليل الكلام ، فكان أصل الحرف على هذا الجواب : استكن الرجل ، فوصلت فتحة الكاف بالألف ؛ لأنّ العرب ربما وصلت الضمة بالواو ، والفتحة بالألف ، والكسرة بالياء"(٢) ويرى مكي القيسي أنَّ القول الأول أصحّ في الاشتقاق ، والقول الثاني أصحّ في المعنى عندَهُ(٣) .

والسكون : ضد الحركة ، وكل ما هدأ فقد سَكَنَ كالريح والبرد ونحو ذلك ، وسَكَن بالمكان : أقام بهِ ، والسَكِينة : الوقار ، والمسكين : الذي أسكنَهُ الفقر ، أي : قلَّلَ حركتَهُ ، واستكان الرجلُ : خَضَع وذلَّ ، من المسكنة أُشبعتْ حركة عينه فجاءتْ ألفاً وإشباع حركة العين في الشعر أكثر(٤) . قال العكبري في قولهِ تعالى : ﴿ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْ ﴾ آل عمران : ١٤٦ : "استفعلوا من الكون وهو الذُّل ، وحُكي عن الفراء(٥) أن أصلها : استكنوا ، أُشبعتْ الفتحة فنشأت الألف ، وهذا خطأٌ؛ لأنّ الكلمة في جميع تصاريفها ثبتتْ عينُها ، تقول : استكان يستكينُ استكانةً فهو مستكينٌ ومستكان لهُ ، والإشباع لا يكون على هذا الحدّ"(٦) والسين في (استفعل) "للانتقال كما

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٢/٧٠٦ .
(٢) الزاهر في معاني كلمات الناس : ٢/٢٩٧-٢٩٨ ، وينظر : الكشاف : ٣/٢٥٩ ، والتفسير الكبير : ٢٣/١١٥ .
(٣) ينظر : مشكل إعراب القرآن : ٣٢١ .
(٤) ينظر : المحكم والمحيط الأعظم (سكن) : ٦/٤٤٧-٤٥٠ ، والأفعال لابن القطاع : ٢/١١٤.
(٥) بحثت عن قول الفراء في معانيه فلم أهتدِ إلى ما عُزي إليه .
(٦) التبيان في إعراب القرآن : ١/٢٣٧ ، وينظر : البحر المحيط : ٦/٣٨٣-٣٨٤ .

في استحجر ، أي : انتقل إلى كونٍ آخر ، أي : حالة أُخرى ، أي : من العزة إلى الذلة "[١] .

أما السمين الحلبي فقد رَدَّ على ما قالَهُ الفراء وحسَّن عبارةَ العكبري في الردّ إذ قال في آية آل عمران : "ورُدَّ على الفراء بأنَّ هذه الألف ثابتة في جميع تصاريف الكلمة ، نحو : استكان يستكين فهو مستكين ومستكان إليه استكانةً ، وبأنَّ الإشباع لا يكون إلا في ضرورة ، وكلاهما لا يلزمُهُ ، أمَّا الإشباع فواقعٌ في القراءات السبع ... وأمَّا ثبوت الألف في تصاريف الكلمة فلا يدلُّ أيضاً ؛ لأنَّ الزائد قد يلزم ألا ترى أن الميم في تَمَنْدل – تمسح بالمنديل – وتَمَدْرَعَ زائدة ، ومع ذلك هي ثابتة في جميع تصاريف الكلمة قالوا : تَمندلَ يَتمندلُ تمندلاً فهو مُتَمَندِلٌ ومُتَمَندَلٌ به ، وكذا تمدرع وهما من النَّدل والدِّرع ، وعبارة أبي البقاء أحسن في الردِّ"[٢] وذكر ابن عاشور أنَّ : الاستكانة من السكون ؛ لأن الذي يخضع يقطع الحركة أمام من خَضَعَ له فهو افتعال من السكون للدلالة على تمكن السكون وقوتِهِ ، وإشباع الألف ليس من الإشباع الذي يُستعملُ شذوذاً في الشعر كقول إبراهيم بن هرمة[٣] :

وأنتَ من الغوائِلِ حين تُرمى ومن ذمِّ الرجال بمنتزاحِ

أراد : بمنتزحٍ فأشبع الفتحة فصارت ألفاً[٤] .

واستبعد أنْ يكونَ (استكانوا) مِنَ الكونِ ، إذ قال : "ويبعدُ أن يكون (استكانوا) استفعالاً من الكون من جهتين : جهة مادتِهِ فإنَّ معنى الكون فيه غيرُ وجيهٍ ، وجهة

---

(١) شرح شافية ابن الحاجب : ٧٠/١ ، وينظر : حاشية الشيخ زاده على تفسير البيضاوي : ٤٠٩/٣ .

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون : ٤٣٢/٣ .

(٣) ينظر : ديوانه : ٩٢ .

(٤) ينظر : التحرير والتنوير : ١٠١/١٨ .

صيغتِهِ ؛ لأنَّ حمل السين والتاء فيه على معنى الطلب غيرُ واضحٍ"[١] .

بل الظاهر أنّ معنى الكون مستبانٌ في (استكانوا) وإلاّ كيف سيكون الانتقال من كون الاستكبار إلى كون الخضوع والذُّل ؟ وأمّا دلالة السين والتاء على الطلب فواضحة ؛ لأنّ التعبير القرآني نفى عن هؤلاءِ طلب الدخول في دائرة الإسلام ؛ لذلك فهُم ما استكانوا ولا تضرّعوا لله سبحانه ، ومِنْ ثَمَّ فإنَّ التوسع في المعنى حاصلٌ في لفظ (الاستكانة) بالمعنيين كليهما والله أعلم[٢] .

المبحث الثالث

الاشتقاق

(١) التحرير والتنوير : ١٠١/١٨ .

(٢) للمزيد : ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٣٨٤/١ ، ٦٢٤/٢ ، ٦٩٨/٢ ، ٨٧٥/٢ .

الاشتقاق لغةً :

الأخذ في الكلام ، وفي الخصومات يميناً وشمالاً[١] . واشتقاق الحرف من الحرف : أخذهُ منه ، وشقّق الكلام : إذا أخرجَهُ أحسن مخرجٍ[٢] .

واصطلاحاً :

"نزع لفظ من آخر بشرط مناسبتهما معنىً وتركيباً ومغايرتهما في الصيغة"[٣] أو هو : "أخذ كلمة أو أكثر من أخرى لمناسبة بين المأخوذ والمأخوذ منه في الأصل اللفظي والمعنوي ليدّل بالثانية على المعنى الأصلي مع زيادة مفيدة ؛ لأجلها اختلفتْ بعض حروفها أو حركاتها أو هما معاً"[٤] وعلى هذا يعدُّ الاشتقاق صورةً من صور التوسع في المعنى ؛ إذ بهِ يزداد النص القرآني ثراءاً بما يحصلُ فيه من مزيد فائدة نتيجة المشتق والمشتق منه علاوةً على المعنى الأصلي للمفردة ، وقد تنبه البيضاوي إلى هذا اللون من ألوان الاشتقاق المندرج في دائرة الاتساع والمؤدي إلى احتمال اللفظ أكثر من معنىً مراد ، وسأضعُ بين يدي البحث أمثلة لذلك :

١- (الشيطان) :

قال تعالى : ﴿ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ ﴾ البقرة : ١٤

---

(١) ينظر : العين (شقق) : ٢/٣٤٦-٣٤٧ .

(٢) ينظر : لسان العرب (شقق) .

(٣) التعريفات : ١٢ ، وينظر : دراسات في فقه اللغة : ١٧٤ .

(٤) أبنية الصرف في كتاب سيبويه : ٢٤٦ .

قال البيضاوي تعليقاً على قوله تعالى : (شياطينهم) : "جعل سيبويه نونَهُ تارةً أصلية على أنّه من : شَطَنَ : إذا بَعُدَ فإنّه بعيدٌ عن الصلاح ، ويشهد له قولُهُ : تَشَيْطَنَ ، وأُخرى زائدة على أنّه مِنْ : شاط : إذا بطل ومن أسمائه الباطل"(١) .

تكلم سيبويه على نون (شيطان) في موضعين من كتابه :

الأول : عزا إلى شيخِهِ الخليل أنّ نون (شيطان) أصلية ؛ إذ قال : "وسألتُهُ عن رجلٍ يسمى : دِهْقان ، فقال : إن سمَّيتَهُ من التدهقن فهو مصروف ، وكذلك شيطان إن أخذته من التشطين ، فالنون عندنا في مثل هذا من نفس الحرف إذا كانَ لَهُ فعل يثبت فيه النون ، وإن جعلت دهقان من الدهق وشيطان من شيَّط لم تصرفهُ"(٢) .

وقال في موضع آخر : "فأمَّا الدِّهقان والشيطان فلا تجعلهما زائدتين فيهما ؛ لأنهما ليس عليهما ثَبَتٌ ، ألا ترى أنك تقول : تَشَيْطَنَ وتَدَهْقَنَ وتصرفهما"(٣) وفي ضوء هذا لا ينبغي أن يسند إلى سيبويه القولَ : إنَّ (شيطان) مِنْ شاط يشيط وإنَّ نونَهُ زائدة . "و(شيطان) مشتق من الشَّطَن وهو الحبل ، أي : هو ممدودٌ في الشر ، ومنه بئرٌ شطون"(٤) ومنهم من يقول: هو من شاط الشيءُ يشيطُ إذا احترق وبَطُلَ(٥).

وقال مكي القيسي في قوله تعالى : ﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ ﴾ البقرة : ٢٦٨ : "شيطان فيعال من شَطَنَ : إذا بَعُدَ ، ولا يجوز أن يكون فَعْلان من تشيط وشاط ؛ لأنّ سيبويه حكى شيطنتُهُ فتشيطن فلو كان من شاط لكان شيطنتُهُ على وزن فعلنتُهُ وليس هذا البناء في كلام العرب ، فهو إذاً فيعلتُهُ كبيطرتُهُ فالنون أصلية والياء زائدة،

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٣٣/١ .

(٢) الكتاب : ٢١٧/٣-٢١٨ .

(٣) المصدر نفسه : ٣٢١/٤ .

(٤) معاني القرآن للنحاس : ٣٩/١ ، وينظر : مجمل اللغة (شطنَ) : ٥٠٢/٢ .

(٥) ينظر : شرح كتاب سيبويه للسيرافي : ٢١٧/٥ .

فلا بُدَّ أن يكون النون لاماً ، وأن يكون شيطان فيعالاً من شَطَنَ : إذا بَعُدَ كأنّه لما بَعُدَ من رحمة الله سُمي بذلك"(١) .

ورجَّح الماوردي (ت٤٥٠هـ) أن يكون الشيطان مشتقاً من (شاط) ؛ إذ قال: "والقول الفاصل : أنّهُ فَعْلان من الشيط وهو الاحتراق ، كأنّه سُمِّي بما يؤولُ إليه حالُهُ"(٢) ، ويرى الزمخشري : أنّ نون الشيطان قد تكون أصلية مرةً وزائدة أُخرى ، وعزا كلا الوجهين إلى سيبويه ، إذ قال : "وقد جعل سيبويه نون الشيطان في موضعٍ من كتابه أصليةً ، وفي آخر زائدة"(٣) ، وتابعَهُ البيضاوي في هذا بَيْدَ أني بينتُ أنّ سيبويه أفصح وبالقول الصريح أنَّ نونَه غير زائدة (أصلية) على وفق ما مرَّ لكنّه أورد في سياق كلامِهِ عليه : "وإن جعلت دهقان من الدهق وشيطان من شيَّط لم تصرفْهُ" إلا أنه لم يذكر ما يشير إلى تبنيهِ هذا القول في حين كان واضحاً في تبنيهِ أصالة النون في لفظة (الشيطان) . أمّا زيادة النون في هذا اللفظ فهو مذهبٌ كوفي ومِمَّنْ عزاهُ إليهم أبو حيان الأندلسي ؛ إذ قال : "ووزنُهُ فَعْلان عند الكوفيين ونونه زائدة مِنْ شاط يشيط : إذا هلك"(٤) .

ويبدو أنّ كلا الفريقين مصيبٌ فيما ذهب إليه ، فالبصريون يرون أنّه مشتقٌ "من شطن يشطنُ ، أي : بَعُدَ ؛ لأنه بعيد من رحمة الله تعالى لبعدِهِ عن طاعته ومنه بئر شطونٌ ، أي : بعيد القعر فوزنه على هذا فَيْعال"(٥) والكوفيون يرون أنّه مشتقٌ من شاط يشيط : إذا هلك واحترق "ولا شك أنّ هذا المعنى موجود فيه فلذلك قالوا إنّه

---

(١) مشكل إعراب القرآن : ٧٦ ، وينظر : فتح القدير : ١٢٦/١ .

(٢) النكت والعيون : ٧٧/١ .

(٣) الكشاف : ٦٤/١ ، وينظر : مدارك التنزيل وحقائق التأويل : ٢٦/١ .

(٤) البحر المحيط : ١٩٣/١ ، وينظر : روح المعاني : ١٥٨/١ .

(٥) حاشية الشيخ زاده على تفسير البيضاوي : ١٤٥/١ .

مشتق من هذه المادة فوزنُهُ على هذا فَعْلان"[١] ولا يخفى ما في الاشتقاق من التوسعة في المعنى وإرادة المعنيين جميعاً فالشيطان مُبعدٌ مقصى من رحمة الله ، وهو بهذا المعنى هالكٌ محترق بنار جهنم .

٢- (الحواريون) :

قال تعالى : ﴿ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ آل عمران: ٥٢

قال البيضاوي : "حواريّ الرجل : خاصتُهُ من الحَوَر وهو البياض الخالص ، ومنه الحواريات للحضريات لخلوص ألوانهنّ ، سُمي به أصحاب عيسى ﴿عليه السلام﴾ لخلوص نيتهم ونقاء سريرتهم ، وقيل : كانوا ملوكاً يلبسون البيض استنصر بِهِم عيسى ﴿عليه السلام﴾ من اليهود ، وقيل : قصارين يحورون الثياب ، أي : يبيضونها"[٢] الحواريون هم خاصّةُ عيسى ﴿عليه السلام﴾ ، وخاصة الأنبياء هم الحواريون وسُموا بذلك؛ لبياضِ ثيابِهِم[٣] . والحواريات من النساء : اللاتي لا ينزلن البادية ، ولا ينزلن القُرى كقول أبي جَلْدة اليشكري[٤] :

فقُل للحورايات يبكينَ غيرَنا ولا تبكِنا إلا الكلابُ النوابحُ[٥]

"قال أهلُ اللغة : الحواريون : البيض الثياب ، أُخذ من الحَوَر وهو البياض ، من ذلك قول العرب : امرأةٌ حوارية ، من نساء حواريات : إذا كُنّ مقيمات بالأمصار ،

---

(١) المصدر نفسه والصفحة نفسها .

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ١/١٦٦ .

(٣) ينظر : معاني القرآن للفراء : ١/٢١٨ .

(٤) ينظر : مقاييس اللغة (حور) : ٢٣١ ، والجامع لأحكام القرآن : ٥/١٥٠ .

(٥) ينظر : مجاز القرآن : ١/٩٥ .

فقيل لهنَّ ذلك لبياضِهِنّ وبعدهِنَّ من قشف أهل البادية"[١] وحارَ يحورُ حوراً : رَجَعَ ، والحُورُ : الهلكة ، والحَوَرُ : شدة بياض العين في شدة سوادها ، يقال : امرأةٌ حوراء بيِّنة الحور ، واحورَّ الشيءُ : ابيَضَّ ، وقيل : ليس في بني آدم حَوَرٌ وإنما قيل للنساء حورُ العيون ؛ لأنهنَّ شبهنّ بالظباء والبقر ، وتحوير الثياب : تبييضها ، والحواريُّ : الناصر[٢] . أو هو الذي "يغسلُ الثياب يسمى بلغة النبط هواري وهو القصار فعُربت هذه اللفظة فصارت حواري"[٣] وأشار العكبري إلى تعدد اشتقاقات هذه اللفظة بقولِهِ : "واشتقاق الكلمة من الحَوَر ، وهو البياض وكان الحواريون يقصرون الثياب ، وقيل : اشتقاقه من حارَ يحورُ : إذا رَجَعَ ، فكأنّهم الراجعون إلى الله ، وقيل : هو مشتق من نقاء القلب وخُلوصهِ وصِدْقِهِ"[٤] .

قال الآلوسي : "والاشتقاق كيف كانوا هو الاشتقاق ومأخذُهُ : إمَّا أنْ يؤخذ حقيقياً وإمّا أنْ يؤخذَ مجازياً وهو الأوفق بشأن أُولئك الأنصار"[٥] وأنكر ابن عاشور تعدد الاشتقاق في هذا اللفظ ؛ إذ قال : "وقد أكثر المفسرون وأهل اللغة في احتمالات اشتقاقه واختلاف معناهُ وكلُّ ذلك إلصاق بالكلمات التي فيها حروف الحاء والواو والراء لا يصحُّ منه شيء"[٦] إلا أن الذي يبدو أنّ تعدد معاني (الحواريون) هو المناسب لمقام الآية الكريمة وهي متوافرة في معناها ؛ لأنَّ عيسى ﴿عليه السلام﴾ حينما استنصرهم وجد فيهم هذهِ المعاني فهُم الناصرون والصادقون الدَّال على صدقِهِم نقاوةُ قلوبِهم وسرائرِهِم

(١) الزاهر في معاني كلمات الناس : ٢٧/١ .

(٢) ينظر : تاج اللغة وصحاح العربية (حور) : والمحكم والمحيط الأعظم (حور) : ٣٨٥/٣-٣٨٧ .

(٣) التفسير الكبير : ٦٩/٨-٧٠ ، وينظر : الإتقان في علوم القرآن : ٤٣٤/٢-٤٣٥ .

(٤) التبيان في إعراب القرآن : ٢١٥/١ ، وينظر : حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي : ٢٩/٣ .

(٥) روح المعاني : ١٧٦/٣ .

(٦) التحرير والتنوير : ٢٥٥/٣ .

وهم الراجعون إلى الله تعالى وهذهِ المعاني تعددت تبعاً لتعدد معاني لفظة (الحور) مما أدى إلى التوسع في معنى الآية الكريمة والله أعلم .

٣- (الزُّبر) :

قال تعالى : ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ﴾ آل عمران : ١٨٤

قال البيضاوي تعليقاً على الآية الكريمة : "والزُّبر جمع زَبُور وهو الكتاب المقصور على الحِكَم ، مِنْ : زبرتُ الشيءَ إذا حبستُهُ ... وقيل : الزُّبر المواعظ والزواجر مِنْ : زبرتُهُ إذا زجرتُهُ"[1] .

جاء في (معاني القرآن وإعرابه) [2] : "الزبر جمع زبور ، والزبور : كل كتابٍ ذو حكمة ، ويقال : زبرتُ : إذا كتبتُ ، وزبرتُ : إذا قرأتُ" .

الزُبْرة : القِطعة من الحديد ، قال تعالى : ﴿ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ﴾ الكهف : ٩٦ والزَّبْرُ بالفتح : الزجر والمنع ، يقال : زَبَرهُ : إذا انتهرهُ ، والزَّبْرُ : الكتابة ، يقال : زَبَرَ يَزْبُرُ ويَزْبِرُ ، والزِّبرُ : الكتاب ، وجمعُهُ زُبُورٌ ، والزَّبور بالفتح : الكتاب أيضاً، وهو فَعول بمعنى مَفْعول من زَبَرتُ ، أي : كتبتُ[3] .

وذكر فخر الدين الرازي أنَّ : الأشبه أن يكون من الزَّبْر الذي هو الزجر ؛ وذلك لما فيه من الزَّبْر عن خلاف الحقّ[4] .

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ١/١٩٨-١٩٩ .

(٢) ١/٤٩٥ ، وينظر : معاني القرآن للنحاس : ١/١٧٩ ، ومقاييس اللغة (زبر) : ٣٩٥ .

(٣) ينظر : تاج اللغة وصحاح العربية (زبر) ، وتاج العروس (زبر) .

(٤) ينظر : التفسير الكبير : ٩/١٢٨ .

وأجاز أبو حيان الأندلسي المعنيين على السواء قال : "والزُّبر جمع زَبُور ، وهو الكتاب سُمي بذلك ، قيل : لأنه مكتوب ، إذ يقال : زَبَرهُ كتبَهُ ، أو لكونِهِ زاجراً مِنْ زَبَرهُ : زَجَرهُ"[(١)] .

"واشتقاق اللفظة من (زبرتُ) أي : كتبتُ ، وزبرتُهُ : قرأتُهُ ، وزبرتُهُ : حسَّنتُ كتابتَهُ ، وزبرتُهُ : زجرتُهُ ، فَزَبور بالفتح فَعُول بمعنى مفعول كالرَّكوب بمعنى المركوب ... وقيل : اشتقاق اللفظِ من الزُّبرة ، وهي قطعة الحديد المتروكة بحالها"[(٢)] .

أما القول بأنَّ الزبورَ مشتقٌ من الزُّبرة فبعيدٌ ؛ لأنَّ سياق الآية الكريمة لا يحتمل هذا المعنى وإن كان ثمّةَ تلاقٍ بينهما في الاشتقاق ، وأما الوجهان الآخران فمرادان معنىً، فإن كان مأخوذاً من زبرَ بمعنى : كتب وقرأ ؛ فلأنّهُ مكتوب ومقروء ؛ لأن ما يكتب لا محالة أنه يُقرأ ، وإن كان من زَبَرَ بمعنى : زَجَرَ ومَنَعَ ؛ فَلِمَا فيه من الزواجر والحِكَم المانعة من اتخاذ الباطل سبيلاً ، ولا يخفى من تأدية الاشتقاق إلى التوسع في اللفظ ومِنْ ثَمَّ توسع المعنى القرآني ضمن هذا المنحى .

٤- (المحال) :

قال تعالى : ﴿ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعۡدُ بِحَمۡدِهِۦ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ مِنۡ خِيفَتِهِۦ وَيُرۡسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمۡ يُجَٰدِلُونَ فِي ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلۡمِحَالِ ﴾ الرعد : ١٣

قال البيضاوي تعليقاً على الآية الكريمة : "المماحلة المكايدة لأعدائِهِ ، مِنْ مَحَلَ فلانٌ بفلان : إذا كايدهُ وعرَّضَهُ للهلاك ، ومنه : تمحّل إذا تكلَّف استعمال الحيلة ، ولعل أصله المَحْل بمعنى القحط ، وقيل : فِعال من المحل بمعنى القوة ، وقيل مِفْعَل

---

(١) البحر المحيط : ١٣٨/٣ ، وينظر : التحرير والتنوير : ١٨٦/٤ .

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون : ٥١٩/٣ .

من الحول أو الحيلة أُعل على غير قياس ، ويعضده أنه قُرئ[١] بفتح الميم على أنه : مَفعل من حال يحولُ : إذا احتال ، ويجوز أن يكونَ بمعنى : الفقار فيكون مثلاً في القوة والقدرة كقولهم : فساعِدُ اللهِ أشدُّ ومُوساهُ أحَدُّ"[٢] . (شديدُ المِحال) : "أي : العقوبة والمكر والنكال"[٣] . "وأصل المِحَال : الحيلَةُ ، والحول : الحيلة"[٤] .

أنكر الطبري أن يكونَ (المِحال) بكسر الميم مِنَ الحيلة قال : "الحيلة لا يأتي مصدرها مِحَالاً بكسر الميم ، ولكن قد يأتي على تقدير المَفْعَلَة منها ، فيكون مَحَالَة ، ومن ذلك قولهم : المرءُ يعجزُ لا مَحالةَ ، والمَحالة في هذا الموضع المَفْعلة من الحيلة ، فأمّا بكسر الميم ، فلا تكون إلاّ مصدراً مِنْ : ماحلتُ فلاناً أُماحِلُهُ مِحالاً ، والمماحلةُ بعيدةُ المعنى من الحيلة"[٥] .

"والمَحالةُ في كلام العرب على أربعة معانٍ : المحالة : الحِيلة ، والمحالةُ : البَكْرة التي تعلَّق على رأس البئر ، والمحالة : الفقرة من فِقَر الظهر وجمعها مَحالٌ، والمحالةُ : مصدر قولهم : حُلتُ بين الشيئين"[٦] .

وغلَّط الأزهريُّ (ت٣٧٠هـ) ابنَ قتيبةَ في جعلِهِ المِحال من الحيلة ، وهو بهذا موافقٌ الطبريَّ في استدلالِهِ قال : "قلتُ : وقول القتبي : أصل المِحال الحيلة غلطٌ فاحش ، وأحسبُهُ توهم أنّ ميم المحال ميم مِفعل وأنها زائدة ، وليس الأمرُ كما توهمَهُ ؛ لأن مِفْعلاً إذا كان من بنات الثلاثة فإنّه يجيء بإظهار الواو والياء مثل : المِزْوَدِ والمِرْوَدِ والمِجْولِ والمِحْورِ والمِزْيل والمِعْير وما شاكلها ، وإذا رأيت الحرف على مثال

(١) وهي قراءة الأعرج والضحاك : ينظر : المحتسب : ٣٥٦/١ ، والبحر المحيط : ٣٦٧/٥ .
(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٥٠٥/١-٥٠٦ .
(٣) مجاز القرآن : ٣٢٥/١ ، وينظر : الزاهر في معاني كلمات الناس : ٩/١ .
(٤) غريب القرآن لابن قتيبة : ٢٢٦ .
(٥) جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ٤٨٥/١٣ .
(٦) الأمالي لأبي علي القالي : ٢٦٩/٢ .

فِعال أولُهُ ميمٌ مكسورة فهي أصلية ، مثل : ميم مِهاد ومِلاك ومِراس ومِحال وما أشبهها"[1] .

وعلى قراءة فتح الميم "يجوز أن يكونَ المعنى : شديدُ الفَقار ، ويكون مثلاً في القوة والقدرة ، كما جاء : فساعدُ اللهِ أشدُّ ومُوساهُ أحدُّ ؛ لأن الحيوان إذا اشتدَّ مَحالُهُ كان منعوتاً بشدة القوة والاضطلاع بما يعجزُ عنه غيرُهُ ، ألا ترى إلى قولهم : فقرتْهُ الفواقرُ ؛ وذلك أنّ الفقار عمودُ الظهر وقوامُهُ"[2] .

واختلف في اشتقاق (المِحال) على أوجه :

الأول : من قولهم : مَحَلَ فلانٌ بفلان : إذا سعى بهِ إلى السلطان وعرَّضهُ للهلاك ، والمعنى : أنّ الله سبحانَهُ شديدُ المكر لأعدائِهِ يهلكُهُم بطريقٍ لا يتوقعونَهُ .

الثاني : المِحال الشدة ، ومنه تسمى السنة الصعبة : سنةُ المَحْل ، ولفظ (فِعال) يقع على المجازاة والمقابلة ، والمعنى : أنّ الله شديد المغالبة .

الثالث : ماحلَ عن أمرِهِ ، أي : جادلَ ، والمعنى : شديد الجدال[3] .

و(المِحال) بكسر الميم يحتمل معنيين : فإنْ كانت الميم أصلية فهو فِعال بمعنى الكيد ، وفعلُهُ (مَحَل) فكان جدالُهُم في الله جدالَ كيدٍ ، لأنَّهم يبرزونَه في صورة الاستفهام كقولهم : ﴿ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴾ يس : ٧٨ ، فقُوبل بـ(شديد المحال) على طريقة المشاكلة ، أي : وهو شديد المحال لا يغلبونَهُ ، وإن كانت الميم زائدة فهو مِفْعل من الحول بمعنى القوة فأُبدلتْ الواو ألفاً على غير قياس؛ لأنّه لا موجب للقلب ؛

---

(١) تهذيب اللغة (محل) : ٦٢/٥ ، وينظر : المحرر الوجيز : ٣٠٤/٣ .

(٢) الكشاف : ٥١٠/٢ .

(٣) ينظر : التفسير الكبير : ٢٩/١٩ .

لأنَّ ما قبل الواو ساكن سكوناً حياً بَيْدَ أنها قلبت ألفاً للتفرقة بينَهُ وبين مُحْوِل بمعنى : صبي ذي حَوْل ، أي : سنة(١) .

وبهذا الاستدلال يجوز أن تكونَ الميمُ زائدةً وفاقاً لابن قتيبة ؛ لأنها إن جُعلت زائدة يحتمل أنْ يكونَ (المِحال) مِنَ الحول بمعنى : القوة ، وهو معنى لم يكنْ مكتسباً لولا الزيادة ، وعلى هذا تعددت معاني (المِحال) فهو إمَّا من (المحل) بمعنى: الكيد والهلاك والشدة ، وإمَّا من (الحَوْل) بمعنى : القوة ، والقراءة بفتح الميم تعضدُ هذا الوجه ، وهذهِ المعاني كلها مرادة في ذات الله سبحانَهُ وهي مبنى التوسع حينئذٍ .

٥- (قرارة العين) :

قال تعالى : ﴿ فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴾ مريم : ٢٦

قال البيضاوي تعليقاً على قوله تعالى : (وقَرِّي) : "وطيبي نفسَكِ وارفضي عنها ما أحزنك ... واشتقاقه من القرار ، فإنّ العين إذا رأت ما يسرُّ النفسَ سكنت إليهِ من النظر إلى غيره ، أو من القَرّ فإنّ دمعة السرور باردة ودمعة الحزن حارّة ولذلك يقال : قرة العين للمحبوب وسخنتها للمكروه"(٢) . أي : طيبي نفساً وافرحي ولا تحزني ، والمعنى : ولتَقْرَرْ عينُكِ بولدِكِ(٣) .

وهو منْ : قررتُ بالمكان ، أو مِنْ : قَرَرَتْ به عيناهُ مشتقٌ من القَرّ ، أي : بردت العينُ ولم تخرجْ دَمعاً(٤) .

---

(١) ينظر : التحرير والتنوير : ١٠٦/١٣ .

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٦٢٥/٢ .

(٣) ينظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ٥١٥/١٥ .

(٤) ينظر : الهداية إلى بلوغ النهاية : ٤٥٢٦/٧ .

"وقيل : إن العين إذا بكت من السرور فالدمع بارد ، وإذا بكت من الحزن فالدمع يكون حاراً ، فمن هذا قيل : أقرَّ اللهُ عينَهُ ، وأسخَنَ اللهُ عينَهُ"[1] . فإن كان الفعلُ مأخوذاً من : قررتُ بالمكان فهو من القرار ، أي : "صادفتِ العينُ ما ترضاهُ فقرَّتْ وسكنتْ من النظر إلى غيرِهِ"[2] والوجه الآخر أن يكون الفعلُ (قرِّي) مشتقاً "من القَرور : وهو الماء البارد"[3] والقَرُّ والقِرَّةُ : البرد ، وأقرَّ الله عينَهُ : أنامها ، والمعنى : صادفَ سروراً يذهبُ سَهَرَهُ فينام[4] . قال الشهاب الخفاجي : "طيب النفس عبارة عن الاطمئنان وعدم القلق والحزن ، فقولُهُ : وارفضي ، أي : اتركي تفسيره ، يعني : أنّ قرة العين كناية عن السرور ودفع الحزن وهو إمّا من القرار والسكون ، أو من القُرّ بمعنى : البرد ويشهد للأول قولُهُ : ﴿ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ ﴾ الأحزاب: ١٩ ، من الحزن وللثاني قولهم : قرة العين وسخنتها وذكروا في وجه برودة دمعة السرور وسخونة غيرها أنَّ سبب البكاء ارتفاع أبخرة ينعصر بها ما في الدماغ من الرطوبات حتى تسيل وتلك الأبخرة تكون حرارتها في حالة الحزن أشد لعدم انتشارها كما في السرور الظاهر على البشرة"[5] "وتسليتها (عليها السلام) بما تضمنتْهُ الآية من إجراء الماء وإخراج الرطب من حيث إنهما أمران خارقان للعادة فكأنّهُ قيل : لا تحزني فإنّ الله تعالى قدير ينزهُ ساحتك عمّا يختلج في صدور المتقيدين بالأحكام العادية بأن يرشدهم إلى الوقوف على سريرة أمرك بما أظهر لهم من البسائط العنصرية والمركبات النباتية ما يخرق العادات التكوينية وفرع على التسلية الأمر بالأكل والشرب ؛ لأن الحزين قد لا يتفرغ

---

(١) معالم التنزيل : ٢٢٧/٥ ، وينظر : الجامع لأحكام القرآن : ٤٣٨/١٣ .

(٢) غرائب التفسير وعجائب التأويل : ٦٩٤/١ ، وينظر : الدر المصون في علوم الكتاب المكنون : ٥٩٠/٧ .

(٣) زاد المسير : ٢٢٤/٥ .

(٤) ينظر : لسان العرب (قرر) ، وتاج العروس (قرر) .

(٥) حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي : ١٥٤/٦ ، وينظر : الكليات : ٧٣٣ .

لمثل ذلك"[1] "وقرة العين تشمل هناء العيش ، وتشمل الأُنس بالطفل المولود وفي كونه قرة عين كناية عن ضمان سلامتِهِ ونباهة شأنه"[2] والاستلذاذ حاصلٌ في كلا الاشتقاقين سواءٌ أكان الفعل مشتقاً من القرار بالمكان أم من قرة العين ببرودها ونومها بعد التعب والمشقة ، والمعنيان أنفسُهُما قصدهما التعبير القرآني .

٦- (الوزير) :

قال تعالى : ﴿ وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي هَارُونَ أَخِي ﴾ طه : ٢٩ – ٣٠ .

قال البيضاوي : "واشتقاق الوزير ، إمّا مِنَ الوِزْر ؛ لأنه يحملُ الثقل عن أميرِهِ ، أو من الوَزَر وهو الملجأ ؛ لأنّ الأمير يعتصمُ برأيهِ ، ويلتجئ إليه في أمورِهِ ، ومنه الموازرة ، وقيل : أصله أزير من الأزر بمعنى القوة : فعيل بمعنى مفاعل ، كالعشير والجليس ، قلبتْ همزتُهُ واواً كقَلْبها في موازر"[3] .

الوَزَر : الجَبَلُ الذي يلتجأُ إليه ، والوِزْرُ : الحِمْلُ الثقيل ، والوزير : هو الذي يستوزرُهُ الملكُ مستعيناً برأيهِ[4] .

ووازرتُهُ : صِرتُ له وزيراً ، والأصل فيه من الوِزْر وهو الحِمْل : كأنَّ الوزير يحمل عن السلطان الثِّقل[5] . من خلال مؤازرتِهِ إياه في أعباء الحكم .

أو مشتق مِنَ المؤازرة وهي المعاونة ، وكان القياس أن يكون (أزيراً) فقلبت الهمزة إلى الواو ، ووجه قلبها أنّ فعيلاً جاء في معنى مفاعل كقولهم : جليسٌ وصديقٌ

---

(١) روح المعاني : ٨٦/١٦ .

(٢) التحرير والتنوير : ٨٩/١٦ .

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٦٤٢/٢ .

(٤) ينظر : العين (وزر) : ٣٦٦/٤ ، والمفردات في غريب القرآن (وزر) : ٥٣٦ .

(٥) ينظر : غريب القرآن لابن قتيبة : ٢٧٨ ، والأفعال لابن القطاع : ٣١٦/٣ .

، أي بمعنى : مجالس ومصادق ، فلما قلبت في : جليس وصديق قلبت في وزير فصار موازراً ، وحمل الشيء على نظيره ليس بعزيز[١] .

والواو في (الوزير) أصلٌ ؛ لأنّهُ مِنَ الوزر والموازرة ، وإن كانت منقلبة عن الهمزة فانقلابها قليل في اللغة[٢] .

والواو تبدل "من الهمزة باطراد ، إذا كانت مفتوحة وقبلها حرف مضموم نحو : جُؤن ، وسُؤلة ، تقول في تخفيفهما : جُوَن وسُوَلة"[٣] .

أما أبو حيان الأندلسي فقد أنكر قلب الهمزة واواً ، قال : "ولا حاجة إلى ادعاء قلب الهمزة واواً ؛ لأنّ لنا اشتقاقاً واضحاً وهو الوزر ، وأمّا في (يؤازر) ؛ فلأجل ضمة ما قبل الواو ، وهو أيضاً إبدال غير لازم"[٤] .

وجَوَّز السمين الحلبي أن يكون فعيل بمعنى مفاعل ، أي : وزيرٌ بمعنى مؤازر و(مُؤازر) قلبت همزتُهُ واواً قلباً قياسياً فصار موازراً ؛ لأنها مفتوحة بعد ضمة فهو نظير (كِتاباً مُوَجَّلاً)[٥] آل عمران : ١٤٥ بالتخفيف فحُمِل (أزير) عليه في القلب وإن لم يكن فيه سبب القلب[٦] . فإن كان أصلُهُ (أزيراً) فهو من الأزر بمعنى : القوة ، ووزير بمعناهُ فحُمِل عليه ، وحمل النظير على النظير كثيرٌ في كلام العرب[٧] .

(١) ينظر : الكشاف : ٣/١٤٢-١٤٣ ، والتفسير الكبير : ٢٢/٤٩ .

(٢) ينظر : التبيان في إعراب القرآن : ٢/١٨٢ .

(٣) الممتع في التصريف : ٢٤٠ .

(٤) البحر المحيط : ٦/٢٢٥ .

(٥) وهي قراءة أبي جعفر وورش . ينظر : الدر المصون في علوم الكتاب المكنون : ٣/٤١٩، ومعجم القراءات : ١/٥٨٣ .

(٦) ينظر : الدر المصون في علوم الكتاب المكنون : ٨/٣٣-٣٤ .

(٧) ينظر : روح المعاني : ١٦/١٨٤ .

"فلما كَثُر في الكلام قولهم : مُوازر ويُوازر بالواو نطقوا بنظيره في المعنى بالواو بدون موجب للقلب إلا الحمل على النظير في النطق ، أي : اعتياد النطق بهمزتِهِ واواً"[١] .

وعلى هذا فالتعبير بـ(وزيراً) أفضى إلى تعدد المعاني وعلى نحو مما يأتي :

١- يحتمل أن يكون مشتقاً مِنَ (الوَزَر) وهو الملجأ ، فإنّ موسى ﴿ عليه السلام ﴾ كان يلتجئ إلى أخيهِ هارون في أمورِهِ .
٢- ويحتمل أنْ يكونَ مشتقاً من (الوِزْر) وهو الحِمْل الثقيل فإنه كان يحملُ معَهُ أعباء الرسالة كحمل الوزير الثقل عن مليكِهِ أو أميرِهِ .
٣- ويحتمل أن يكونَ مأخوذاً مِنَ (الأزر) بمعنى : القوة ، فإنَّ موسى ﴿ عليه السلام ﴾ كان خائفاً والخائف أدعى إلى طلب المعونة والنّصرة ، وهذه المعاني مرادة مقصودة في هذا الموقف ، والسياق يحتملها جميعاً .

٧- (الاستئناس) :

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ النور : ٢٧

قال البيضاوي تعليقاً على قولهِ تعالى : (تستأنسوا) : "تستأذنوا مِنَ الاستئناس بمعنى : الاستعلام مِنْ : آنسَ الشيء : إذا أبصرَهُ فإن المستأذن مستعلم للحال مستكشف أنّه هل يراد دخولُهُ أو يؤذن له ؟ أو مِنَ الاستئناس الذي هو خلاف الاستيحاش ، فإن المستأذن مستوحش خائف أن لا يؤذَن له ، فإذا أُذِنَ له استأنس ، أو تتعرفوا هل ثَمَّ إنسان من الإنس"[٢] .

(١) التحرير والتنوير : ٢١٢/١٦ .
(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٧١٨/٢ .

تستأنسوا بمعنى : تستأذنوا ، وفي الكلام تقديم وتأخير ، أي : حتى تسلموا وتستأذنوا ، وأُمروا أن يقولوا : السلام عليكم أأدْخُلُ ؟ وهو في كلام العرب : اذهبْ فاستأنسْ هل ترى أحداً ؟ والمعنى : انظروا مَنْ في الدار ؟[١] .

ذكر الطبري أنّ : الاستئناس مأخوذ من الأُنس ، وهو أنْ يخبرَ أهلَ البيت بأنّه داخل عليهم فيأنس بإذنِهِم له وهو خلاف الاستيحاش[٢] . والاستئذان : الاستعلام تقول : آنستُ منه كذا وكذا ، أي : عَلِمتُ منه ، والمعنى : حتى تستعلموا أيريدُ أهلُها أن يُدخِلوا أم لا ؟[٣]

والمعنيان ذكرهما الزمخشري : الأول : الاستئناس الذي هو خلاف الاستيحاش الدالّ على خفاء الحال ، أي : أيؤذنُ له أم لا ؟ والآخر : الذي بمعنى الاستعلام وهو (استفعالٌ) مشتق من آنسَ الشيءَ : إذا أبصرهُ ظاهراً مكشوفاً ، والمعنى : حتى تستعلموا هل يُراد دخولكم أم لا ؟[٤] ورَدَّ ابنُ عطية الأندلسي على الطبري قائلاً : "وتصريف الفعل يأبى أنْ يكونَ من آنس"[٥] .

ويحتمل الاستئناس وجهاً ثالثاً وهو أنْ يكونَ "مِنَ الإنس وهو أن يتعرفَ هل ثَمَّ إنسان"[٦] يسكن البيتَ أم لا ؟

وضعَّفَ الآلوسي هذا الوجه ؛ لأنّ فيه اشتقاقاً من جامد وهو الإنس جمع إنْسيّ كالمسرج من السراج[٧] . والقولُ ما ذكرهُ ؛ لأنّهُ لا يصحُّ الاشتقاق من الاسم الجامد في الغالب وهو مقصورٌ على السماع : كاستحجر الطين ، واستتيست الشاة.

---

(١) ينظر : معاني القرآن للفراء : ٢٤٩/٢ ، وغريب القرآن لابن قتيبة : ٣٠٣ .

(٢) ينظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ٢٤٥/١٧-٢٤٦ .

(٣) ينظر : معاني القرآن وإعرابه : ٣٩/٤ ، ومعاني القرآن للنحاس : ٨٠١/٢ .

(٤) ينظر : الكشاف : ٢٨٣/٣ ، والدر المصون في علوم الكتاب المكنون : ٣٩٦/٨ .

(٥) المحرر الوجيز : ١٧٥/٤ .

(٦) التفسير الكبير : ١٩٨/٢٣ ، وينظر : فتح القدير : ٢٧/٤ .

(٧) ينظر : روح المعاني : ١٣٤/١٨ .

وأنكر ابن عاشور أن يكون مشتقاً من (آنس) بمعنى عَلِمَ ؛ إذ قال : "وليس المراد بالاستئناس أنه مشتق من آنس بمعنى عَلِم ؛ لأنّ ذلك إطلاق آخر لا يستقيم هنا فلا فائدة في ذكرِه"[1] .

وهذا فيه نظر ؛ لأنّ المفسرين ذكروا أنَّ اشتقاقَهُ من (آنس) بمعنى عَلِمَ علاوةً على احتمال السياق هذا المعنى ، ومعنى الإيناس الذي هو ضد الوحشة . وكلاهما معنيان مرادان كما هو ظاهر النص القرآني وهذا هو مكمن التوسع في المعنى والله أعلم .

٨- (البَسُّ) :

قال تعالى : ﴿ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴾ الواقعة : ٥

قال البيضاوي : "أي : فُتّتت حتى صارت كالسويق الملتوت مِنْ بَسَّ السويق: إذا لتَّهُ ، أو سِيقتْ وسُيّرت . من : بسَّ الغنمَ إذا ساقها"[2] ، أي : صارت الجبال كالدقيق، والبسيسة عند العرب : الدقيق ، أو السويق يُلَتّ ويُتخذُ زاداً[3] . وبسستُ الحِنْطةَ والسّويقَ بالماء : فتتُّهُ به وهي البسيسة ، وانبست الحياتُ : انسابت انسياباً سريعاً ، وبسستُ الإبل : زجرتُها عند السوق[4] . وذكر الماوردي خمسة أوجه للفعل (بسَّ) : أحدها : سالت سيلاً ، والثاني : هُدت هدّاً ، والثالث : سُيرت سيراً ، والرابع : قطعت قطعاً : والخامس : بُست كما يُبس السويق[5] .

وقال ابن منظور : "وبُسَّتْ : فُتّت فصارت أرضاً ، وقيل : نُسِفَت كما قال تعالى : ﴿يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا﴾ طه : ١٠٥ ، وقيل : سِيقَتْ كما قال تعالى :

---

(١) التحرير والتنوير : ١٩٧/١٨ .

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ١٠٣٨/٢ .

(٣) ينظر : معاني القرآن للفراء : ١٢١/٣-١٢٢ ، وغريب القرآن لابن عُزيز : ٤٦ .

(٤) ينظر : المفردات في غريب القرآن (بسّ) : ٥٦ .

(٥) ينظر : النكت والعيون : ٤٤٦/٥-٤٤٧ ، وفتح القدير : ١٩٦/٥ .

﴿ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴾ النبأ : ٢٠ "[١] "وقرأ[٢] زيد بن علي (رَجَّت) و(بَسَّتْ) مبنيين للفاعل على أنّ رجَّ وبسَّ يكونان لازمين ومُتَعَديين ، أي : أُزيحتْ وذَهَبَتْ"[٣] وقيل معناهُ : سِيْقَتِ الجبالُ سوقاً سريعاً فيكون كقولهِ تعالى : ﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ ﴾ الكهف : ٤٧ [٤] . والبسُّ يطلقُ بمعنى التفتت وهو تفرق الأجزاء المجموعة ومنه البسيسة من أسماء السويق ، أي : فُتتت الجبال ونسفت ، ويطلق البسُّ أيضاً على السوق للماشية يقال : بسَّ الغنمَ : إذا ساقها ، وتأكيده بقولِهِ : (بسّاً) لإفادة التعظيم بالتنوين ، وتفريع ﴿ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴾ على (بست الجبال) لائق بمعنيي البسّ ؛ لأنّ الجبال إذا سيّرت فإنما تُسيّر تسييراً يفتّتها ويفرّقها ، أي : تسيير بعثرة وارتطام[٥] . ومؤدى الاشتقاق إلى إرادة المعنيين ظاهرٌ في التعبير في هذه الآية والله أعلم[٦] .

---

(١) لسان العرب (بسس) ، وينظر : تاج العروس (بسس) .

(٢) وهي قراءة ابن عمير وزيد بن علي ، ينظر : شواذ القراءات : ٤٦٢ ، واللباب في علوم الكتاب : ٣٧٤/١٨ .

(٣) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون : ١٩٤/١٠ .

(٤) ينظر : بصائر ذوي التمييز : ٢٤٥/٢ .

(٥) ينظر : التحرير والتنوير : ٢٨٤/٢٧ .

(٦) للمزيد: ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ١٢/١ ، ٤٦٦/١ ، ١١١٦/٢ ، ١١٦٢/٢ .

الفصل الثالث
التوسع في المستوى اللغوي

المبحـث الأول : التوسع في المشـترك اللفظـي .

المبحث الثاني : التوسع في الأضـداد .

المبحث الثالث : التوسع في اختلاف لهجات العرب .

الفصل الثالث

التوسع في المستوى اللغوي

المبحث الأول : التوسع في المشترك اللفظي

المشترك اللفظي لون من ألوان التوسع في المعنى في القرآن الكريم وبهِ تكثر دلالات النص القرآني ما لم تكن هناك قرينة صارفة لوجهٍ دون آخر ، ولا بُدَّ من الوقوف – بدءاً – على تعريف العلماء له :

المشترك لغةً : كلُّ شيءٍ كان فيه القومُ سواء فهو مشترك ، والطريقُ مُشترَكٌ ، أي: الناس فيه شركاء ، واسمٌ مُشْتَرَكٌ : تشترِكُ فيه معانٍ كثيرة(١) .

واصطلاحاً : عبَّر عنهُ سيبويه باتفاق اللفظين والمعنى مختلف ، كوجدتُ عليه من المَوْجِدة وهي الغضب ، ووجدتُ مِنْ وجدان الضالّة(٢) . و"ضربتُ مثلاً ، وضربتُ زيداً ، وضربتُ في الأرضِ : إذا أبعدتُ"(٣) .

وعرَّفهُ ابن فارس بقولهِ : "أنْ تكون اللفظة محتملة لمعنيين أو أكثر"(٤) أو هو "ما وضع لمعنىً كثير بوضع كثير كالعين لاشتراكِهِ بين المعاني"(٥) وبين المعنى اللغوي والاصطلاحي تقارب لا يخفى ، وعلى العموم فإنّ التعريفات التي أوردها العلماءُ في حدِّ هذه الظاهرة تصبُّ في مجرىً واحدٍ ، وعن طريق المشترك اللفظي اكتسب التعبير القرآني الدلالات المتنوعة سواء أكانَ ورودُهُ في العربية على سبيل الحقيقة أم التُمست له معانٍ متطورة على سبيل المجاز(٦) ، وقد اختلف العلماء في هذه

---

(١) ينظر : العين (شرك) : ٣٢٧/٢ ، ولسان العرب (شرك) .
(٢) ينظر : الكتاب : ٢٤/١ ، وفصيح ثعلب : ٢٨٠ .
(٣) المقتضب : ١٨٤/١ ، وينظر : فقه اللغة وأسرار العربية : ٢١٨ .
(٤) الصاحبي في فقه اللغة : ٢٢٥ ، وينظر : المزهر : ٢٩٢/١ .
(٥) التعريفات : ٩٤ ، وينظر : كشاف اصطلاحات الفنون : ١٥٤٧/٢ .
(٦) ينظر : دراسات في فقه اللغة : ٣٠٢ .

الظاهرة بين مؤيدٍ ومنكرٍ[١] ، ولا أرى سبيلاً يدعو إلى إنكار المشترك اللفظي ؛ لأنّ القرآن الكريم وهو أعلى نص أدبي قد جاء بهِ في مواطنَ كثيرة لِمَا له من أثرٍ في توسع المعنى القرآني كما سيأتي ، أما البيضاوي فقد وقف عند ظاهرة المشترك وأولاها عناية كبيرة من خلال تفسيره القرآن الكريم وكان من المؤيدين لهذه الظاهرة والأمثلة التي جاءت في كتابه كثيرة مبثوثة في صفحات التفسير منها :

١- قال تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۚ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾ وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ۚ كُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ الأنعام: ١٤١-١٤٢

ذكر البيضاوي لقوله تعالى : (وفَرْشاً) معانيَ ؛ إذ قال : "عطف على جنات ، أي : وأنشأ من الأنعام ما يحمل الأثقال وما يفرش للذبح ، أو ما يفرش المنسوج من شَعَرِهِ وصوفِهِ ووبرِهِ ، وقيل : الكبار الصالحة للحِمل ، والصغار الدانية من الأرض مثل الفرش المفروش عليها"[٢] .

أجمع أهل اللغة على أنَّ الفَرْشَ صغارُ الإبل[٣] ، ويحتمل الفرش ما ينسجُ من وبرِهِ وصوفِهِ وشَعَرِهِ[٤] ، وهو "مصدر فَرَشتُ ، والفرشُ : المفروش ، والفرشُ من

(١) ينظر : في اللهجات العربية : ١٦٦ ، وفصول في فقه العربية : ٣٢٤-٣٢٥ .
(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٣٢٥/١ .
(٣) ينظر : معاني القرآن وإعرابه : ٢٩٨/٢ .
(٤) ينظر : الكشاف : ١٣٠/٢ .

الأنعام : ما لا يصلحُ إلا للذبح ، وهو صغارها ، وفي التنزيل : (ومن الأنعام حَمولةً وفَرْشاً) والفرش : رِقُّ الحَطَب ، والفرشُ : الفضاء الواسع"[١] .

وما يفرش للذبح هو من صغار الإبل والبقر والغنم ، وهذا اللفظ يستوي فيه الواحد والجمع[٢] ، وقد يكون الفرشُ : المفروش من متاع البيت ، أو هو بمعنى الزرع إذا فُرِش ، والفرش في رِجل البعير : اتساع قليل وافترش الشيءُ : انبسط ، فهو لفظ مشترك ، وقد يرجع الفرشُ في الآية الكريمة إلى هذا[٣] . ومن معانيهِ عند أبي حيان الأندلسي : الأرض الملساء ، أو نبتٌ يلتصق بالأرض[٤] . "ولفظ (فَرْشاً) صالحٌ لهذهِ المعاني كلّها ، ومحاملُهُ كلّها مناسبة للمقام ، فينبغي أن تكون مقصودة من الآية ، وكأنّ لفظ الفرش لا يوازنُهُ غيرهُ في جمع هذه المعاني وهذا من إعجاز القرآن من جانب فصاحتِهِ"[٥] ولا يخفى دورُ المشترك اللفظي في تأدية اتساع المعنى في هذا اللفظ وتحققه في سياقِهِ ، فإنْ كان (الفرشُ) بمعنى : صغار الإبل والغنم فهي مما يصلح للذبح ويكونُ لحمها طرياً وفي المأكل أطيب ، وإنْ كان بمعنى الوَبَر والصوف فلا تخفى منافُعها في صنع البيوت واتخاذ الملبس ، وإن كان بمعنى : رقاقة الحطب ؛ فلافتراشِهِ واستخدامِهِ كوقود للقدور ، وإنْ كان بمعنى : الفضاء الواسع من الأرض أو الأرض الملساء ؛ فلقولِهِ تعالى : ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا ﴾ البقرة : ٢٢ ، أي : تفترشونها وتنامون عليها علاوةً على رعي الأنعام فيها، ويحتمل أن يكون المفروش من متاع البيت . وإنْ كان معناهُ : الزرعَ المفروش ، يصدق عليه ما بعدَهُ وهو قولُهُ

(١) ما اتفق لفظه واختلف معناه لابن الشجري : ٣٢٠ .

(٢) ينظر : المغرب في ترتيب المعرب : ١٣٢/٢ .

(٣) ينظر : الجامع لأحكام القرآن : ٧٥/٩ ، ولسان العرب (فرش) ، والدر المصون في علوم الكتاب المكنون : ١٩١/٥ .

(٤) ينظر : البحر المحيط : ٢٣٧/٤ .

(٥) التحرير والتنوير : ١٢٦/٨ .

تعالى :﴿كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾ ، ووجه اتساع رِجْل البعير : فائدتُهُ في السفر والانتقال وتحمل الأثقال في قطع الصحاري ، وإنْ كان بمعنى : نَبْت يلتصق بالأرض فهو ما تأكلُهُ الأنعام وتعود عليهم بالمنافع ، وكل هذه المعاني يحتملها سياق الآية وفيه من التوسع في المعنى ما فيه .

٢- قال تعالى : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ الأعراف : ١٨٧

ذكر البيضاوي أنّ قولَهُ تعالى : (حفيٌّ) معناه : عالمٌ بها من حفى عن الشيء: إذا سأل عنه فإنّ مَنْ بالغ في السؤال عن الشيء استحكم علمُهُ فيه ، وقيل : هو من الحفاوة بمعنى : الشفقة ، فإنَّ قريشاً قالوا : إنّ بيننا وبينك قرابةً فقل لنا متى الساعة ، والمعنى : كأنك تتحفى بهم ؛ لأجل قرابتهم بتعليم وقتها ، وقيل : كأنك حفيٌّ بالسؤال عنها : تحبُّهُ ، من حفى بالشيء : إذا فَرِحَ أنْ تُكْثَرَهُ ؛ لأنه مِنَ الغيب الذي استأثر الله بعلمِهِ[١] .

أحفى الرجلُ : إذا ألحَّ في السؤال ، والحَفِيّ : اللطيف بك يَبَرُّكَ ويلطفكَ ، كقولهِ تعالى : ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا﴾ مريم : ٤٧ ، أي : بَرًّا لطيفاً[٢] . "ويقال في التفسير : كأنك حَفِيّ ، أي : كأنك عالمٌ بها"[٣] . أو يكون المعنى : "كأنك فَرِحٌ بسؤالهم ، يقال :

(١) ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٣٧١/١ .

(٢) ينظر : العين (حفا) : ٣٣٨/١ ، والمحكم والمحيط الأعظم (حفو) : ١٧/٤ .

(٣) معاني القرآن للفراء : ٣٩٩/١ ، وينظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ٦١٢/١٠ .

تحفيتُ بفلان في المسألة : إذا سألتُ سؤالاً أظهرتُ فيه المحبة والبَرَّ بهِ"[١] وحقيقتُهُ : كأنّك بليغٌ في السؤال عنها ؛ لأن من بالغَ في المسألة عن الشيء ونقَّر عنه رَصُنَ علمُهُ فيه وهذا التركيب معناهُ : المبالغة ، فلما سألتْهُ قريشٌ عن وقتها ، قيل : (يسألونك كأنك حفيٌّ عنها) أي : تخصُّهم بتعليم وقتها ؛ لأجل القرابة ولو أُخبرتَ بوقتها لكنتَ مبلِّغَهُ القريبَ والبعيد كسائر ما أُوحي إليك ، وقيل : كأنك حفيٌّ بالسؤال عنها تحبُهُ وتؤثرهُ ، أي : تكرهُ السؤال عنها ؛ لأنها من علم الغيب الذي استأثر الله بهِ ولم يؤتِهِ أحداً من خلقِهِ[٢] . والأصلُ في (حفي) الاستقصاء في السؤال عن الشيء وتعلُّمِهِ بأقصى ما يمكن . ومن بالغ في السؤال يلزمُهُ أنْ يكونَ ماهراً في العلم بهِ لذلك كنَّى عن قولهِ : (حفي عنها) عن معنى : عالمٌ بها ، وعلى معنى اللُّطف والبَرّ يكون معنى الآية : يسألونك كأنك صديقٌ لهم بارٌّ بهم ، وأنت لا تكون حفياً بهم ما داموا على كفرهم ، وعلى معنى الفرح والبشاشة يكون معنى الآية : يسألونك كأنك حفيٌّ تسرُّ وتفرحُ بالسؤال عنها والحال أنك تكره السؤال عنها ؛ لأنّها من علمِ الغيب الذي لم يُطلع اللهُ أحداً عليهِ[٣] . وذكر الشوكاني (ت١٢٥٠هـ) معنيين لـِ(حَفِيّ) : الأول : العالم بها ، والآخر : فَرِح بسؤالهم عنها ، ورجَّح الأول بقولِهِ : "والأول هو معنى النظم القرآني على مقتضى المسلك العربي"[٤] . بَيْدَ أنَّ سياق الآية مظنة الاشتراك اللفظي في قولِهِ (حفيٌّ عنها)، فيحتمل أنْ يكونَ : كأنّك عالمٌ بها ، أو فَرِحٌ بالسؤال عنها ؛ أو لطيفٌ

---

(١) معاني القرآن وإعرابه : ٣٩٤/٢ ، وينظر : ما اتفق لفظه واختلف معناه لابن الشجري : ١١١ ، ولسان العرب (حفا) .

(٢) ينظر : الكشاف : ٢٢٥/٢ ، وغرائب التفسير وعجائب التأويل : ٤٣٠/١ ، وزاد المسير : ٢٩٨/٣-٢٩٩ .

(٣) ينظر : حاشية الشيخ زاده على تفسير البيضاوي : ٣٨٨/٢ .

(٤) فتح القدير : ٣٩١/٢ .

بالإخبار عن وقتها لو كنت تعلَمُهُ لكنّ اللهَ قضى كتمانَ وقتِها ؛ لحكمةٍ منهُ ، والمعنى توسَّع بالجمع بين هذه المعاني بعد احتمال السياق القرآني لها والله أعلم .

٣- قال تعالى : ﴿ وَلْيَطَّوَّفُواْ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴾ الحج : ٢٩

قال البيضاوي تعليقاً على قولهِ تعالى (العتيق) : "القديم ؛ لأنَّه أول بيتٍ وضع للناس، أو المُعْتَقُ من تسلط الجبابرة ، فكم من جبار رَسَا إليه ليهدمه فمنعَهُ الله تعالى"(١) .

سُمي البيت بـ(العتيق) "لأنّهُ عتيقٌ من التجبر ، فلا يتكبر عنده جبّارٌ"(٢) . وقيل العتيق ، أي : "لم يملكْهُ أحدٌ من الناس"(٣) ، وذكر الزجاج أنّ: العتيق هو القديم بدليل قولِهِ تعالى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا ﴾ آل عمران: ٩٦ ، أو الذي عُتِق من الغرق أيام الطوفان بدليل قولِهِ : ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ ﴾ الحج : ٢٦ ، أي : أن البيت رُفِع وبقي مكانُهُ ، وهذا المعنى لم يذكرهُ البيضاوي ، وهذه الأوجه كلُّها جائزة مقبولة عندهُ(٤) . وقد يكون معنى (العتيق) : الكريم ، كقولِ العرب : حَسَبٌ عتيقٌ : إذا كان كريماً(٥) ، أو لأنّهُ "عتقهُ في الجاهلية من القتل والسبي والجراحات وغيرها"(٦) . أما وجهُ عتقِهِ من الجبابرة فلما " ... قصد التسلط

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٦٨٥/٢ .

(٢) غريب القرآن لابن قتيبة : ٢٩٢ ، وينظر : معاني القرآن للنحاس : ٧٥٨/٢ .

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ٥٣٠/١٦ ، وينظر : النكت والعيون : ٢١/٤ .

(٤) ينظر : معاني القرآن وإعرابه : ٤٢٤/٣ ، وما اتفق لفظه واختلف معناه لابن الشجري : ٢٦٤ .

(٥) ينظر : الزاهر في معاني كلمات الناس : ١٧٨/٢ .

(٦) بحر العلوم : ٣٩٢/٢ .

عليه إبرهة فُعِل بهِ ما فُعِل"[1] من إرسال الطير عليهم بالحجارة فأُهلكوا ، وسورة الفيل شاهدةٌ على ذلك . وردَّ ابن عطية الأندلسي أنّ تسميتَهُ بالعتيق ؛ لأنّ الله يعتق فيه رقابَ المذنبين من العذاب قولٌ مردودٌ تصريفياً[2] . وقد ردَّ أبو حيان الأندلسي هذا قائلاً : "ولا يردُّهُ التصريف ؛ لأنّه فسَّرهُ تفسيرَ معنًى ، وأما من حيث الإعراب ؛ فلأنَّ العتيق فعيل بمعنى مُفْعِل ، أي : مُعْتِقُ رقابَ المذنبين ونُسِب الإعتاق إليه مجازاً ، إذ بزيارتِهِ والطواف به يحصلُ الإعتاق وينشأ عن كونِهِ معتقاً أنْ يقالَ فيه : يعتقُ فيه رقابَ المذنبين"[3] .

ووافقَهُ الآلوسي[4] . وهذا ما أميل إليه ؛ لأنَّ سياقَ الآية يدعو إلى عتقِ رقابِهِم كما يعتقُ السيّدُ عبدَهُ وهذا هو مظنة الحاج إلى البيت العتيق ، وعلى هذا توسَّع المعنى القرآني باشتراك هذه الأوجه في لفظة (العتيق) وهو يحتمل أنه معتقٌ من الجبابرة ، وأن مالكَهُ هو الله سبحانه أو ؛ لأنَّهُ القديم وهو أولُّ بيتٍ وضع للناس ، أو الذي أعتقه الله من الغرق أيام الطُّوفان ، أو هو الكريم الذي أغدَقَ النِعَم على العرب أيام المواسم ، أو هو معتق في الجاهلية من أنْ يقع فيه قتلٌ أو سبيٌّ للنساء وما أشبه ذلك ولا يخفى ما في الآية الكريمة من الاتساع اللغوي والله أعلم .

٤- قال تعالى : ﴿ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ أَنتُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ تُحۡبَرُونَ ﴾ الزخرف : ٧٠

---

(١) الكشاف : ٢٢٢/٣ .
(٢) ينظر : المحرر الوجيز : ١١٩/٤ .
(٣) البحر المحيط : ٣٣٩/٦ .
(٤) ينظر : روح المعاني : ١٤٧/١٧ .

قال البيضاوي تعليقاً على قوله تعالى : (تحبرون) : "تُسرون سروراً يظهر حبارُهُ ، أي : أثرهُ على وجوهكم ، أو تُزينون من الحَبْر وهو حسن الهيئة ، أو تُكرمون إكراماً يبالغُ فيه ، والحبرة المبالغة فيما وصف بجميل"[١] .

لفظ (تحبرون) فيه أكثر من معنىً ، فهو إمَّا معناهُ : تُسرُّون ، والمحبور هو المسرور[٢] ، أو بمعنى : "تكرمون إكراماً يبالغ فيه ، والحبرةُ المبالغة فيما وصف بجميل"[٣] . أو يكون بمعنى "اللذة والسماع بما شاء الله مِنْ ذكرِهِ"[٤] . في حين أنَّ أبا هلالٍ العسكري (ت بعد ٤٠٦هـ) يرى أنّ هناك فرقاً دلالياً بين الحبور والسرور قال : "الحبور هي النعمة الحسنة من قولك : حبرتُ الثوبَ : إذا حسَّنتُهُ ، وفُسر قوله تعالى : ﴿ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴾ الروم : ١٥ ، أي : يُنعمُونَ ، وإنما يسمى السرورُ حُبوراً ؛ لأنه يكون مع النعمة الحسنة"[٥] .

أي : أنَّ كلَّ محبورٍ مسرورٌ ، وليس كلُّ مسرورٍ محبوراً ، بمعنى : أن الحبور هو السرور وزيادة . ويحتمل أن يكون (تُحبرون) بمعنى : تفرحون ، ومكمن الفرح في القلب أو معناهُ : تتنعمون ، والنعيم يظهر في البدن[٦] . وأنكر الشهاب الخفاجي الاشتراك في هذه الآية وأنّ المعاني عنده متحدة وإنما الفرق في الاشتقاق هل هو من الحبارة بمعنى نضارة الوجه ، أو من الحبر بكسر الحاء وفتحها بمعنى الزينة ؟[٧] .

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٩٦٣/٢ .

(٢) ينظر : مجاز القرآن : ٢٠٥/٢ ، وغريب القرآن لابن قتيبة : ٤٠٠ .

(٣) معاني القرآن وإعرابه : ٤١٩/٤ .

(٤) معاني القرآن للنحاس : ١١٥٧/٢ .

(٥) الفروق اللغوية : ٢٦٦ ، وينظر : المحكم والمحيط الأعظم (حبر) : ٢٣٦/٣ .

(٦) ينظر : النكت والعيون : ٢٣٨/٥ ، ومعالم التنزيل : ٢٢١/٧ ، والجامع لأحكام القرآن : ٧٨/١٩ .

(٧) ينظر : حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي : ٤٥٠/٧ .

وتابعَهُ الآلوسي في كون المعاني متحدة[1] ، وكذا قال الشنقيطي (ت١٣٩٣هـ) في جعلِهِ المعاني المذكورة آنفاً ترجع إلى معنى الإكرام حَسْب[2] .

وظاهر النص القرآني يدلُّ على إرادة هذه المعاني كلّها في هذا المقام خاصّةً ؛ لأنَّ ما أعدَّ اللهُ للداخلينَ الجنة ما لا يُحيط بهِ وصفٌ وما لا تنهضُ به عبارةٌ علاوةً على احتمال هذهِ الأوجه ، الأمر الذي يُسوغُ أنْ تكونَ مطلوبةً جميعها فالتعبير بـ(تُحبرون) أظهر المعاني الآتية :

١- أن يكون بمعنى : تُسرّون فإنَّ إدخالَهم الجنة ورؤيتهم ما فيها من النعيم يسرُّ النفس فكيف إذا كانوا معَ أزواجِهِم ؟ مما يدلُّ على الزيادة في الأُنس والسرور .

٢- أن يكونَ بمعنى : تكرمون ، وليس الإكرام وحدَهُ بل المبالغة فيه .

٣- أن يكون بمعنى : السماع معَ لذتِهِ بما شاء اللهُ أن يسمعوا .

٤- أن يكون بمعنى : تفرحون ، أي : أنّ قلوبَهم فَرِحةٌ بما آتاهم ربُّهم من النعيم الخالد .

٥- أن يكون بمعنى : تنعمون والنعمة محلُّها البدن وذلك أنّ هيئة المُنعم عليه هنالك ليس ما عليهِ نحن الآن وبهذا أدّى المشتركُ اللفظي وظيفتَهُ في تعداد المعاني المرادة واتساعها في هذا السياق البديع .

(١) ينظر : روح المعاني : ٩٨/٢٥ .

(٢) ينظر : أضواء البيان : ٣٠٠/٧ .

٥- قال تعالى : ﴿ كَذَّبَتۡ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٗا مِّنَّا وَٰحِدٗا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ وَسُعُرٍ ﴾ القمر : ٢٣-٢٤

قال البيضاوي تعليقاً على قوله تعالى : (وسُعُر) : "جمع سعير كأنّهم عكسوا عليه فرتبوا على اتباعِهِم إياهُ ما رتَّبهُ على ترك اتباعهم له ، وقيل : السعر الجنون ومنه ناقةٌ مسعورةٌ"(١) .

السُعُر هو العناء من العذاب(٢) ، أو هو جمعٌ لسعير(٣) ، ويحتمل أنْ يكونَ معنى سُعُر "أي : جنون وهو مِنْ : تسعرتِ النارُ : إذا التهبتْ ، يقال : ناقةٌ مسعورة، أي : كأنها مجنونة من النشاط"(٤) . وقد أغفل البيضاوي أن يكون السُعُر بمعنى العناء "والمعنى : إنَّا إذاً لفي ضلالٍ وعناء"(٥) .

ففي قولِهِم هذا لصالح ﴿ عليه السلام ﴾ تأويلان : "أحدهما : أنهم قالوهُ لعظم ما نالهم أن يتبعوا رجلاً واحداً منهم ، كما يقول الرجل إذا نالهُ خطبٌ عظيم : أنا في النار . الثاني : أنهم لما أوعدوا على تكذيبِهِ ومخالفتِهِ بالنار رَدُّوا مثل ما قيل لهم : إنّا لو اتبعنا رجلاً مثلنا واحداً كُنّا إذاً في النار"(٦) . أي : ستكون أنفسُهُم محترقةً مستعرةً من شدة الهمّ في اتباعِهِم لَهُ(٧) . وجوّز السمين الحلبي أنْ يكونَ قولُهُ : (وسُعُر) مفرداً ، أي : جنون ، وأنْ يكون جمعَ سعير وهو النار(٨) . وقولهم هذا من باب التعكيس ، أي

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ١٠٢٩/٢ .
(٢) ينظر : معاني القرآن للفراء : ١٠٨/٣ .
(٣) ينظر : مجاز القرآن : ٢٤١/٢ .
(٤) غريب القرآن لابن قتيبة : ٤٣٣ ، وينظر : المفردات في غريب القرآن (سعر) : ٢٣٨ .
(٥) الزاهر في معاني كلمات الناس : ٢٩٠/١ .
(٦) النكت والعيون : ٤١٥/٥ ، وينظر : الكشاف : ٣١٢/٤ ، والبحر المحيط : ١٧٨/٨ .
(٧) ينظر : المحرر الوجيز : ٢١٧/٥ .
(٨) ينظر : الدر المصون في علوم الكتاب المكنون : ١٤٠/١٠ .

: كأنّ صالحاً يقول لهم : إن لم تتبعوني كنتم في ضلالٍ عن الحق في الدنيا ونيران هائلة في العقبى فعكسوا عليه وقالوا : إن اتبعناك كنّا إذاً كما تقول[١] ، ووجه السُعُر في كونهِ بُعداً عن الحق أوجه وأفصح عند الآلوسي[٢] . ولا يمنع من إرادة الأوجه جميعها في لفظة (سُعُر) وذلك ؛ لأنّ المعاني تعاضدت في هذا اللفظ مُعبرةً عن فرطِ توغلِهِم في اتباع الهوى والإعراض عن الحقّ ، والذي سوَّغ ذلك هو الاشتراك ، أي : إن اتبعوا هذا النبيّ فهم يرونَ أنفسَهُم في عناء ومهلكة من العذاب ، وفي نيرانٍ تستعرُ بهم ، وفي جنونٍ يأخذُ بعقولِهِم ، وكلّ هذه المعاني محتملة في سياق الآية الكريمة .

٦- قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴾ القمر : ٥٤

قولُهُ تعالى : (ونَهَر) يحتمل أنَّهُ : "أنهار واكتفى باسم الجنس ، أو سعة ، أو ضياء من النهار"[٣] .

وذكر الفراء أنّ (نَهَرًا) معناهُ : أنهارٌ ، ويكون بمعنى الضياء والسعة [٤] . والنَهْر والنَهَر : واحد الأنهار وقد يعبر بالواحد عن الجمع ، ونَهَرَ الماءُ : إذا جرى في الأرضِ وجعل لنفسهِ نَهْراً[٥] . فإنْ كان بمعنى الأنهار ، فهي أنهار الماء والخمر والعسل واللبن[٦] ، وإنْ كان بمعنى السعة فهو من السعة والفسحة وهو الأصلُ فيه[٧] ،

---

(١) ينظر : حاشية الشيخ زاده على تفسير البيضاوي : ٣٢٧/٤ .

(٢) ينظر : روح المعاني : ٨٨/٢٧ .

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ١٠٣١/٢ .

(٤) ينظر : معاني القرآن : ١١١/٣ .

(٥) ينظر : تاج اللغة وصحاح العربية (نهر) .

(٦) ينظر : النكت والعيون : ٤٢٠/٥ ، ومعالم التنزيل : ٤٣٧/٧ .

(٧) ينظر : المخصص : ٢١/٣ ، والمحرر الوجيز : ٢٢٢/٥ .

وإن كان بمعنى الضياء فهو الضياء من النهار[١] . ولا شكَ في أنَّ كمالَ اللذة في الجنة وهي البستان أنْ يكونَ الإنسان فيه ، وليس مِنَ اللذة بالنَهَر أن يكون الإنسان فيه بل اللذة تكون في الجنة عند النهر ، والجنة هي الأشجار التي تستر شعاع الشمس وإذا كانت كذلك فالإنسان لا يكون في الأشجار وإنما يكون خلالها فكذلك النهر[٢] . وفي معنى الضياء دلالة على أنّ الجنة ليس فيها ليلٌ إنما هي نورٌ يتلألأُ[٣] ، أما السعةُ فتكون في الأرزاق والمنازل كقول قيس بن الخطيم[٤] :

ملكتُ بها كفي فأنهرتُ فتقَها   يرى قائمٌ من دونها ما وراءَها

أي : أوسعتُ فتقَها[٥] . وذكر الشيخ زاده أنَّ : المراد بالنهر سعة الأرزاق؛ لأن المادة تسعفُ هذا المعنى[٦] . "وهذه المعاني كلها مرادة مطلوبة ، فإنَّ المتقين في جناتٍ وأنهار كثيرة جارية ، وفي سعة من العيش والرزق والسكن وعموم ما يقتضي السَّعة ، وفي ضياء ونور يتلألأُ ليس عندهم ليل ولا ظلمة"[٧] .

---

(١) ينظر : الكشاف : ٣١٦/٤ .

(٢) ينظر : التفسير الكبير : ٧٩/٢٩ .

(٣) ينظر : لسان العرب (نهر) ، وحاشية الشهاب على تفسير البيضاوي : ١٢٩/٨ ، وروح المعاني : ٩٥/٢٧ .

(٤) ينظر : ديوانه : ٤٦ .

(٥) ينظر : البحر المحيط : ١٨٢/٨ ، والإتقان في علوم القرآن : ٣٩٥/٢ .

(٦) ينظر : حاشية الشيخ زاده على تفسير البيضاوي : ٣٣٠/٤ .

(٧) لمسات بيانية : ١٥٩ .

٧- قال تعالى : ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴾ الواقعة : ٧١-٧٣

قال البيضاوي تعليقاً على قولهِ تعالى : (للمقوين) : "الذين ينزلون القواء وهي القفر ، أو الذين خلت بطونُهُم أو مزاودُهُم من الطعام ، مِنْ : أقوت الدار : إذا خلت من ساكنيها"[١] .

للمقوين "يعني : منفعة للمسافرين إذا نزلوا بالأرضِ القِيِّ ، يعني : القفر"[٢] . وذكر أبو عبيدة أنَّ : المقوي الذي لا زادَ معهُ ولا مال ، وكذلك الدار التي أقوت من أهلها ، أي : خلت ، ويحتمل أن يكون المقوي : الكثير المال[٣] . "وقد أقوى القومُ وأرملوا : إذا نَفِدَ زادُهُم ، قال الله تبارك وتعالى : (ومتاعاً للمقوين) "[٤] . وقال ابن قتيبة : "يعني المسافرين ، سُموا بذلك ؛ لنزولهم القواء ، وهو القفر ، وقال أبو عبيدة: المقوي الذي لا زادَ معه ، يقال : أقوى الرجل إذا نَفِدَ زادُهُ ، ولا أرى التفسير إلا الأول ، ولا أرى الذي لا زادَ معه أولى بالنار ولا أحوج إليها من الذي معه الزاد ، بل صاحب الزاد أولى بها وإليها أحوج"[٥] وذكر الماوردي أنّ فيه خمسةَ أوجهٍ : الأول : منفعة للمسافرين ، والثاني : المستمتعين من حاضر ومسافر، والثالث : للجائعين في إصلاح طعامِهِم ، والرابع : الضعفاء والمساكين ، والعرب تقول : قد أقوى الرجلُ : إذا ذهب مالُهُ ، والخامس : المقوي الكثير المال ، فالاستمتاع حاصل للغني والفقير[٦] . وفي هذا خلافٌ لابن قتيبة ؛ لأن الذي لا زادَ معه يستضيء بها في الظلمة أو يصطلي بها

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٢/٤٦٣ .

(٢) معاني القرآن للفراء : ٣/١٢٩ ، وينظر : معاني القرآن للأخفش : ٢/٥٣٣ .

(٣) ينظر : مجاز القرآن : ٢/٢٥٢ ، وتهذيب اللغة (قوى) : ٩/٢٧٥ .

(٤) الألفاظ لابن السكيت : ٤٧١ ، وينظر : المفردات في غريب القرآن (قوى) : ٤٢٠ .

(٥) غريب القرآن : ٤٥١ ، وينظر : البحر المحيط : ٨/٢١٢ .

(٦) ينظر : النكت والعيون : ٥/٤٦١-٤٦٢ ، والجامع لأحكام القرآن : ٢٠/٢١٦ .

من البرد ، أو يهتدي بها الضالُّ وتهربُ منها السباعُ[1] . "يقال : أقويتُ منذ كذا وكذا ، أي : ما أكلتُ شيئاً ، وبات فلانٌ القواء ، وبات القفر : إذا بات جائعاً على غير طعم ، قال الشاعر[2] :

وإني لأختار القَوى طاوِيَ الحشا محافظةً من أنْ يقالَ لئيمُ"[3]

والظاهر عند الشوكاني : أنَّ معنى المقوين هم المسافرون وأهلُ البوادي النازلون في الأراضي المقفرة[4] . ويبدو أنّ هذه المعاني كلها صحيحة وسياق الآية يحتملها ، فإنْ كانت بمعنى : المنفعة للمسافرين فالمسافر الذي يقطع القفار هو بحاجة إلى النار لينتفعَ بها ، وإنْ كان المقوون هم المحاويج الذين لا زادَ معهم ولا مال فالنار تكونُ مرادَهُم ليستضيئوا بها ويدفعوا عنهم السباع المفترسة وهي مظنة التائِهِ أيضاً ، ولا تخلو حاجة المقيم غير المسافر إلى النار كي يصنعَ عليها طعامَهُ ، وإنْ كان المقوي بمعنى : كثير المال فلا يستطيع أن يَسُدَّ احتياجاتِهِ من دونها ولا يخفى ما في التعبير من التوسع في المعنى القرآني ، والله أعلم .

٨- قال تعالى : ﴿ لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ﴾ البلد : ١-٢

ذكر البيضاوي أنَّ الله أقسم بالبلد الحرام ، وقيَّدهُ بحلول النبي ﴿ ﷺ ﴾ بهِ إشعاراً بأنَّ شرف المكان بشرف أهلِهِ ، وحِلٌّ معناهُ : مستحل تعرضُكَ فيه كاستحلال تعرض الصيد في غيره ، أو حلالٌ لك أن تفعل فيه ما تريد فهو وعدٌ بما أحلَّ له عام الفتح[5] .

(١) ينظر : معالم التنزيل : ٢٢/٨ .
(٢) هو حاتم الطائي ، ينظر : ديوانه : ٤٧ .
(٣) اللباب في علوم الكتاب : ٤٢٧/١٨ ، ينظر : تاج العروس (قوي) .
(٤) ينظر : فتح القدير : ٢١٠/٥-٢١١ ، وروح المعاني : ١٥٠/٢٧ .
(٥) ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ١١٥٤/٢ .

الحِلُّ الحلال ، أي : "هو حلالٌ لك أحلَّهُ يوم فتح مكة لم يحل قبلَهُ ، ولن يحل بعدَهُ"[١] . "فمِنَ العرب من يقول : أنت حِلٌّ وأنت حلالٌ ، وأنت حِرْمٌ وأنت حَرَامٌ ، وهو المُحِلُّ والمُحْرِمُ"[٢] وفي التعبير بقولِه : (حِلٌّ) أوجه : الأول : حِلٌّ لك ما صنعتَهُ في هذا البلد من قتالٍ وغيرِهِ ، والثاني : أنت مُحِلٌ في هذا البلد غير محرمٍ في دخولك عام الفتح ، والثالث : أن يستحل المشركون حرمتَكَ أنت ومن اتبعك توبيخاً لهم ، والرابع : أنت حالٌّ ، أي : نازل في هذا البلد ؛ لأنها نزلت وهو بمكة ولم يفرض عليه الإحرام بَعْد ولم يؤذن له في القتال وكانت حرمتها أعظم والقسم بها أفخم[٣] .

وذكر ابن سيده (ت ٤٥٨هـ) أنّ معنى : حلَّ بالقوم وحلَّهم : نزل بهم ، ورجلٌ حالٌّ من قومٍ حُلُولٍ وحُلاَّلٍ وحُلَّلٍ[٤] . جاء في (الكشاف)[٥] : "فإن قلت : أين نظير قولِهِ : وأنت حِلٌّ في معنى الاستقبال ؟ قلت : قولُهُ : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ الزمر : ٣٠ ، ومثلُهُ واسع في كلام العباد ، تقول لمن تَعِدُهُ الإكرام والحباء : أنت مكرمٌ محبُّو وهو في كلام الله أوسع ؛ لأنّ الأحوال المستقبلة عندهُ كالحاضرة المشاهدة ، وكفاك دليلاً قاطعاً على أنَّه للاستقبال وأنَّ تفسيرَهُ بالحالّ محالٌ أنَّ السورةَ بالاتفاق مكيةٌ ، وأين الهجرة عن وقت نزولها ؟ فما بال الفتح ؟ " . وذكر ابن عطية الأندلسي أنَّ : الحِلَّ إن كان بمعنى : حلالٌ لك قتل من شئت وكان هذا يوم فتح مكة فالسورة مدينة نزلت عام الفتح ، وإنْ كان الحلُّ بمعنى : الحالّ الساكن بهذا البلد فالسورة مكية نزلت في مكة[٦] .

---

(١) معاني القرآن للفراء : ٢٦٣/٣ .

(٢) معاني القرآن للأخفش : ٥٧٩/٢ ، وينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ٤٠٢/٢٤ .

(٣) ينظر : النكت والعيون : ٢٧٤/٦-٢٧٥ ، وغرائب التفسير وعجائب التأويل : ١٣٤١/٢ .

(٤) ينظر : المحكم والمحيط الأعظم (حل) : ٣٦٧/٢-٣٦٨ .

(٥) ٥٩٤/٤ ، وينظر : حاشية الشيخ زاده على تفسير البيضاوي : ٥٦٤/٤ .

(٦) ينظر : المحرر الوجيز : ٤٨٣/٥ .

وقد أحسنَ فخر الدين الرازي في بيان تعاضد المعاني في لفظة (الحِلّ) : أحدها : وأنت مقيم بهذا البلد حالٌ بهِ كأنّه تعالى عظّم مكة من جهة أنّه ﴿ ﷺ ﴾ مقيمٌ بها ، وثانيها : الحِلّ بمعنى الحلال ، أي : أنّ الكفار لا ينتهكون المحرمات بهذا البلد ومع إكرام الله إياك بالنبوة فهم يستحلون إيذاءَك ولا يعتقدون حرمتك مع أنهم يحرمون قتل الصيد فيه ، ولا يحرمون قتلك ، وثالثها : أنت حِلٌ لستَ بآثمٍ وحلال أن تقتل بمكة من شئت وذلك يوم فتحها وإحلالها لهُ ، ورابعها : أنت غير مرتكبٍ في هذا البلد ما يحرم عليك ارتكابُهُ تعظيماً منك لهذا البيت ، لا كالمشركين الذين يرتكبون ما يرتكبون ، وخامسها : لما أقسم بهذا البلد دلَّ على غاية فضلِهِ ثم قال : (وأنت حِلٌّ) أي : وأنت من حلّ هذه البلدة المعظمة المكرمة ، وأهلها يعرفون أصلك وبراءَتك من الأفعال القبيحة فيكون الغرض شرح منصب الرسول ﴿ ﷺ ﴾ بكونِهِ من هذا البلد(١) .

وقد ردَّ أبو حيان الأندلسي ما قالَهُ الزمخشري قائلاً : "وأما سؤالُهُ والجواب فهذا لا يسأله من له أدنى تعلق بالنحو ؛ لأنّ الأخبار قد تكون بالمستقبلات ، وأنّ اسم الفاعل وما يجري مجراهُ حالة إسنادِهِ أو الوصف به لا يتعين حملُهُ على الحال بل يكون للماضي تارةً وللحال أخرى ، وللمستقبل أخرى ، وهذا من مبادئ علم النحو"(٢) . وهذا صحيح فإنّ الذي دفع الزمخشري إلى القول بالاستقبال هو رؤيتُهُ بأنَّ السورة مكية بالاتفاق . قال أبو حيان الأندلسي : "وأما قولُهُ : وكفاك دليلاً قاطعاً إلخ فليس بشيء ؛ لأنّا لم نحمل (وأنت حِلٌّ) على أنه يحل لك ما تصنع في مكة من الأسْر والقتل في وقت نزولها بمكة فتنافيا ، بل حملناهُ على أنه مقيمٌ بها خاصة وهو وقت النزول كان مقيماً بها ضرورة ، وأيضاً فما حكاهُ من الاتفاق على أنها نزلت بمكة فليس بصحيح ، وقد حُكِيَ الخلاف فيها عن قول ابن عطية"(٣) . إلا أنّ السورة إن كانت مدنية فيجوز الحمل على هذا الوجه الذي ردّهُ وهو في عام الفتح .

---

(١) ينظر : التفسير الكبير : ٣١/١٨٠-١٨١ ، وروح المعاني : ٣٠/١٣٣-١٣٤ .
(٢) البحر المحيط : ٨/٤٦٩ .
(٣) المصدر نفسه والصفحة نفسها .

وعلى هذا لما اختلف معنى (الحِلّ) دخل في القسم الذي يختلف معناهُ ويتفق لفظُهُ[١] ، وهو ما عُبّر عنه بالمشترك اللفظي .

قال الشهاب الخفاجي : "والحِلُّ صفة أو مصدر بمعنى : الحالّ هنا على هذا الوجه ولا عبرةَ بمَنْ أنكرهُ لعدم ثبوتِهِ في كتب اللغة"[٢] . قال ابن عاشور في جعل (الحلّ) بمعنى : الحالّ : "وهو تأويلٌ جميلٌ لو ساعد عليه ثبوت استعمال (حِلّ) بمعنى : حالّ ، أي : مقيم في مكان ، فإنَّ هذا لم يرد في كتب اللغة : الصحاح واللسان والقاموس ومفردات الراغب ، ولم يعرج عليه صاحبُ الكشاف ، ولا أحسبُ إعراضَهُ عنه إلا لعدم ثقتِهِ بصحة استعماله"[٣] . أما قولُهُ بأنّه غير ثابت في اللغة فقد أوردَهُ ابنُ سيده في محكمِهِ وقد مرَّ ذكرهُ آنفاً ، وبينتُ أنَّ الزمخشري لم يذهب إلى جعل الحِلّ بمعنى الحالّ ، لأنّ السورة عنده مكيةٌ متفقٌ عليها . وقال رادّاً على الشهاب الخفاجي : "وكيف يقال : لا عبرةَ بعدم ثبوتِهِ في كتب اللغة ، وهل المرجع في إثبات اللغة إلا كتب أيمّتِها"[٤] .

والظاهر أن التعبير القرآني أراد هذهِ المعاني كلّها فعَدَلَ إلى لفظ (الحلّ) الجامع للمعاني المذكورة وهذا من حسن إيجازِهِ وتكثيفِ معانيه ، ولو أُبدل (الحِلّ) بـ(الحلال أو المستحل) لذهبت أكثرُ هذهِ الأوجه ، ولانتفى التوسع في سياق الآية الكريمة بَيْدَ أنَّ التوسعَ في المعنى هو مرادُ القرآن الكريم ههنا والله أعلم[٥] .

---

(١) ينظر : بصائر ذوي التمييز : ٥٢١/١ .

(٢) حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي : ٣٦٢/٨ .

(٣) التحرير والتنوير : ٣٤٨/٣٠ .

(٤) المصدر نفسه والصفحة نفسها .

(٥) للمزيد : ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٤٣/١ ، ١٠٣/١ ، ٨٨٠/٢ ، ١١٦٥/٢ .

المبحث الثاني
التوسع في الأضداد

الأضداد لغةً : الضدُّ : كلُّ شيءٍ ضادَّ شيئاً ليغلبَهُ ، تقول : هذا ضدُّهُ وضديدهُ ، والجمع : أضداد ، والسواد ضدّ البياض والليل ضدّ النهار[1] . وضدُّ كلّ شيء ما نافاهُ كالشجاعة والجبن ، وليس كلّ ما خالفَ الشيءَ ضداً له فالقوة والجهل مختلفان وليسا بضدين فالاختلاف أعمُّ من التضاد ، إذ كلّ متضادين مختلفان وليس العكس[2].

واصطلاحاً : اللفظ الواحد الدال على معنيين أحدهما ضد الآخر ، مثل لفظة : الجون للأسود والأبيض[3] . وقد عُدَّ الأضداد ضرباً من المشترك اللفظي إلا أن المشترك أعمّ منه فهو يقع على الضدّين وعلى المختلفين[4] ، فيجوز وقوع اللفظة الواحدة على المعنيين المتضادين وهو على قلّته أصبح وسيلة من وسائل التنوع في الألفاظ وهذا التنوع وسَّع من دائرة التعبير في العربية فكان التضاد بهذا المعنى خصيصة من خصائص اللغة العربية في مرونتها وطواعيتها وهو ما ليس له في اللغات الحية نظيرٌ[5] . وظاهرة التضاد هذه تكلم عليها القدماء من أئمة اللغة فكانوا فريقين : فريقاً قال بوقوعها في اللغة ، وآخر أنكر أن تكون ظاهرةً من ظواهر العربية[6] ، وليس هذا موضوع بحثنا فقد تكلم عليه القدماء والمعاصرون وأشبعوهُ دراسةً ، وإنما الذي يعنينا في هذا المضمار هو دلالة التضاد على توسع المعنى وإلى إمكان أنْ يكونَ المعنيان المتضادان مقبولين في سياق الكلام ، وتحديداً في سياق التعبير القرآني من غير أنْ

---

(١) ينظر : العين (ضدد) : ١١/٣ ، ومقاييس اللغة (ضدّ) : ٥١٣ .

(٢) ينظر : الأضداد في كلام العرب : ٣٣ .

(٣) ينظر : الصاحبي في فقه اللغة : ٦٦ ، والبحث اللغوي عند فخر الدين الرازي : ٣٣٢ .

(٤) ينظر : المزهر في علوم اللغة : ٣٠٤/١-٣٠٥ .

(٥) ينظر : دراسات في فقه اللغة : ٣١٢-٣١٣ .

(٦) ينظر : تاريخ آداب العرب : ١٢٩/١ ، وفصول في فقه العربية : ٣٣٦-٣٤٠ .

يكونَ أحدُ المعنيين مردوداً ، وقد أشار البيضاوي في كتابهِ إلى هذا اللون اللغوي ووقف عندهُ ، وفسَّر الألفاظ المحتملة المعنيين المتضادين كغيرِهِ من المفسرين الذين عُنوا بهذه الظاهرة اللغوية وقد صرَّح بالأضداد من خلال تفسيرِهِ كما سيأتي ومن الأمثلة على ذلك :

١- قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَـٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴾ البقرة : ٢٦

قال البيضاوي تعليقاً على قولِهِ تعالى : (فوقها) : "ومعناهُ ما زاد عليها في الجثة كالذباب والعنكبوت ، كأنّه قصد به ردّ ما استنكروهُ والمعنى : أنّه لا يَستحيي ضرب المثل بالبعوض فضلاً عمّا هو أكبر منه ، أو في المعنى الذي جعلت فيه مثلاً: وهو الصغر والحقارة كجناحِها فإنّه ﴿ﷺ﴾ ضربَهُ مثلاً للدنيا[1] "[2] .

قال الفراء : "فالذي (فوقها) يريد : أكبر منها ، وهو العنكبوت والذباب ، ولو جعلت في مثله من الكلام (فما فوقها) تريد : أصغر منها لجاز ذلك ، ولستُ أستحسنُهُ ؛ لأنّ البعوضة كأنها غاية في الصغر ، فأحبُّ إلي أن أجعلَ (ما فوقها) أكبر منها ، ألا ترى أنك تقول : يُعطى من الزكاة الخمسون فما دونها ، والدرهم فما فوقه ، فيضيق الكلام أن تقول : فوقَهُ فيهما ، أو دونه فيهما ، وأما موضع حسنها في الكلام فأن يقول القائل : إنّ فلاناً لشريفٌ ، فيقول السامع : وفوق ذاك ، يريد : المدح ، أو يقول : إنّه لبخيلٌ ، فيقول الآخر : وفوق ذاك ، يريد : بكليهما معنى أكبر ، فإذا عرفتَ أنت

---

(١) قال النبي ﴿ﷺ﴾ : (... لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء) المستدرك على الصحيحين (كتاب الرقاق) : ٣٤١/٤ .

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٤٩/١ .

الرجل فقلت : دون ذلك ، فكأنّك تحطُّهُ عن غاية الشرف أو غاية البخل ، ألا ترى أنك إذا قلت : إنّه لبخيلٌ وفوق ذاك ، تريد : فوق البخل ، وفوق ذاك ، وفوق الشرف ، وإذا قلت : دون ذاك ، فأنت رجلٌ عرفتَه فأنزلتَهُ قليلاً عن درجتِهِ ، فلا تقولَنَّ : وفوق ذاك إلا في مدحٍ أو ذمّ"[1] إلا أنّ أبا عبيدة قال : "فما دونها في الصغر"[2] أما الأخفش الأوسط فقد جمع بين القولين من دون أنْ يرجّحَ واحداً على آخر ، إذ قال : "قال بعضُهُم : أعظمُ منها ، وقال بعضُهُم : كما تقول : فلانٌ صغير ، فيقول : وفوق ذاك ، يريد : أصْغَر من ذلك"[3] . قال أبو بكر بن الأنباري (ت٣٢٨هـ) : "و(فوق) حرفٌ من الأضداد يكون بمعنى أعظم ، كقولك : هذا فوق فلان في العلم والشجاعة : إذا كان الذي فيه منهما يزيد على ما في الآخر ، ويكون (فوق) بمعنى (دون) ، كقولك : إنَّ فلاناً لقصير ، وفوق القصير ، وإنَّه لقليلٌ وفوق القليل ، وإنَّه لأحمق وفوق الأحمق ، أي : هو دون المذموم باستحقاقِهِ الزيادة من الذمّ ، ومن هذا المعنى قول الله عزّ وجلَّ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾ يقال : معنى قوله : (فما فوقها) ، فما دونها ، ويقال : معناهُ فما هو أعظم منها"[4] واستبعد الآمدي (ت٣٧٠هـ) أن يكون (فما فوقها) بمعنى : فما دونها في هذه الآية ، وزعم أنّ أهل العربية على خلاف هذا ، إذ قال : "أما ما قيل في قولِهِ عزَّ وجلَّ : (فما فوقها) أنّ معناهُ فما دونها ، فإنّ أهل العربية على خلاف ذلك ، وليس لهذه اللفظة عندهم إلا وجهان : أحدهما : أن يكون (فما فوقها) بمعنى : فما هو أكبر منها ؛ لأن البعوضة نهاية في الصغر ، فيكون المعنى : أنّه تعالى لا يستحي أنْ يضربَ مثلاً ما بين هذا الشيء الذي هو غاية الصغر إلى ما فوقهُ ، أي : ما زاد عليه وتجاوزَهُ ، والوجه الآخر

(١) معاني القرآن : ٢٠/١-٢١ ، وينظر : مجالس ثعلب : ١٩١ .
(٢) مجاز القرآن : ٣٥/١ ، وينظر : تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة : ١٩٠ .
(٣) معاني القرآن : ٥٩/١ .
(٤) الأضداد لأبي بكر بن الأنباري : ٢٤٩ – ٢٥٠ .

: أنْ يكونَ (فما فوقها) بمعنى : فما فوقها في الصغر"[١] وقولُهُ هذا فيه نظر ؛ لأنَّ ما فوقها في الصغر يقتضي أن يكون دونها وليس أكبر منها هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى أنّ أبا عبيدة صرَّح بأن (فوق) تأتي بمعنى : دون ، وفي هذه الآية تحديداً وقد مرَّ ذكرُهُ ، علاوةً على أنّ أبا الليث السمرقندي وهو من المفسرين القدماء جوّز أن تكون هذه اللفظة من الأضداد ، قال : " (ما بعوضةً فما فوقها) يعني بالذباب والعنكبوت ، وقال بعضهم : فما فوقها ، أي : بما دونها في الصغر ، وهذا من أسماء الأضداد يذكر الفوق ويراد به دونه ، كما يذكر الوراء ويراد به الأمامُ مثل قولِهِ : ﴿وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾ الإنسان : ٢٧ ، أي : أمامهم فكذلك الفوق يذكر ويراد به ما دونَهُ ، أي : يضرب المثل بالبعوضة وبما دونها"[٢] وذهب الراغب الأصفهاني مذهبَ الآمدي في جعل (ما فوقها) بمعنى ما فوقها في الصغر ، ومن أراد : ما دونها فإنّما قصد هذا المعنى، ومن يرى أن فوق بمعنى : دون فهذا توهمٌ منه وليس من الأضداد[٣] .

وذكر الزمخشري المعنيين في قولِهِ تعالى : (فما فوقها) : أحدهما : ما تجاوزها وزاد عليها في المعنى وهو القلة والحقارة نحو : فلانٌ أسفل الناس وأنذلُهُم، فتقول : هو فوق ذاك ، أي : أبلغ وأعرق فيما وُصِفَ بهِ من السفالة والنذالة ، والآخر : ما زاد عليها في الحجم كأنّه قصد بذلك ردّ ما استنكروه من ضرب المثل بالذباب والعنكبوت ؛ لأنهما أكبر من البعوضة ، كقولك : فلانٌ بَخِلَ بالدرهم والدرهمين وهو لا يبالي أن يبخلَ بنصف درهم فما فوقه ، أي : بما فوقه ما بَخِل فيه وهو الدرهم والدرهمان ، ونحوهُ في الاحتمالين قول النبي ﴿ ﷺ ﴾ : (ما من مسلم يشاكُ شوكةً فما فوقها إلا

---

(١) الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري : ١/١٨١-١٨٢ .

(٢) بحر العلوم: ١/١٠٤ ، وينظر : فقه اللغة وأسرار العربية : ٢١١ ، وزاد المسير : ١/٥٥.

(٣) ينظر : المفردات في غريب القرآن (فوق) : ٣٨٩ .

كتبتْ له بها درجة ، ومُحِيتْ عنه بها خطيئة) [١] فهذا يحتمل : ما عدا الشوكة وتجاوزها في القلة وهي نحو عضة النملة ، ويحتمل ما هو أشدُّ وأكبر من الشوكة[٢] . واختار أبو حيان الأندلسي أن يكون (فما فوقها) بمعنى : ما زاد عليها في الحجم كالذباب والعنكبوت وذلك ؛ لجريان (فوق) على مشهور ما استقر فيها في اللغة[٣] .

وأشارَ الفيروزآبادي (ت٨١٧هـ) إلى كلا المعنيين إلا أنه لم يجعل (فوق) من الأضداد قال : "أشار بما فوقها إلى العنكبوت المذكور في قولِهِ : ﴿كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ﴾ العنكبوت : ٤١ وقيل معناهُ : ما فوقها في الصغر ، وليس فوق من الأضداد كما توهم بعض المصنفين"[٤] ، وليس الأمرُ كما قال ؛ لأن المراد بالفوقية إمّا الزيادة في حجم الممثل به فهو ترقٍ من الصغير إلى الكبير ، وإمّا الزيادة في المعنى الذي وقع التمثيل فيه وهو الصغر والحقارة فهو نزولٌ من الحقير للأحقر[٥] ، وهو في هذه الآية صالح للمعنيين خلافاً لمن أنكر التضاد في لفظة (فوق) علاوةً على أنَّ اللفظة هي من قبيل الأضداد على ما نصَّ عليه جملةٌ من علماء اللغة[٦] . والمعنى : ما هو أشدُّ من البعوضة في الحقارة وما هو أكبر حجماً منها ، ولذلك كان لاختياره في هذه الآية دون لفظ (أقلّ) أو لفظ (أكبر) موقعٌ من بليغ الإيجاز[٧] . الأمر الذي أدى إلى توسع المعنى القرآني باحتمال الوجهين ، وهما مرادان مقصودان والله أعلم .

---

(١) صحيح مسلم (باب ثواب المؤمن فيما يصيبُهُ من مرضٍ أو حزن) : ١٠٣٨ .

(٢) ينظر : الكشاف : ١/١٠٩-١١٠ ، والمحرر الوجيز : ١/١١١ .

(٣) ينظر : البحر المحيط : ١/٢٦٨ .

(٤) بصائر ذوي التمييز : ٤/٢٢٠ .

(٥) ينظر : روح المعاني : ١/٢٠٧ .

(٦) ينظر : أضداد السجستاني : ١٠١ ، والأضداد لأبي بكر بن الأنباري : ٢٤٩-٢٥٠ ، والأضداد في كلام العرب : ٣٣٧ ، والمزهر في علوم اللغة : ١/٣١٠ .

(٧) ينظر : التحرير والتنوير : ١/٣٦٢ .

٢- قال تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ البقرة : ٩١

قال البيضاوي تعليقاً على قولِهِ تعالى : (وراءَهُ) : "وراء في الأصل مصدر جُعل ظرفاً ، ويضاف إلى الفاعل فيرادُ به ما يتوارى به وهو خلفَهُ ، وإلى المفعول فيرادُ به ما يواريهِ وهو قدّامَهُ ، ولذلك عُدَّ من الأضداد"[١] .

قال الفراء في قولهِ : (وراءَهُ) : "يريد : سواهُ ، وذلك كثير في العربية أن يتكلم الرجل بالكلام الحسن فيقول السامع : ليس وراء هذا الكلام شيءٌ ، أي : ليس عنده شيء سواهُ"[٢] ، وذكر أبو عبيدة أنّ معناهُ : ما بعدَهُ[٣] . وعن الأصمعي أن (وراء) بمعنى : خَلْف وقُدّام ، قال تعالى : ﴿ وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ ﴾ الكهف : ٧٩ ، أي: قُدَّامهم[٤] . فهم يجحدون بما وراء التوراة من كتب الله التي أنزلها على رُسُلِهِ[٥] . وكقول أعرابي لأبيه : اتَّقِ اللهَ فإنّ الجنةَ والنارَ وراءَك ، أي : أمامك[٦] . وأنكر الآمدي أن تكون (وراء) من الأضداد قال : "إنما هي من المواراة والاستتار فما استتر

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٨٠/١ .
(٢) معاني القرآن : ٦٠/١ .
(٣) ينظر : مجاز القرآن : ٤٧/١ ، ومعاني القرآن وإعرابه : ١٧٤/١ .
(٤) ينظر : أضداد الأصمعي : ٢٠ ، والأضداد لأبي بكر بن الأنباري : ٦٨ .
(٥) ينظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ٢٥٥/٢ .
(٦) ينظر : الأضداد في كلام العرب : ٤١٢ .

عنك فهو وراء : خلفك كان أو قدامك ، هذا إذا لم تَرَهُ ولم تشاهدْهُ ، وأمّا إذا رأيته فلا يكون أمامك ووراءك ، وإنما قال لبيد(١) :

أليس ورائي إن تراخت منيتي لزوم العصا تُحنى عليها الأصابعُ

بمعنى : أليس أمامي ؛ لأنه قال ذلك قبل أن يرى ويشاهد نفسه وقد لَزِمَ العصا"(٢) ، ويحتمل أنَّ بني إسرائيل يكفرون بالقرآن الذي هو بعد التوراة أو بما وراءه ، أي : بباطن معانيها التي وراء ألفاظها فيكون إيمانهم بظاهر اللفظ حَسْب(٣). "ووراء من الظروف المتوسطة التصرف ، وهو ظرفُ مكانٍ ، والمشهور أنّه بمعنى: خَلْف وقد يكون بمعنى أمام ، فهو من الأضداد"(٤) . وظاهر النص يحتمل المعنيين كقولهِ تعالى : " ﴿ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرِۭ ﴾ الحشر : ١٤ ، يحتمل الوجهين ، فإنّه يقال في أيّ جانبٍ من الجدار هو وراءه باعتبار الذي في الجانب الآخر"(٥) . "فمتى قيل : وراء زيدٍ ، بمعنى قدّامهُ ، فمعناهُ : الذي يواري زيداً ، وإذا قيل : بمعنى خلف فهو الذي يواريهِ زيد ... والوراء في الآية بمعنى القُدام ؛ لأنّ القرآن الذي كفروا به قدام التوراة فالإضافة فيه من قبيل إضافة المصدر إلى المفعول كأنّهُ قيل : ويكفرون بالذي يواري التوراة ويسترها لكونه متقدماً عليها"(٦) . وقال الشهاب الخفاجي رادَّاً على الآمدي : "وهذا لا ينافي قول المصنف (رَحِمهُ الله تعالى) ولذلك عُدَّ من الأضداد ؛ لأن معناهُ أنّهُ : لما أُطلق على خلف وقدام وهما ضدان عُدَّ ضداً تسمُّحاً على عادة أهل اللغة ، وإنْ كان موضوعاً

---

(١) ينظر : شرح ديوان لبيد : ١٧٠ .

(٢) الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري : ١/١٨٢-١٨٣ .

(٣) ينظر : البحر المحيط : ١/٤٧٥ ، وروح المعاني : ١/٣٢٤ .

(٤) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون : ١/٥١٤ ، وينظر : اللباب في علوم الكتاب : ٢/٢٨٦ .

(٥) بصائر ذوي التمييز : ٥/٢٠١ .

(٦) حاشية الشيخ زاده على تفسير البيضاوي : ١/٣٥٢ .

لمعنىً شامل لهما ؛ لأنه مصدر بمعنى الستر فيهما لكنّه قد يستعمل بمعنى الساتر وقد يستعمل بمعنى المستور ولذا قال في القاموس(١) : هو من الأضداد أوّلاً ، وقيل : إنَّه مضافٌ إلى الفاعل مطلقاً ؛ لأن الرجل يواري ما خلفه على من هو قُدامهُ وما قُدامه على من هو خلفهُ"(٢) .

وأنكر ابن عاشور أنّ يكون الوراء من الأضداد متابعاً بذلك الآمدي قال : "زعم بعضُهُم أنَّ الوراء يطلق على الخلف والأمام إطلاق اسم الضدين واحتُجَّ ببيت لبيد وبقرآن وكان أمامهم مَلِكٌ ، وقد عَلِمْتَ أنّه لا حجة فيه ولذلك أنكر الآمدي في الموازنة كونهُ ضداً ، فالمراد بما وراءهُ في الآية بما عداهُ وتجاوزهُ ، أي : بغيره والمقصود بهذا الغير هنا خصوص القرآن بقرينة السياق لتقدم قوله : (وإذا قيل لهم آمنوا بما انزل الله) ولتعقيبهِ بقوله : (وهو الحق مصدقا) "(٣) وليس الأمرُ كما ذَكَر ، والظاهر أن الوراء في الآية الكريمة يحتمل المعنيين المتضادين ، فإن كان بمعنى (الخلف) فإنَّهم لو كانوا مؤمنين بما قبل التوراة لآمنوا به حين نزل عليهم فهُم أبعد في الكفر والجحود ، وإن كان بمعنى (الأمام) فهم قد كفروا بالإنجيل والقرآن وهذا التضاد في لفظ (الوراء) صوَّر حالَ هؤلاء ونكرانهم للكتب السماوية من كل جانب وهو توسعٌ في المعنى ظاهرٌ والله أعلم .

٣- قال تعالى : ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ﴾ البقرة : ٢٢٨

(١) ينظر : القاموس المحيط (ورأ) .
(٢) حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي : ٢٠٤/٢ .
(٣) التحرير والتنوير : ٦٠٧/١-٦٠٨ .

ذكر البيضاوي أنّ (قروء) جمع قرء ، وهو يطلق على الحيض والطهر الفاصل بين الحيضتين ، والأصل فيه : الانتقال من الطهر إلى الحيض(١) .

القرء جعلَهُ بعضُهم بمعنى : الحيض ، وبعضهم يرى أنّهُ بمعنى : الطهر ، وكلٌ صواب ؛ لأنّه خروجٌ من شيء إلى شيء ، فخرجتْ من الطهر إلى الحيض ، ومن قال : بل هو الطهر فخرجتْ من الحيض إلى الطهر ، فهو من قولهم : قد أقرأتِ النجومُ : إذا غابتْ(٢) . وتقول : قد أقرأتِ المرأةُ إقراءاً : إذا صارتْ صاحبةَ حيضٍ ، والقرء : انقضاء الحيض ، وبعضهم يقول : ما بين الحيضتين(٣) .

وذكر الأصمعي أن (القرء) عند أهل الحجاز : الطُّهر ، وعند أهل العراق : الحيض ، وهو الوقت أيضاً فيجوز أن يكون وقتاً للطهر ووقتاً للحيض(٤) . "وإنما جُعِل الحيضُ قرءاً والطُّهرُ قرءاً ؛ لأنّ أصل القرء في كلام العرب : الوقت"(٥) .

وعند الزجاج القرء : في اللغة الجمع ، وقولهم : قريتُ الماء في الحوض من هذا ، وإنْ كان قد أُلزم الياء ، أي : جمعتُهُ ، ونحو : قرأتُ القرآن ، أي : لفظتُ به مجموعاً ، والقردُ يقرئ ، أي : يجمع ما يأكل في بيتِهِ ، والقرءُ : اجتماع الدم في البدن ، وذلك إنما يكون في الطهر ، وقد يكون اجتماعُهُ في الرحم ، وكلاهما حسنٌ وليس بخارجٍ عن مذاهب الفقهاء بل هو تحقيق المذهبين(٦) ، وحجة من قال : أن القرء بمعنى : الطهر قول الأعشى(٧) :

وفي كل عامٍ أنت جاشمُ غزوةٍ تشدُّ لأقصاها عزيمَ عزائكا

---

(١) ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ١٢٧/١ .

(٢) ينظر : مجاز القرآن : ٧٤/١ ، والغريب المصنف : ٦٣٣/٢ .

(٣) ينظر : معاني القرآن للأخفش : ١٨٧/١ ، ولسان العرب (قرأ) .

(٤) ينظر : أضداد الأصمعي : ٥ ، ومعاني القرآن للنحاس : ٧٥/١ .

(٥) غريب القرآن لابن قتيبة : ٨٧ .

(٦) ينظر : معاني القرآن وإعرابه : ٣٠٥/١ ، والزاهر في غريب ألفاظ الشافعي : ٣٤٣/١ .

(٧) ينظر : ديوانه : ١٦١ .

مورثةٍ مالاً وفي الأصل رفعة   لما ضاعَ فيها من قروء نسائكا

أي : من أطهار نسائك ، والمعنى : ضيَّعت أطهار النساء فلم تغشهنَّ مؤثراً للغزو فأورثك ذاك المال والرفعة ، وحجة من قال : أن القُرءَ بمعنى : الحيض حديث النبي ﴿ﷺ﴾ : (دَعِي الصلاة أيام أقرائك) [١] ، أي : أيام الحيض[٢] .

"وقد زعم بعضُهُم أنَّ ثلاثةَ قروء لما كانت بالهاء دلّت الهاء على أنها أطهار ، وليست لحُيَّض ، قال : ولو كانت حيضاً لكانت : ثلاث قروء ، وهذا القول خطأٌ قبيح ؛ لأنَّ الشيء الواحد قد يكون له اسمان : مذكر ومؤنث ، نحو : دار ، ومنزل وهذا بَيّنٌ كثيرٌ"[٣] . وعلى هذا يكون (القُرء) من الأضداد ، فأقرأتِ المرأةُ ، وهي مقرئ ، أي : حَاضتْ ، وطَهُرَتْ[٤] . والقرء عند الزمخشري بمعنى : الحيض لا غير ؛ لأنّ الغرض الأصيل في العدة استبراء الرحم ، والحيض هو الذي تستبرأ به الأرحامُ دون الطُّهر ، وأما قول الأعشى : لما ضاع فيها من قروء نسائكا ، فأراد لما ضاع فيها من عِدَّةِ نسائك لشُهرة القروء عندهم في الاعتداد بهنّ ، أي : من مدة طويلة كالمدة التي تعتدُّ فيها النساء ، استطال مدةَ غيبتِهِ عن أهله لاقتحامِهِ في الحروب والغارات وأنّه تمر على نسائِهِ مدة ضائعة لا يضاجعهنَّ فيها[٥] . إلا أن "القائلَ بالاشتراك اللفظي وجعلهما من الأضداد هم جمهورُ أهلِ اللسان"[٦] ، وقد ردَّ الشهاب الخفاجي على الزمخشري في تأويلِهِ بأنه مجازٌ عن العدة لتصير كناية عن طول المدة ؛ لأن أصل القرء الوقت فلذا يستعمل للحيض والطهر فلا يخفى بعدُهُ ولذا لم يلتفت إليه

(١) سنن الدارقطني (كتاب الحيض) : ٢١٢/١ .

(٢) ينظر : الأضداد لأبي بكر بن الأنباري : ٣٠-٣١ .

(٣) إعراب القرآن للنحاس : ٣١٢/١ .

(٤) ينظر : المحكم والمحيط الأعظم (قرأ) : ٢٩٠/٦ .

(٥) ينظر : الكشاف : ٢٤٥/١-٢٤٦ .

(٦) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون : ٤٤٠/٢ .

البيضاوي[١] . وحقيقة الأمر أنَّ المعنيين مرادان في سياق الآية الكريمة خلافاً لمن رجَّح أحدهما على الآخر ، وما أبدعَ ما جاء به ابن عاشور حين قال : "ومرجع النظر عندي في هذا إلى الجمع بين مقصدي الشارع من العِدّةِ ، وذلك أنّ العدّة قصد منها تحقق براءة رحم المطلقة ، من حمل المطلِق ، وانتظار الزوج لعلّه يرجع ، فبراءة الرحم تحصل بحيضة أو طهر واحد ، وما زاد عليه تمديد في المدة انتظاراً للرجعة ، فالحيضة الواحدة قد جعلت علامة على براءة الرحم ، في استبراء الأمَة في انتقال الملك وفي السبايا وفي أحوال أخرى مختلفاً في بعضها بين الفقهاء فتعيَّن أنّ ما زاد على حيضٍ واحد ليس لتحقق عدم الحمل بل ؛ لأنّ في تلك المدة رفقاً بالمطلّق ، ومشقةً على المطلقة فتعارضَ المقصدان ، وقد رجح حقّ المطلق في انتظارِهِ أمداً بعد حصول الحيضة الأولى وانتهائها ، وحصول الطهر بعدها ، فالذين جعلوا القروءَ أطهاراً راعوا التخفيف عن المرأة مع حصول الإمهال للزوج واعتضدوا بالأثر ، والذين جعلوا القروءَ حيضاتٍ زادوا للمطلِّقِ إمهالاً ؛ لأنّ الطلاق لا يكون إلا في طهرٍ عند الجميع"[٢] ، والمطلقة مظنة المشقة فهي بين حيضةٍ وطهرٍ تتربصُ بنفسها لعلَّ مطلقَها يعود إليها ، وفي هذا إشارة إلى أنّه ينبغي على الرجل أن يتريثَ قبل أنْ يتخذَ قرارَهُ الذي لا رجعةَ فيهِ ومدار التوسع في المعنى ههنا : أنّ المعنيين (الطهر والحيض) مرادان ومنسجمان مع دلالة الآية الكريمة والله أعلم .

٤- قال تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ ۗ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ ۖ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ يونس : ٥٤

---

(١) ينظر : حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي : ٣١١/٢ ، وروح المعاني : ١٣٣/٢ .
(٢) التحرير والتنوير : ٣٩١/٢ .

قال البيضاوي تعليقاً على قولهِ تعالى : (وأسروا الندامة) : "لأنهم بُهتوا بما عاينوا مما لم يحتسبوهُ من فظاعة الأمر وهولِهِ فلم يقدروا أن ينطقوا ، وقيل : (أسروا الندامة) : أخلصوها ؛ لأن إخفاءَها إخلاصها أو ؛ لأنّه يقال : سرَّ الشيء لخالصتِهِ من حيث إنها تخفى ويُضَنُّ بها ، وقيل : أظهروها من قولهم : أسرَّ الشيءَ وأشرَّهُ : إذا أظهرهُ"[١] و(أسروا الندامة) : "يعني الرؤساء من المشركين أسروها من سَفَلَتِهِم الذين أضلوهم ، فأسروها ، أي : أخفَوها"[٢] . قال أبو حاتم السجستاني (ت٢٥٥هـ) : "وقال أبو عبيدة : أسررتُ الشيء : أخفيتُهُ وأظهرتُهُ أيضاً ، وكان يقول في هذه الآية (وأسروا الندامة لما رأوا العذاب) أظهروها ، ولا أثقُ بقولِهِ في هذا والله أعلم ، وقد زعموا أنَّ الفرزدق قال[٣] ... :

فلما رأى الحجاجَ جرَّد سيفَهُ أسرَّ الحروريُّ الذي كان أضمرا

ولا أثق أيضاً بقول الفرزدق في القرآن ولا أدري لعلّهُ قال : الذي كان أظهرا ، أي : كتم ما كان عليه ، والفرزدق كثير التخليط في شعرِهِ وليس في قول نظيريهِ جرير والأخطل شيءٌ من ذلك ، فلا أثق بهِ في القرآن"[٤] . قال ابن قتيبة : "﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ﴾ سبأ : ٣٣ ، أظهروها ، يقال : أسررتُ الشيءَ : أخفيتُهُ ، وأظهرتُهُ وهو من الأضداد"[٥] فـ(أسروا) بمعنى : أخفوا ، أي : أن الرؤساء الدعاة إلى الكفر أسروا

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٤٤٠/١ .

(٢) معاني القرآن للفراء : ٤٦٩/١ .

(٣) لم يرد في ديوانِهِ ، ينظر : الأضداد في كلام العرب : ٢٣١ ، ولسان العرب (سرر) .

(٤) أضداد السجستاني : ١١٤-١١٥ . والباحث لا يوافق السجستاني في وصف الفرزدق بكثرة التخليط في شعره وعدم وثوقه به في القرآن ؛ لأنّه من الشعراء الإسلاميين الذين يحتج بشعرهم في النحو واللغة ، وهذا المعنى ورد عند امرئ القيس كما سيذكره الباحث بعد أسطر .

(٥) غريب القرآن : ٣٥٧ ، وينظر : غريب القرآن لابن عُزيز : ١٩ .

الندامة لما رأوا العذاب ، وبمعنى : أظهروا أيضاً ، أي : بدت الندامة في أَسِرَّةِ وجوهِهِم وهي الخطوط التي في الجبهة(١) .

أمَّا غلط نسبة البيت المذكور للفرزدق فقد يكون مدعاةً إلى الأخذ بقول أبي حاتم السجستاني بَيْدَ أنّه ورد التضاد في هذا اللفظ في قول امرئ القيس(٢) :

تجاوزتُ أحراساً إليها ومَعْشراً عليَّ حِراصاً لو يُسرُّون مقتلي

فالإسرار في قولهِ يحتمل الإظهار والإضمار ، أي : تجاوزتُ في ذهابي إليها أهوالاً كثيرة وقوماً حراصاً على قتلي في خفيةٍ ؛ لأنهم لا يجترئون على قتلي جهاراً، أو حراصاً على قتلي ظاهراً ليرتدع غيري عن مثل صنيعي ، وحملُهُ على الإضمار أولى ؛ لأنه كان ملكاً والملوك لا يُقدر على قتلهم علانيةً(٣) . ولكن هذا لا يمنع من أن يكون معنى الإظهار مراداً كما هو ظاهر . وأسرُّوها "لأنهم بُهتوا لرؤيتهم ما لم يحتسبوهُ ولم يخطرْ ببالهم ، وعاينوا من شدة الأمر وتفاقمِهِ ما سلبَهُم قواهم ، وبهرهم فلم يطيقوا عندهُ بكاءً ولا صراخاً ، ولا ما يفعلُهُ الجازعُ سوى إسرار الندم والحسرة في القلوب ... وقيل : أسرَّ رؤساؤهم الندامة من سفلتهم الذين أضلوهم حياءً منهم وخوفاً من توبيخهم ، وقيل : أسروها أخلصوها ، إمّا ؛ لأنّ إخفاءها إخلاصها وإمّا من قولهم : سرّ الشيء لخالصِهِ وفيه تهكمٌ بهم وبأخطائهم وقت إخلاص الندامة ، وقيل : أسرُّوا الندامة : أظهروها من قولهم : أسرَّ الشيء وأشرَّهُ : إذا أظهرهُ وليس هناك تجلُّد"(٤) .

فعندما أظهروا ندامتَهم كان ذلك عند إحراق النار لهم ؛ لأن النار ألهتهم عن التصنع والكتمان ، وعندما أخفوها كان ذلك قبل إحراق النار إياهم(٥) . فإن قيل : إن

---

(١) ينظر : معاني القرآن للنحاس : ٤٨٤/١ .

(٢) ينظر : ديوانُهُ : ١٣ .

(٣) ينظر : شرح المعلقات العشر : ٣٢ .

(٤) الكشاف : ٣٦٨/٢ ، وينظر : التحرير والتنوير : ١٩٨/١١ .

(٥) ينظر : زاد المسير : ٣٩/٤-٤٠ .

مهابة الموقف في يوم القيامة تمنع الإنسان عن هذا التدبير فكيف قَدِموا عليه ؟ والجواب : إنَّ هذا الكتمان يحصل قبل احتراقهم بالنار فإذا احترقوا تركوا الإخفاءَ وأظهروا الندمَ بدليل قولهِ تعالى : ﴿ قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتۡ عَلَيۡنَا شِقۡوَتُنَا وَكُنَّا قَوۡمٗا ضَآلِّينَ ﴾ المؤمنون : ١٠٦ ، فهم أخفوا الندامة على الكفر والفسق في الدنيا ؛ لأجل حفظ الرياسة ، وفي القيامة بَطُلَ هذا الغرض فوجب الإظهار[١] . والسرُّ : ما أسررتَ بهِ، والسريرةُ : عمل السرِّ من خيرٍ أو شرّ ، وأسرَّ الشيءَ : كتمه وأظهرهُ، والوجهان يفسران في قولهِ تعالى : (وأسروا الندامة) [٢] . قال أبو حيان الأندلسي : "وأما إخفاء الندامة ، فقيل : أخفى رؤساؤهم الندامة من سفلتهم حياءً منهم ، وخوفاً من توبيخهم ، وهذا فيه بُعدٌ ؛ لأنَّ من عاين العذابَ هو مشغول بما يقاسيه منه ، فكيف له فكر في الحياء وفي التوبيخ الوارد من السفلة ؟ "[٣] . وهو صحيح فإنّ الموقف هنالك يجعل الإنسان لا ينفك بصرُهُ من الشخوص إلى ما يُفعل به ولاسيما أنَّ النار تستعرُ بأمثالهم فتطيشُ عقولُهُم من أهوال ما يرون فلا حياءَ ولا خوفَ من سفلتِهم ، ثم قال : "وأما من قال : إن معنى قوله (وأسروا الندامة) أخلصوا الله في تلك الندامة ، أو بدت بالندامة أسرة وجوههم ، أي : تكاسيرُ جباهِهم ، ففيه بُعدٌ عن سياق الآية"[٤] وأرى أنّ معنى : تكاسير جباههم مرادٌ في هذا السياق ؛ لأنَّ حالَهم يدعو إلى ذلك فإنَّ رؤيتهم النار فيه دلالة على قربهم منها فإن كانوا قريبين من النار تتكسر جباهُهُم من شدة سعيرها بل قد يكونُ حالُهُم أشدَّ من هذا ما الله به عليم ، ورفض الفيروزآبادي أن يكون معنى الإظهار مراداً في هذه الآية بقولِهِ: "وقولُهُ تعالى : (وأسرُّوا الندامة) أي : كتموها ،

---

(١) ينظر : التفسير الكبير : ١١٧/١٧ .

(٢) ينظر : لسان العرب (سرر) ، والدر المصون في علوم الكتاب المكنون : ٢٢١/٦ .

(٣) البحر المحيط : ١٦٨/٥ ، وينظر : روح المعاني : ١٣٧/١١ .

(٤) البحر المحيط : ١٦٨/٥ .

وقيل : معناهُ : أظهروها بدليل قوله تعالى: ﴿يَٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ﴾ الأنعام : ٢٧ ، وليس كذلك فإن الندامة التي كتموها ليستْ بإشارة إلى ما أظهروهُ"[١] بل فيه إشارة إلى معنى الإظهار من وجهين : أحدهما : إنّ مادة (أسرَّ) مستعملة في اللغة بمعنى : أظهر ، والآخر : كيف لا يظهرون تحسرَّهُم وندامتَهم بعد تفريطِهِم في الدنيا وزيغِهِم عن الحقّ بدليل الآية التي عضَّدَ بها معنى الإظهار .

وبهذا التقديم يُعلم أنّ التعبير القرآني يحتمل المعنيين كليهما على سبيل الاتساع ، فجمع بينهما عن طريق التضاد فإن كان قولُهُ : (وأسروا) بمعنى الإخفاء : فهو كناية عن إخلاصهم لله تعالى والإخفاء من لوازم كون الشيء صافياً ، وهو المشهور في اللغة، وإن كان بمعنى الإظهار فليس لهم هناك قوةُ إخفاء فأظهروا الندامةَ لضعفِهِم[٢] ، والله أعلم من وراء القصد .

٥- قال تعالى : ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ﴾ طه : ١٥

قولُهُ تعالى ذكرُهُ : (أخفيها) ، أي : "أُريد إخفاء وقتها ، أو أقرب أن أخفيها فلا أقول إنها آتية ، ولولا ما في الإخبار بإتيانها من اللطف وقطع الأعذار لما أخبرتُ به ، أو أكاد أظهرها ، من أخفاهُ : إذا سلب خفاءهُ ويؤيده القراءة[٣] بالفتح ، مِنْ خفاهُ :

---

(١) بصائر ذوي التمييز : ٢٠٦/٣ .

(٢) ينظر : حاشية الشيخ زاده على تفسير البيضاوي : ٢٠/٣ .

(٣) وهي قراءة سعيد بن جبير وأبي الدرداء والحسن ومجاهد وحُميد ، ينظر : مختصر في شواذ القراءات : ٨٧ ، والمحتسب : ٤٧/٢ ، والبحر المحيط : ٢١٨/٦ .

إذا أظهرهُ"[١] الخفا : إخفاء الشيء وإظهارهُ ، و(أكاد أخفيها) أي : أُظهرها وأُسِرُّها[٢] ، والقراءة بفتح الألف مِنْ خفيتُ ، وخفيتُ : أظهرتُ وسترتُ كقول امرئ القيس[٣] :

فإنْ تدفنوا الداءَ لا نُخْفِهِ وإن تبعثوا الحربَ لا نقعُدِ

يريد : لا نظهرهُ ، أي : معناهُ : الإظهار[٤] . و(أخفيها) له موضعان : الأول: الكتمان ، والآخر : الإظهار ، وهو من حروف الأضداد[٥] . ومن قال : أخفِي بفتح الهمزة معناهُ : أُظهِر[٦] .

ذكر الطبري أن معنى (أُخفيها) أي : أكادُ أُخفيها من نفسي لئلا يطلع عليها أحدٌ وهو ما عليه أكثر أهل التأويل[٧] وقد استبعد أن يكون (أُخفيها) بمعنى : أُظهرها، قال : "فإن قال قائلٌ : ولم وجهتَ تأويل قولهِ : (أُخفيها) بضم الألف إلى معنى : أكاد أُخفيها من نفسي ، دون توجيهه إلى معنى : أكاد أظهرها ، وقد علمت أنّ للإخفاء في كلام العرب وجهين : أحدهما : الإظهار ، والآخر : الكتمان ، وأنّ الإظهار في هذا الموضع أشبه بمعنى الكلام ، إذ كان الإخفاء من نفسه يكادُ عند السامعين أنْ يستحيل معناهُ ، إذ كان محالاً أن يخفِيَ أحدٌ عن نفسِهِ شيئاً هو عالم به، والله تعالى ذكرُهُ لا تخفى عليه خافيةٌ ؟ قيل : إن الأمر في ذلك بخلاف ما ظننتَ ، وإنّما وجهنا معنى : (أُخفيها) بضم الألف إلى معنى : أسترُها من نفسي ؛ لأن المعروف من معنى الإخفاء في كلام العرب : الستر ، يقال : قد أخفيتُ الشيء : إذا سترتُهُ . وإنَّ الذين وجَّهوا

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٦٤٠/٢ .

(٢) ينظر : العين (خفى) : ٢٤٨/١ .

(٣) ينظر : ديوانه : ١٨٦ .

(٤) ينظر : معاني القرآن للفراء : ١٧٦/٢-١٧٧ ، والأفعال لابن القطاع : ٣٢٠/١ .

(٥) ينظر : مجاز القرآن : ١٦/٢-١٧ ، والأمالي لأبي علي القالي : ٢١١/١ .

(٦) ينظر : مجالس ثعلب : ٢٣١ ، والتبيان في إعراب القرآن : ١٨١/٢ .

(٧) ينظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ٣٤/١٦ .

معناه إلى الإظهار إنما اعتمدوا على بيت لامرئ القيس ابن عابس الكنديّ ... وقد أنشدني الثقة عن الفراء :

فإن تدفنوا الداءَ لا نَخْفِهِ

بفتح النون من : نَخفِهِ ، من خفيتُهُ أَخفيهِ ، وهو أولى بالصواب ؛ لأنّه المعروف من كلام العرب"[١] وخفيتُ الشيءَ : إذا أظهرتُهُ ، ولا يقع هذا الذي بدون ألف على معنى : الستر والتغطية[٢] ، وأفعلتُ الغالب فيها أنها تأتي للإثبات نحو : أكرمتُ زيداً ، أي : أوجبتُ له الكرامة ، وقد تأتي أفعلتُ ويراد بها السلب نحو : أعجمتُ الكتابَ ، أي : أزلتُ عُجمتَهُ و(أكادُ أُخفيها) ، أي : أكادُ أزيل عنها خفاءَها، وخفاء كل شيء غطاؤهُ[٣] . والمعنيان جائزان عند الزمخشري قال : "أكاد أُخفيها ، فلا أقول هي آتية ؛ لفرط إرادتي إخفاءَها ، ولولا ما في الإخبار بإتيانها مع تعمية وقتها من اللطف لما أخبرتُ بهِ ، وقيل : أكادُ أخفيها من نفسي ، ولا دليل في الكلام على هذا المحذوف ، ومحذوف لا دليلَ عليه مُطَّرِح ، والذي غرَّهم منه أنَّ في مصحف أُبيّ : أكادُ أخفيها من نفسي ، وفي بعض المصاحف : أكادُ أخفيها من نفسي ، فكيف أُظهركم عليها ؟ ... فأكادُ أُخفيها محتملٌ للمعنيين"[٤] .

وأنكر ابن عطية الأندلسي أنْ يكون (أُخفيها) من الأضداد ، وذهب إلى أنَّ القولَ بهِ مختلٌ[٥] ، بيدَ أنّه لم يُقم الحجة على رفضِهِ للتضاد في هذا اللفظ .

وتابَعَهُ فخر الدين الرازي في كون الفعل (كادَ) نفيه إثبات وإثباته نفي كقوله تعالى : ﴿ وَمَا كَادُواْ يَفۡعَلُونَ ﴾ البقرة : ٧١ ، أي : فعلوا ذلك ، فقوله : (أكاد

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ١٦/٣٧-٣٨ .
(٢) ينظر : الأضداد لأبي بكر بن الأنباري : ٩٦ ، والأضداد في كلام العرب : ١٧٠ .
(٣) ينظر : سر صناعة الإعراب : ١/٣٧-٣٨ ، وأسرار العربية : ١٩ .
(٤) الكشاف : ٣/١٣٨ .
(٥) ينظر : المحرر الوجيز : ٤/٤٠ .

أُخفيها) يقتضي أنه ما أخفاها وهو باطلٌ لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ ﴾ لقمان : ٣٤ ، و(أُخفيها) يليق بالإخفاء لا بالإظهار لقوله :﴿لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ ﴾ ، و(كاد) موضوع للمقاربة والمعنى : قَرُبَ الأمرُ فيه من الإخفاء ، والفعل (كاد) من الله واجبٌ ، أي : أنا أُخفيها عن الخلق ، أو يكون (كاد) بمعنى : أريد كقولهم : لا أفعل ذلك ولا أكادُ ، أي : ولا أريد أن أفعلَهُ[1] .

وليس الأمرُ مقصوراً على معنى الإخفاء ، بل الإظهار كذلك ؛ لأن المعنى يكون حينئذٍ : "إنها من صحة وقوعها وتيقّن كونها ، تكاد تَظهرُ ولكن تأخرتْ إلى الأجل المعلوم"[2] فـ(أُخفيها) بضم الهمزة بمعنى : الإظهار والاستتار ، وبفتح الهمزة بمعنى : الإظهار ، وعلى هذا تكون القراءتان متحدتين[3] .

وتكون الثانيةُ معضدةً لمعنى الإظهار في الأولى على قول البيضاوي الآنف ذكرُهُ . والمعنى على الإظهار "أُظهرُ وقوعَها ، أي : وقوعها قريبٌ ، وهذه الآية من غرائب استعمال (كاد) فيُضَم إلى استعمال نفيها في قوله : ﴿ وَمَا كَادُواْ يَفۡعَلُونَ ﴾"[4] . فإن كان (أُخفيها) بمعنى : أُظهِرُها ، أي : أكادُ أظهرها ، و(كاد) بمعنى : قَرُبَ ، أي : قَرُبَ ظهورها ، والدليل على هذا وقوعُ أشراطِها التي جاءت في الآثار ، وإن كان بمعنى : الإخفاء ، فإنّ الله أخفاها ولم يُطلعْ أحداً عليها ؛ لحكمةٍ أرادها هو سبحانَهُ وتعالى ، وإرادةُ هذين المعنيين يقتضيهما السياقُ القرآني كما قال الزمخشري آنفاً وفي هذا اتساع في التعبير القرآني بما لا يخفى .

---

(١) ينظر : التفسير الكبير : ٢٢/٢١-٢٢ .
(٢) البحر المحيط : ٢١٨/٦ .
(٣) ينظر : الدر المصون في علوم الكتاب المكنون : ٢١/٨ .
(٤) التحرير والتنوير : ٢٠٢/١٦ .

٦- قال تعالى : ﴿ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴾ يس : ٤٣

قولُهُ تعالى : (فلا صريخ) من الأضداد ، أي : "فلا مغيث لهم يحرسهم عن الغرق ، أو فلا إغاثة كقولهم : أتاهم الصريخ"[١] "الصريخ : الإغاثة"[٢] ولا صريخَ بمعنى : "لا مغيثَ لهم"[٣] وقد ضمَّن المعنيين سلامةُ بن جندل بقوله[٤] :

كُنّا إذا ما أتانا صارخٌ فَزِعٌ كان الصراخُ له قرعَ الظنابيبِ

أي : إذا أتانا مستغيث كانت إغاثتُهُ الجدّ في نصرتِهِ[٥] . يقال : صارخ وصريخ : للمغيث ، وصارخٌ وصريخ للمستغيث ، والظنابيب : جمع ظنوب : وهو عظم الساق ، أي : تقرع سوق الإبل حرصاً على إغاثتِهِ[٦] . "ويقال : في مثلٍ للعرب : (عبدٌ صريخُهُ أَمَةٌ) [٧] ، أي : مغيثُهُ ، يضرب للذليل يستعين بمن هو أذلّ منه"[٨] والصراخ : الصوت ، والمُصرخ : المغيث ، والمستصرخ : المستغيث ، ومنه : استصرخني فأصرختُهُ ، والصريخ : المغيث والمستغيث وهو من الأضداد[٩]، قال الزمخشري : "(لا صريخَ) لا مغيثَ ، أو لا إغاثةَ يقال : أتاهم الصريخ"[١٠] "و(الصريخ) هنا بناء الفاعل بمعنى المصرخ ، وذلك أنك تقول : صارخ بمعنى : مستغيث ، ومصرخ بمعنى : مغيث ، ويجيء (صريخ) مرةً بمعنى هذا ومرةً بمعنى هذا

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٨٧١/٢ .

(٢) معاني القرآن للفراء : ٣٧٩/٢ .

(٣) مجاز القرآن : ١٦٢/٢ ، وينظر : غريب القرآن لابن عُزيز : ١٢٧ .

(٤) ينظر : ديوانه : ٢٢ .

(٥) ينظر : الكامل في اللغة والأدب : ٧/١ ، والتحرير والتنوير : ٢٩/٢٣ .

(٦) ينظر : الأضداد لأبي بكر بن الأنباري : ٨٠ .

(٧) ينظر : جمهرة الأمثال : ٣٦/٢ .

(٨)الأضداد في كلام العرب : ٢٧٤ .

(٩) ينظر : تاج اللغة وصحاح العربية (صرخ) ، وتاج العروس (صرخ) .

(١٠) الكشاف : ٦٥٥/٣ .

؛ لأنّ فعيلاً من أبنية أسماء الفاعل فمرة يجيء من أصرخ ، ومرة يجيء من صرخ : إذا استغاث"[١] ثم إنّهُ قال : "لا صريخ لهم ، ولم يقل : لا منقذ لهم ، وذلك ؛ لأنَّ من لا يكون من شأنِهِ أن ينصر لا يشرع في النصرة مخافةَ أن يغلبَ ويذهبَ ماءُ وجهِهِ ، وإنما ينصر ويغيثُ من يكون من شأنِهِ أنْ يغيثَ فقال : لا صريخَ لهم"[٢] ، وردَّ أبو حيان الأندلسي ما جاء به الزمخشري قائلاً : "كأنّه جعلَهُ مصدراً من أفعل ويحتاج إلى نقل أنّ صريخاً يكون مصدراً بمعنى صُراخ ، والظاهر أنَّ قولَهُ : (فلا صريخَ لهم) أي : لا مغيثَ لهؤلاء الذين شاء اللهُ إغراقَهُم"[٣] وقال السمين الحلبي : "قولُهُ : (فلا صريخَ) فعيل بمعنى فاعل ، أي : فلا مستغيث ، وقيل : بمعنى مُفْعِل ، أي : فلا مُغيثَ ، وهذا هو الأليق بالآية"[٤] ولا يمنع من إرادة الوجهين ، أي : المغيث والمستغيث ؛ لأنّ المستغيث لا يصرخُ عن فراغٍ إلا لأنّه يطلب مَنْ يغيثُهُ وينقذهُ مما وقع فيه من مكروهٍ عندئذٍ يسرعُ المغيثُ في نجدتِهِ وتخليصِهِ من كَربِهِ ، ودلالة (لا) في قولِهِ : (لا صريخَ) معناها : لا يستطيعُ المستغيثون إنجاءَ هؤلاءِ من الغرقِ الواقعِ ولو اجتمعوا . "ولو سُلّم أنهم يخلصون من الموت بسبب عدم الغرق لكن لا محيصَ لهم من الموت أصلاً إذا تمَّ المسمى ، أي : المدة التي قدَّرها الله لهم منهُ"[٥] وكلٌّ منهما أي : المغيث والمستغيث "صحيحٌ هنا ، واعتراضُ أبي حيان على الثاني بأنّهُ يحتاج إلى نقلٍ : أن الصريخ يكون مصدراً بمعنى الصُراخ لا يدفعُهُ أنَّ الزمخشري ثقةٌ يعتمد عليه فإنه لا يستدل بمحل النزاع ولا يلزم من كون الصريخ بمعنى : المغيث أن يكون بمعنى : الإغاثة إذا كان مصدراً ؛ لأنه مصدر الثلاثي ، فالذي يدفعُهُ أنّ

---

(١) المحرر الوجيز : ٤/٤٥٥ .

(٢) التفسير الكبير : ٢٦/٨٢ .

(٣) البحر المحيط : ٧/٣٢٤ .

(٤) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون : ٩/٢٧٢ ، وينظر : روح المعاني : ٢٣/٢٨ .

(٥) حاشية الشيخ زاده على تفسير البيضاوي : ٤/٣٧ .

الصريخ كالصراخ مصدر للثلاثي وتجوّز به عن الإغاثة ؛ لأن المغيث ينادي من يستغيثُ به ويصرخ له ويقول : جاءَك العون والنصر"(١) ومِنْ ثَمَّ أفضى التضاد في لفظة (الصريخ) إلى إرادة معنيي : المغيث والمستغيث وكلاهما معنيان مرادان في سياق التعبير القرآني واللهُ أعلم .

٧- قال تعالى : ﴿ إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴾ القلم : ١٧-٢٠

(الصريم) من الأضداد قال عنه البيضاوي في هذه الآية : "كالبستان الذي صُرم ثمارهُ بحيث لم يبقَ فيه شيءٌ ، فعيل بمعنى مفعول ، أو كالليل باحتراقها واسودادها ، أو كالنهار بابيضاضها من فرط اليبس ، سُميا بالصريم ؛ لأنَّ كلاً منهما ينصرم عن صاحبهِ أو كالرمل"(٢) ومآلُ الجنة وهي البستان أصبح "كالليل المسودّ"(٣) أي : "محترقة و(الليل) هو : الصريم ، و(الصبح) أيضاً : صريم ؛ لأن كلَّ واحدٍ منهما ينصرمُ من صاحبهِ ، ويقال : أصبحتْ وقد ذهب ما فيها من الثمر فكأنّهُ صُرِم ، أي : قُطِع وجُذَّ"(٤) وقد صَرَمَ فلانٌ فلاناً ، أي : قطع ما بينَهُ وبينَهُ من المودة ، والصَرْمُ : القطع ، ومنه : صرمتُ النخلةَ صَرْماً(٥) .

والصريم : قطعةٌ منصرمةٌ عن الرمل ، وأصْرمَ زيدٌ : ساءت حالُهُ(٦) .

(١) حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي : ٢٤٤/٧ .
(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ١٠٨٦/٢ .
(٣) معاني القرآن للفراء : ١٧٥/٣ ، وينظر : الأضداد في كلام العرب : ٢٧٢ .
(٤) غريب القرآن لابن قتيبة : ٤٧٩ ، وينظر : غريب القرآن لابن عُزيز : ١٣٠ .
(٥) ينظر : الزاهر في معاني كلمات الناس : ٣٢٤/١ .
(٦) ينظر : المفردات في غريب القرآن (صرم) : ٢٨٣ ، ولسان العرب (صرم) .

جاء في (الكشاف) [1] : "(فاصبحت كالصريم) كالمصرومة لهلاك ثمرها ، وقيل : الصريم الليل ، أي : احترقت فاسودَّت ، وقيل : النهار ، أي : يَبِستْ وذهبتْ خضرتُها ، أو لم يبقَ شيءٌ فيها من قولهم : بَيَّض الإناء : إذا فرغَّهُ ، وقيل : الصريم : الرمال" والصريم يحتمل أن يكون بمعنى المفعول ، أي : المصروم ويحتمل أن يكون بمعنى الفاعل ، أي : الصارم ، فالمصروم فيه وجهان : أحدهما : لما احترقت كانت شبيهة بالمصرومة في هلاك الثمر إلا أنَّ الأشجار التي احترقت لا تشبهُ الأشجار التي قُطعت وهذا الاختلاف في هذا الوجه حاصلُهُ المشابهة في هلاك الثمر ، والآخر : صُرِم عنها الخير فليس فيها شيءٌ نافعٌ ، والصارمُ فيه ثلاثة أوجه :

الأول : الصريم من الرمل قطعة تتصرم عن سائر الرمال وعلى هذا شبهت الجنة وهي محترقة بالرملة المنقطعة عن الرمال وهي التي لا نفع فيها .

والثاني : الصريم الصبح ، والمعنى : أن الجنة يبستْ وذهبت خضرتُها .

والثالث : الصريم الليل ، والمعنى : أنها احترقت فصارت كالليل المظلم[2] .

ورجَّح نظام الدين النيسابوري (ت٨٥٠هـ) أن يكون (الصريم) فعيلاً بمعنى مفعول ؛ إذ قال : "والثاني وهو الأوْلى : قول من قال : إنها لمّا احترقتْ كانت شبيهة بالمصرومة في هلاك الثمرة وإن كان الاحتراق مغايراً لأثر الصرم"[3] وفيه نظر ؛ لأن فعيلاً بمعنى فاعل فيه معنى : النهار وهو مرادٌ في سياق الآية فالجنة لما يَبِسَتْ وذهبَ اخضرارُها صارت كالنهار في ابيضاضِهِ مما هو مشاهد في تصحر الأراضي وظهور بياض الملح فيها مما يؤدي إلى عدم صلاحيتها للإنبات .

وعلى هذا يطلق (الصريم) على الليل والنهار "فهما من الأضداد ويقال لهما : الصريمان فيحتمل أن يكون المراد بالصريم في الآية الليل المظلم ؛ لأن الجنة لما

---

(١) ٤/٤٤٥ ، وينظر : زاد المسير : ٨/٣٣٦ .

(٢) ينظر : التفسير الكبير : ٣٠/٨٨ .

(٣) غرائب القرآن ورغائب الفرقان : ٦/٣٣٧ .

احترقت واسودتْ صارت كالليل ، ويحتمل أن يراد به : النهار ؛ لأنها لما يبست وذهبت خضرتُها لم يبقَ فيها شيءٌ من قولهم : ابيضَّ الإناء : إذا فرغ"[١] . والله أعلم بمرادِهِ .

٨- قال تعالى : ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴾ التكوير: ١٧ – ١٨

ذكر البيضاوي أن (عسعس) من الأضداد ، إذ قال : "أقبل ظلامُهُ أو أدبر وهو من الأضداد ، يقال : عسعس الليل وسعسع : إذا أدبر"[٢] .

عسَّ يعسُّ عسّاً فهو عاسٌّ ، وعَسْعَسَ الليلُ : أقبل ودنا ظلامُهُ من الأرض[٣]. وأجمع المفسرون على أن معنى (عسعس) : أدبر ، وبعضُهُم يرى أنَّ معناهُ : دنا من أولِهِ وأظلم[٤] ، قال أبو عبيدة : "قال بعضُهُم : إذا أقبلتْ ظلماؤُهُ ، وقال بعضُهُم : إذا ولَّى ألا تراهُ قال : (والصبح إذا تنفس)" [٥] وكأنّه يقول : هو بمعنى : أدبر لا أقبل . ويرى أبو حاتم السجستاني أنّ معناه : أقبل لا غير قال : "ولا أظنُّ هاهنا معنى أكثر من الاسوداد ، عسعس : أظلم واسودّ في جميع ما ذُكر ، وكلُّ شيء مِنْ ذا الباب في القرآن فتفسيرُهُ يُتقى وما لم يكن في القرآن فهو أيسرُ خَطْباً"[٦] ، وذهب الطبري مذهبَ أبي عبيدة فذَكَر أنّ بعضَهُم يرى أنّهُ بمعنى : أدبر، وآخرين يرون أنّه بمعنى : أقبل ظلامُهُ ، وأولى القولين عندهُ قولُ من قال : إذا أدبر لقولهِ تعالى : (والصبح إذا تنفس) فأقسم بالليلِ مدبراً وبالنهار مقبلاً ، والعرب تقول : عسعس الليلُ ، وسَعْسَعَ الليل : إذا

(١) حاشية الشيخ زاده على تفسير البيضاوي : ٤٣٣/٤ .
(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ١١٣٦/٢ .
(٣) ينظر : العين (عسس) : ١٥٣/٣ ، وتاج العروس (عسس) .
(٤) ينظر : معاني القرآن للفراء : ٢٤٢/٣ .
(٥) مجاز القرآن : ٢٨٧/٢ .
(٦) أضداد السجستاني : ٩٧-٩٨ .

أدبر ولم يبقَ منهُ إلا اليسير[1] . وذهب الزجاج إلى أبعد من هذا حين جعلهما شيئاً واحداً قال : "يقال : عسعسَ الليلُ: إذا أقبل ، وعسعس : إذا أدبر ، والمعنيان يرجعان إلى شيءٍ واحدٍ ، وهو ابتداء الظلام في أوله وإدبارِهِ في آخرِهِ"[2] ، وردَّ أبو الطيب اللغوي (ت٣٥١هـ) على ما جاء به أبو حاتم السجستاني قائلاً : "وليس الأمرُ كما ظنّ ، فقد أنشد قطرب لعِلْقَةَ بنِ قُرط التيمي [3] :

حتى إذا الصبحُ لها تنفَّسا وانجابَ عنها ليلُها وعَسْعَسَا

فهذا لا يحتمل أن يكون المعنى فيه إلا أدبر ؛ لأنَّ من المحال أن يقول : انجابَ عنها ليلها وأظلم ، إنما ينجاب بالضوء"[4] .

وذكر ابن فارس أنَّ : الإدبار في (عسعس) خارجٌ عن الأصل ، والمعنى أنّه مقلوبٌ من (سَعْسَعَ) : إذا مضى[5] . "(والليل إذا عسعس) أي : أقبل وأدبر وذلك في مبدإ الليل ومنتهاهُ ، فالعسعسة والعِساس : رقةُ الظلام وذلك في طرفي الليل"[6] ، وإنما كان الإقبال والإدبار في (عسعس) "لأنّ العسعسةَ : الظلمةُ الرقيقةُ ، فاستوى فيها أولُ الليل وآخرِهِ"[7] وقيل : العسعس "هو لهما على طريق الاشتراك ، وقيل : أدبر بلغة قريش خاصةً ، وقيل : أقبل ظلامُهُ ، ويرجّحُهُ مقابلتُهُ بقولِهِ : (والصبح إذا تنفس) وهذا هو

---

(١) ينظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ٢٤/١٥٩-١٦١ .

(٢) معاني القرآن وإعرابه : ٥/٢٩٢ .

(٣) ينظر : أضداد الأصمعي : ٨ ، وأضداد ابن السكيت : ١٦٧ ، والأضداد لأبي بكر بن الأنباري : ٣٣ .

(٤) الأضداد في كلام العرب : ٣٠٩-٣١٠ .

(٥) ينظر : مقاييس اللغة (عسّ) : ٥٧٢ .

(٦) المفردات في غريب القرآن (عسعس) : ٣٣٧ ، وينظر : بصائر ذوي التمييز : ٤/٦٥ .

(٧) الفرق بين الحروف الخمسة : ٧٦٨ .

قريبٌ من إدبارِهِ"[١] ، وقال الشيخ زاده في وجهي (عسعس) : "فمنهم من قال المراد به في الآية : أقبل الليل لتناسب قوله تعالى : (والصبح إذا تنفس) ؛ لأنَّ القَسَمَ حينئذٍ يكون بإقبال كلّ واحدٍ من الليل والنهار ، وإنْ أريد بعسعسة الليل إدبارُهُ يكون القَسَمُ بإدبار الليل وإقبال النهار فتفوت المناسبة ، ويتضمن الكلام تكرار المقسم به ؛ لأنّ إدبارَ أحدهِما يستلزم إقبال الآخر "[٢] .

والحقيقة أنّ المناسبة حاصلة فيما يبدو فلا تكرار للمقسم به ؛ لأنّه أقسم بالليل في إدبارِهِ كقولِهِ تعالى : ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذۡ أَدۡبَرَ﴾ المدثر: ٣٣، على حِدة ، وأقسم بالصبح في إقباله: ﴿وَٱلصُّبۡحِ إِذَآ أَسۡفَرَ﴾ المدثر: ٣٤ ، على حدةٍ أيضاً فكيف يكون المقسم بهِ مكرراً ؟ .

وقال الشهاب الخفاجي تعليقاً على كلام البيضاوي "فقول المصنف (رَحِمَهُ الله) إذا أدبر : تفسير لسَعْسعَ وحدَهُ وليس من الأضداد كالأول – عسعس – وإنما أعادَ عَسْعَس معه لبيان أنهما بمعنىً واحدٍ كما يشهد له كلام أهل اللغة ، ومن لم يقف على مرادِهِ ، قال على هذا : إنَّه لا يناسب ذكرهُ في سياق كونه من الأضداد والأظهر تقديمه فتنبه"[٣]

فقولُهُ : "أنهما بمعنىً واحدٍ" يريد : أحد وجهي (عسعس) وهو الإدبار ؛ لأن (سعسع) معناهُ : أدبر وذهب ، ولفظ العسعس هو في الأصل مشتركٌ بين معنيي الإقبال والإدبار[٤] .

"وبذلك يكونُ إيثار هذا الفعل لإفادتِهِ كلا حَالين صالحين للقسم بهِ فيهما ؛ لأنهما من مظاهر القدرة ، إذ يعقبُ الظلامَ الضياءُ ثم يعقبُ الضياءَ الظلامُ وهذا إيجاز "[٥] وما أعظمَهُ من إيجازٍ في اللفظ وتوسيعٍ في المعنى بجعل العسعس محتملاً

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون : ٧٠٦/١٠ .

(٢) حاشية الشيخ زاده على تفسير البيضاوي : ٥٣٢/٤ .

(٣) حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي : ٣٢٩/٨ .

(٤) ينظر : فتح القدير : ٥١٩/٥ .

(٥) التحرير والتنوير : ١٥٤/٣٠ .

للمعنيين كليهما ، وهذا لا يتأتى إلا عن طريق التضاد الذي صبَّ معنييهِ في مجرى السياق القرآني فاحتملهما بلا ضَعفٍ أو تكلّف كما مرّ (١) .

المبحث الثالث
التوسع في اختلاف لهجاتِ العرب

<u>اللهجة لغةً</u> : اللسانُ وجَرْسُ الكلام ، وفلانٌ فصيح اللّهجة ، أي : في لغتِهِ التي نشأ عليها(٢) .

<u>واصطلاحاً</u> : مجموعة من الصفات اللغوية تنتمي إلى بيئة خاصة ، ويشترك في هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة ، وبيئة اللهجة تضم عدة لهجات لكلّ منها خصائصها تشترك جميعاً في مجموعة من الظواهر اللغوية التي تيسر اتصال أفراد هذه البيئات بعضهم ببعض ، وهذه اللهجات هي التي اصطُلح على تسميتها بـ(اللغة) فالعلاقة بين اللغة واللهجة هي علاقة العام والخاص ، فاللغة تشكل عدة لهجات لكل منها ما يميزها وجميع هذه اللهجات تشترك في مجموعة من الصفات

(١) للمزيد : ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ١/٨٠ ، ٢/٨٥١ ، ٢/١١٢٠ .
(٢) ينظر : لسان العرب (لهج) ، والمصباح المنير (لهج) : ٢٨٨ .

اللغوية التي تؤلف لغة مستقلة عن غيرها من اللغات ، وكان القدماء من علماء العربية يعبرون عمّا نسميه الآن باللهجة بكلمة (اللغة)[١] .

أما المفسرون فقد أدرجوا في صفحات تفاسيرِهِم كثيراً من اللهجات العربية الواردة في القرآن الكريم ولاسيّما في ميدان القراءات القرآنية ؛ لأنَّ تعدد القراءات كان نتيجةً لتعدد اللهجات الواردة عن العرب الفصحاء .

وتنبه البيضاوي إلى ظاهرة اللهجات هذه أثناء تفسيره بعضَ الألفاظ مُعطياً للفظ الواحد أكثر منْ معنىً مستدلاً على المعنى الثاني بلغة من لغات العرب ، وكان هذا

الاختلاف اللهجي من الأسباب الرئيسة في نشوء ظاهرة التوسع في المعنى ؛ لأنَّ مجيء المعنى الثاني عن طريق اللغة أسهم في تعدد معاني المفردة القرآنية في سياقها المحتمل هذه الأوجه ، والأمثلة عند البيضاوي كثيرة منها :

١- قال تعالى : ﴿ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾ الأنبياء: ١٧

قال البيضاوي تعليقاً على قولِهِ تعالى (لهواً) : "ما يُتلهى به ويلعب (لاتخذناه من لدنا) من جهة قدرتنا أو من عندنا مما يليق بحضرتنا من المجردات لا من الأجسام المرفوعة والأجرام المبسوطة كعادتهم في رفع السقوف وتزويقها وتسوية الفرش وتزيينها ، وقيل : اللهو الولد بلغة اليمن وقيل : الزوجة ، والمراد به : الردُّ على النصارى"[٢] اللَّهْو : ما شغلك من الهوى والطرب ، لها يلهو ، والتهى بامرأةٍ فهي لَهْوَتُهُ ، والعامة تقول : تلهَّيتُ[٣] ، و"اللَّهو : الولدُ بلغة حضرموت"[٤] "ويقال : امرأة، وأصل

---

(١) ينظر : في اللهجات العربية : ١٥ ، ولهجة تميم وأثرها في العربية الموحدة : ٢٩-٣٠ .

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٦٦٣/٢ .

(٣) ينظر : العين (لها) : ١٠٧/٤ ، ومجمل اللغة (لهو) : ٧٩٥/٣ .

(٤) معاني القرآن للفراء : ٢٠٠/٢ .

اللَّهو : النكاح"[1] والمعنى : أنَّ الولد هو من لهو الدنيا ، فلو أردنا أنْ نتخذَ ذا لهوٍ يُلهى بهِ ، لاصطفيناهُ مما نخلقُ[2] . قال أبو الليث السمرقندي : "التفسيران متقاربان ؛ لأن المرأة للرجل لهوٌ وولدَهُ لهوٌ كما يقال : ريحانتاهُ"[3] .

وأنكر أبو حيان الأندلسي أن يكون (اللّهو) بمعنى : الولد والمرأة ، قال : "ولا يجيء هذا إلا على قول من قال : (اللّهو) هو اللّعب ، وأمّا من فسَّرهُ بالولد والمرأة فذلك مستحيل لا تتعلق به القدرة"[4] وفيه نظر ؛ لأنّ اللّهوَ لو كان بمعنى (اللعب) لقال الله سبحانَهُ (لاهين) بدل (لاعبين) في الآية التي تسبقُ هذه : ﴿ **وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ** ﴾ الأنبياء : ١٦ ، وقال تعالى : ﴿ **ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا** ﴾ الأعراف : ٥١ ، ولو كان (اللّهو) هو اللعب لما عطفهُ عليه في هذهِ الآية ، فكان اختلاف اللغة داعياً إلى توسُّع المعنى في سياق التعبير القرآني .

٢- قال تعالى : ﴿ **وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا** ﴾ الفرقان : ٢١

ذكر البيضاوي لغة تُهامة في (الرجاء) ، قائلاً : "لا يأملون (لقاءنا) بالخير لكفرهم بالبعث ، أو لا يخافون لقاءنا بالشر على لغة تُهامة ، وأصل اللقاء الوصول إلى الشيء ومنه الرؤية فإنه وصولٌ إلى المرئي ، والمراد به الوصول إلى جزائه ويمكن أن يراد به الرؤية على الأول"[5] (لا يرجون لقاءَنا) أي "لا يخافون لقاءَنا ، وهي لغةٌ

---

(١) غريب القرآن لابن قتيبة : ٢٨٥ .

(٢) ينظر : معاني القرآن وإعرابه : ٣٨٦/٣ .

(٣) بحر العلوم : ٣٦٤/٢ .

(٤) البحر المحيط : ٢٨٠/٦ ، وينظر : حاشية الشيخ زاده على تفسير البيضاوي : ٣٤٣/٣ .

(٥) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٧٣٤/٢ .

تهامية يضعون الرجاء في موضع الخوف إذا كان معهُ جحدٌ ، من ذلك قول الله : ﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴾ نوح : ١٣ ، أي : لا تخافونَ له عظمةً"[١] والمعنى : إنّ المشركين لا يخافون لقاءَ اللهِ ولا يخشون عقابَهُ فقالوا : هلاّ أنزل الله علينا الملائكة فتخبرنا أن محمداً ﴿ ﷺ ﴾ محقٌ فيما يقول أو نرى ربّنا فيخبرنا بذلك، ولقد استكبر قائلو هذهِ المقالة وتجاوزوا في الاستكبار وتعظَّموا (وعتوا عُتواً كبيراً)[٢] . والرجاء نقيض اليأس ، والفعل منه : رجا يرجو ، ورَجِيَ يرجى : إذا دُهِشَ ، ويستعمل الرجاء في موضع الخوف إذا كان معَهُ حرف نفي ، فإذا كان كذلك كان الخوف على جهة الرَّجا والخوف[٣] . والرجاء : هو الظنُ بوقوع الخير الذي يعتري صاحبَهُ الشكُ فيه ، والرجاء : الأمل في الخير ، والخشية والخوف في الشر ؛ لأنهما يكونان مع الشك في المرجو والمخوف ، ولا يكون الرجاء إلا عن سبب يدعو إليه من كرم المرجوّ أو ما شابه[٤] . وفي هذا مخالفةٌ لما جاء به الراغبُ الأصفهاني حينَ قال : "الرجاء والخوف يتلازمان قال تعالى : ﴿ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ﴾ النساء : ١٠٤ "[٥] ومعنى الرجاء في الآية أنّهم : "لا يأملون لقاءنا بالخير ؛ لأنهم كفرة ، أو لا يخافون لقاءَنا بالشرّ ، والرجاء في لغة تهامة : الخوف وبهِ فُسِّر قولُهُ تعالى : (لا ترجون لله وقاراً) "[٦] .

والظاهر عند ابن عطية الأندلسي أنّ الرجاء على بابهِ ؛ لأنّ خوفَ لقاء الله تعالى مقترنٌ برجائِهِ ، فإذا نفى الرجاء عن أحد فإنّما أخبرَ عنه أنّه مكذبٌ بالبعث لنفي

---

(١) معاني القرآن للفراء : ٢/٢٦٥ ، وينظر : مجاز القرآن : ٢/٧٣ .

(٢) ينظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ١٧/٤٢٦ .

(٣) ينظر : تهذيب اللغة (رجا) : ١١/١٢٤-١٢٥ ، ولسان العرب (رجا) .

(٤) ينظر : الفروق اللغوية : ٢٤٤ .

(٥) المفردات في غريب القرآن (رجا) : ١٩٤ .

(٦) الكشاف : ٣/٣٢٣ .

الخوف والرجاء ، وفي نفي الرجاء عن الكفار تنبيه على ما فاتهم من رجاء الله تعالى[١] . وهو مردودٌ ؛ لأنَّ الرجاء هو الأمل في الخير ، والخوف يكون عن توقع مكروهٍ كما مرَّ . وتابع أبو حيان الأندلسي ابن عطية الأندلسي في حمل (الرجاء) على معناهُ المشهور من استعمالِهِ ، أي : لا يأملونَ لقاءَنا بالخير ، وذكر أنَّ الرجاء في لغة تهامة وهي أيضاً لغة هُذيل بمعنى الخوف نحو : فلانٌ لا يرجو ربَّهُ ، أي : لا يخاف ربَّهُ ، وإذا قالوا : فلانٌ يرجو ربّه ، فهو على معنى الرجاء لا الخوف ، أي : يقع الرجاء بمعنى : الخوف في سياق النفي كقول أبي ذؤيب الهذلي[٢] :

إذا لَسَعتْهُ النَّحلُ لم يرجُ لَسْعَها   وحَالفها في بيتِ نُوبٍ عَوَامِلِ

أي : لم يخفْ ، وتأويل البيت على معنى : لم يرجُ دفعَها ولا الانفكاك عنها[٣] . قال ابن عادل الدمشقي (ت بعد ٨٨٠هـ) في قوله تعالى : ﴿بَلْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ نُشُورًا﴾ الفرقان: ٤٠ : "معناهُ : (لا يخافون) على اللغة التهامية ، وهو ضعيف"[٤] .

ويبدو أن معنى (الخوف) الذي جاء على لغة تهامة مرادٌ في سياق الآية الكريمة ؛ لأن الراجي يخاف أنْ لا يُحَصّل مأمولَهُ ، ولذا استُعمل بمعنى الخوف فلا وجه للاعتراض بما لا طائل تحتَهُ ، والراجي لأمرٍ يخاف فواتَهُ فاستعمل مجازاً فيه[٥] . والمعنيان صحيحان فإنْ كان الرجاء بمعناهُ المشهور وهو الأمل فالمعنى : "وقال الذين لا يأملون لقاء جزائِنا بالخير والثواب على الطاعة لتكذيبِهِم بالبعث ، وعلى التفسير الآخر : وقال الذين لا يخافون لقاء جزائِنا بالشر والعقاب على المعصية لتكذيبهم

---

(١) ينظر : المحرر الوجيز : ٢٠٥/٤ ، والتفسير الكبير : ٦٧/٢٤ .
(٢) ينظر : ديوان الهذليين : ١٤٣/١ .
(٣) ينظر : البحر المحيط : ٤٥٠/٦ ، وفتح القدير : ٩٣/٤ .
(٤) اللباب في علوم الكتاب : ٥٣٦/١٤ .
(٥) ينظر : حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي : ٤١٥/٦ ، والكليات : ٤٦٨ .

بالبعث"[1] والمظنون من لفظ (الرجاء) معنى الخير ، ومن لفظ (الخوف) معنى الشر ، ولا يخفى وجه الاتساع في السياق القرآني الحاصل بمجيء الرجاء بمعنى الخوف في سياق النفي على لغة تهامة والله أعلم بمقاصد كلامِهِ .

٣- قال تعالى : ﴿ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾ الصافات : ١٢٥

قال البيضاوي تعليقاً على قولِهِ تعالى (بعلاً) : "أتعبدونَهُ أو أتطلبون الخير منهُ ، وهو اسم صنم كان لأهل بكَّ من الشام وهو البلد الذي يقال له الآن : بعلبك ، وقيل : البعل : الربّ بلغة اليمن ، والمعنى : أتدعون بعض البعول"[2] .

البعلُ : الزوج ، يقال : بَعَل يبعَلُ بعلاً وبُعُولةً ، والمرأةُ تتبعلُ لزوجها : إذا كانت مطيعةً له ، ورجلٌ بَعِلٌ : إذا كان يصير عند الحرب كالمبهوت من الدهش ، وامرأةٌ بَعْلة : لا تحسن لبسَ الثياب ، والبعل : الذكر من النخل ، والبَعْلُ : صنمٌ كان لقوم إلياس ، والتباعل والمباعلةُ والبِعال : ملاعبةُ الرجل أهلَهُ[3] . وذُكر أنّ هذا الصنم كان من ذهبٍ ، وكانوا يسمونه بَعْلاً ، ويقال : أتدعونَ بعلاً ، أي : ربّاً سوى اللهِ سبحانَهُ[4] . "يقال : أنا بعلُ هذه الناقة ، أي : ربُّها ، وبَعلُ الدار ، أي : مالكُها"[5] . واختُلِف في معنى (بَعْلٍ) قالوا : معناه : أتدعون رباً ؟ وهي لغةٌ معروفةٌ لأهل اليمن ،

---

(١) روح المعاني : ٢/١٩ .

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٨٨٩/٢ .

(٣) ينظر : العين (بعل) : ١٥١/١ ، والمحكم والمحيط الأعظم (بعل) : ١٢٢/٢-١٢٣ .

(٤) ينظر : معاني القرآن للفراء : ٣٩٢/٢ ، ومعاني القرآن وإعرابه : ٣١٢/٤ .

(٥) غريب القرآن لابن قتيبة : ٣٧٤ ، وينظر : الإتقان في علوم القرآن : ٤١٧/٢ .

يقال : من بَعْلُ هذا الثور ، أي : مَنْ ربُّهُ ؟ وقال آخرون : هو صنمٌ كان لهم يقال لَهُ : بَعْلٌ ، وبهِ سُميت بَعْلبكَ[١] . وسَمِعَ ابن عباس (ت٦٨هـ) (رضي الله عنهما) رجلاً ينشد ضالةً ، فقال له رجلٌ : أنا بعلُها ، فقال ابن عباس : الله أكبر أتدعون بعلاً ، وقيل : إنّ بعلاً اسمٌ لامرأة أتتهم بضلالة فاتبعوها ، ويؤيد هذا أنّهُ قُرئ[٢] : (أتدعون بَعْلاء) على وزن حمراء[٣] . قال الزركشي : "وما في القرآن من ذكر البعل ، فهو الزوج كقوله تعالى : ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ﴾ البقرة : ٢٢٨ ، إلا حرفاً واحداً في الصافات : (أتدعون بعلاً) فإنّه أراد : صنماً"[٤] ، وقول البيضاوي : "أتدعون بعض البعول" يريد : الأرباب ، أي : الأصنام والتنكير للتبعيض[٥] . وقالت طائفة : البعلُ هنا : الملك، فهُم يقولون للسيد والربّ : البعل ، والمعنى : أتدعون صنماً عملتموهُ ربّاً ؟[٦] و(البعل) اسم صنم الكنعانيين وهو أعظم أصنامهم ؛ لأنَّ (البعل) في لغتِهِم تدلُّ على معنى الذكورة ثم دلَّت على معنى السيادة ، وهو عندهم رمزٌ على الشمس ، وكانت لهم صَنَمة تسمى عند الفينيقيين بقرطاجنّة (تانيت) وهي عندهم رمز القمر ، وعند الكنعانيين تسمى (العشتاروت) ، وقد أُطلق على بعل في زمن موسى ﴿عليه السلام﴾ اسم (مُولك) وقد مثّلوهُ بصورة إنسان له رأس عجل وله قرنان وهو جالس على كرسي ، وكانوا يقربون إليه القرابين ، وقد عبدهُ بنو إسرائيل غير مرة تبعاً للكنعانيين ، وتوجد صورة بعل في دار الآثار بقصر اللُّوفر في باريس منقوشة على وجه حجارة صوّروهُ بصورة إنسان على رأسِهِ خوذة بها قرنان ولعلّها صورتُهُ عند بعض الأُمم التي عبدتهُ ، فكأنّهُ قال :

(١) ينظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ١٩/٦١٢-٦١٣ ، والكشاف : ٣/٦٩٤ .
(٢) وهي قراءة يعقوب، ينظر : شواذ القراءات : ٤٠٨ ، واللباب في علوم الكتاب : ١٦/٣٤٠.
(٣) ينظر : البحر المحيط : ٧/٣٥٨ ، والدر المصون في علوم الكتاب المكنون : ٩/٣٢٧ .
(٤) البرهان في علوم القرآن : ٨٣ .
(٥) ينظر : حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي : ٧/٢٨٤ .
(٦) ينظر : فتح القدير : ٤/٥٣٩ .

أتدعون صنماً بشعاً جمع عنصري الضعف وهما : المخلوقية وقبح الصورة وتتركون من له صفة الخالقية والصفات الحسنى[1] . ولا يخفى ما في لفظ (البعل) من احتمالية أن يكون هو الصنم الذي صنعوهُ ليكون ملكاً في سيادتِهِ عليهم وهو ظاهر معتقد الكنعانيين ، ويحتمل أن يكون المراد به : المرأة التي جاءتهم بالضلالة ، أو الصَنَمة المشار إليها بيدَ أنَّ القراءة تعضدُ أن تكون المرأة لا الصَنَمة ، ثم جاء بنو إسرائيل واتخذوا هذا البعل ربّاً من دون الله سبحانَهُ وتعالى ، وهي لغة أهل اليمن ، ولا يبعد أن يكونَ كلٌّ هذا مراداً على سبيل الاتساع والله أعلم .

٤- قال تعالى : ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ﴾ المعارج : ١

قال البيضاوي : "أي : دعا داعٍ بهِ ... وقرأ نافع وابن عامر[2] (سال) ، وهو إمَّا مِنَ السؤال على لغة قريش قال[3] :

سالت هذيلُ رسولَ الله فاحشةً ضلَّت هذيلُ بما سالت ولم تُصِبِ

أو من (السيلان) ويؤيدُهُ أنّهُ قُرئ[4] : سال سيلٌ على أنّ السيل مصدر بمعنى السائل كالغور ، والمعنى : سال وادٍ بعذابٍ"[5] ذكر سيبويه أنّ : الهمزة المحققة في لغة أهل التخفيف تبدلُ مكانها الألف إذا كان ما قبلها مفتوحاً إلا أنّ هذا ليس بقياسٍ مستقيمٍ وإنما يحفظ عن العرب ولا يقاس عليهِ كقولهم : مِنْساةٌ ، وأصلها : مِنْسأةٌ ، وقد يجوز إبدال الهمزة ألفاً على القياس إذا اضطُرَّ الشاعرُ كقول الفرزدقُ[6] :

راحتْ بمسلمة البغال عشيةً فارْعي فزارةُ لا هناكِ المرتعُ

---

(١) ينظر : التحرير والتنوير : ٢٣/١٦٦-١٦٧ .

(٢) ينظر : الحجة للقراء السبعة : ٦/٣١٧ ، والكافي في القراءات السبع : ٢٢١ .

(٣) الشاعر : حسان بن ثابت ، ينظر : ديوانه : ١/٢٦٨ .

(٤) وهي قراءة ابن عباس (رضي الله عنهما) ، ينظر : المحتسب : ٢/٣٣٠ .

(٥) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٢/١٠٩٤ .

(٦) ينظر : شرح ديوان الفرزدق : ٢/٥٣ .

فأبدل الألف مكان الهمزة ، أي : لا هَنَأَكِ ، وكقول زيد بن عمرو بن نُفيل[1]:

سالتا الطلاقَ أنْ رأتاني قلَّ مالي ، قد جئتماني بنُكْرِ

أي : سَألتا ، وسِلْتَ تسالُ من غير همزٍ لغة[2] . قال الزمخشري : "وقُرئ : سال سائلٌ وهو على وجهين : إمّا أن يكون من السوال وهي لغة قريش ، يقولون : سلتَ تسال وهما يتسايلان ، وأن يكون من السيلان ويؤيدُهُ قراءة ابن عباس : سالَ سيلٌ ، والسيل مصدرٌ في معنى السائل كالغور بمعنى الغائر ، أو لمعنى : اندفع عليهم وادي عذابٍ فذهبَ بهم وأهلكهم ، وعن قتادة : سأل سائل عن عذاب الله : على من ينزل ؟ وبمن يقع ؟ فنزلت ، وسأل على هذا الوجه مضمنٌ معنى عُني واهتم"[3] وردّ أبو حيان الأندلسي على الزمخشري قولَهُ هذا فذكر أنّه : ينبغي أن يتثبت في قولهِ : إنها لغة قريش فما جاء في القرآن من السؤال فهو مهموز ولا يجوز أنْ يكون من (سال) التي عينها واو فلا يجيء ذلك على لغة غير قريش وهم الذين نزل القرآن بلغتهم ، ثم جاء في كلامِهِ : وهما يتسايلان بالياء ، وأظنُهُ من الناسخ ، وإنما هو يتساولان بالواو[4] . وانتصَرَ ابن عاشور للزمخشري قائلاً : "قال في الكشاف : وهي لغة قريش ، وهو يريد : أنّ قريشاً قد يخففون المهموز في مقام الثقل وليس ذلك قياساً في لغتِهِم بل لغتُهُم تحقيق الهمز"[5] وعلى هذا فإنّ تحقيق الهمز في (سأل) معناهُ : دعا داعٍ بعذابٍ واقعٍ فيكون (سأل) مضمناً معنى : دعا ، وقراءة التخفيف (سال) بغير همز التي جاءت على لغة قريش معناها : سال عليهم وادٍ من العذاب فأهلكهم وهذا

(١) ينظر : خزانة الأدب : ٤١٠/٦ .

(٢) ينظر : الكتاب : ٥٥٤/٣-٥٥٥ .

(٣) الكشاف : ٤٦١/٤-٤٦٢ .

(٤) ينظر : البحر المحيط : ٣٢٦/٨ .

(٥) التحرير والتنوير : ١٥٤/٢٩ .

الوجه معضدٌ بقراءة ابن عباسٍ المذكورة آنفاً ولا يخفى التوسع المترتب على هذا الكلام والله أعلم .

٥- قال تعالى : ﴿ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴾ الإنسان : ١٣

قال البيضاوي في معرض حديثِهِ عن قولِهِ تعالى : (زمهريراً) : "والمعنى أنّه يمرُّ عليهم فيها هواءٌ معتدلٌ لا حارٌ محمٍ ولا باردٌ مؤذٍ ، وقيل : الزمهرير : القمر في لغةِ طيء ، قال راجزُهُم[١] :

وليلةٍ ظلامُها قد اعتكر قطعتُها والزمهريرُ ما زهر

والمعنى : إنّ هواءَها مضيءٌ بذاتِهِ لا يحتاج إلى شمسٍ وقمرٍ"[٢]

"أمَّا المراد بالشمس ففيه وجهان : أحدهما : أنهم في ضياء مستديم لا يحتاجون فيه إلى ضياءٍ ، فيكون عدم الشمس مبالغة في وصف الضياء ، الثاني : أنّهم لا يرون فيها شمساً فيتأذون بحرّها ، فيكون عدمها نفياً لأذانها"[٣] .

جاء في (الكشاف) : "يعني أنَّ هواءَها معتدلٌ لا حرُّ شمسٍ يحمي ولا شدةُ بردٍ تؤذي وفي الحديث : (هواءُ الجنةِ سجسجٌ لا حرٌّ ولا قُرٌّ) [٤] .

وقيل : الزمهرير : القمر ، وعن ثعلب[٥] أنّه في لغة طيء وأنشد :

وليلةٍ ظلامُها قد اعتكر قطعتُها والزمهرير ما زهر

---

(١) لم أهتدِ إلى قائله ، ينظر : الكشف والبيان : ٩٨/١٠ ، والجامع لأحكام القرآن : ٤٧١/٢١.

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ١١١٨/٢ .

(٣) النكت والعيون : ١٦٩/٦ ، وينظر : اللباب في علوم الكتاب : ٢٩/٢٠ .

(٤) مسند ابن الجعد : ٣٦٥ ، السجسج : الهواء المعتدل ، ينظر : لسان العرب (سجج) ، والقرّ: البرد ، ينظر : تاج العروس (قرر) .

(٥) ينظر : التفسير الكبير : ٢٤٨/٣٠ . ولم أقف على ما نُسِب إليه ههنا في مجالسه ولا في فصيحه .

والمعنى : أنّ الجنة ضياء فلا يحتاج فيها إلى شمس وقمر"[1] والزمهرير : شدة البرد ، والزمهرير : العذاب المُعدّ للكفار في الآخرة ، وزَمْهَرتْ عيناهُ : احمرَّتا من الغضب ، وازمهرَّتِ الكواكبُ : إذا زهرتْ واشتدَّ ضوؤها[2] . "يعني أن ذكر الشمس في الآية من قبيل ذكر اسم الملزوم وإرادة اللازم ؛ لأنّ المقصود توصيف الجنة باعتدال الهواء وخلوّها عن الهواء الحار المؤذي بحرِّهِ وعن الهواء البارد المؤذي ببردِهِ فذكر الشمس والزمهرير وأُريد ما يلزمهما من خروج الهواء بسببهما عن الاعتدال وعدم رؤية نفسهما لا يفيد هذا المعنى فقوله تعالى : (لا يرون) بمعنى : لا يجدون ؛ لأن الهواء ليس مما يُرى ... قولُهُ : (والمعنى) يعني أن المعنى على تقدير أن يكون المراد بالزمهرير : القمر أن الجنة يكون هواؤها مضيئاً بذاتِهِ لا يحتاج إلى شمس ولا إلى قمر وإنّ أهلها في ضياء مستديم لا ليل فيها ولا نهار ؛ لأنهما إنما يحصلان بطلوع الشمس وغروبها وعبَّر بعدم رؤية الشمس والقمر عن انعدام الاحتياج إليهما"[3] ، ونفي رؤية الشمس في قوله: (لا يرون فيها شمساً) كناية عن نفي وجود الشمس المستلزم انتفاء حرّ شعاعها كقولِهِ[4] :

ولا ترى الضبَّ بها يَنْجَحِرُ

أي : لا ضبَّ بها فتراهُ ولا يكون انجحارُهُ ، أي : دخولُهُ في جُحرِهِ ، والزمهرير البرد القوي بلغة الحجاز ، وهو بمعنى القمر في لغة طيّئ ، أي : لا رؤيا لضوء الشمس ولا لضوء القمر ؛ لأن ضياء الجنة من نور واحد خاص بها ، وهذا معنى آخر غير نفي الحر والبرد ، ومنهم من يقول : المراد بالشمس حقيقتها وبالزمهرير البرد ،

---

(١) ٥١٦/٤ ، وينظر : البحر المحيط : ٣٨٨/٨ .

(٢) ينظر : لسان العرب (زمهر) .

(٣) حاشية الشيخ زاده على تفسير البيضاوي : ٤٩٤/٤ .

(٤) لم أقف على قائله ، ينظر : تاج العروس (فلت) ، وأضواء البيان : ٩٠/٣ .

وإنّ في الكلام (احتباكاً)[1] ، والتقدير : لا يرون فيها شمساً ولا قمراً ، ولا حراً ولا زمهريراً ، والمعنى : أن نورها معتدل وهواءها معتدلٌ[2] .

ووجه التوسع في المعنى واضحٌ في جعل (الزمهرير) بمعنى : القمر على لغة طيّئ علاوة على معنى : البرد المؤذي ، "وعلى هذا يكون المعنى : أنها نورٌ يتلألأُ فلا تحتاج إلى شمسٍ أو قمر ، فهي أضوأُ من الشمس وأنورُ من القمر وأنها ليس فيها ليل وإنما هي نور مستديم ، والحق أن المراد كل هذه المعاني فالجنة جوّها معتدل لا فيها حرٌّ شديد ولا برد مؤذٍ وأنها لا شمس فيها ولا قمر وإنما هي مشرقة بنور ربّها ، وقال : (زمهريراً) ولم يقل : (قمراً) ليجمع المعنيين : الاعتدال في الجو والنور المتلألئ"[3] مع النظر إلى احتباك النص وإيجازِهِ ، فهو بدل أن يقول : لا يرون شمساً ولا قمراً ، ولا حراً ولا زمهريراً قال : (لا يرون فيها شمساً ولا زمهريراً) مما يدلُّ على بلاغة التعبير القرآني في إيجازِهِ للألفاظ وتوسيعِهِ للمعاني ولا يكون ذلك إلا من عند الله سبحانَهُ وتعالى .

٦- قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴾ العاديات : ٦

(١) هو أن يحذف من الأول ما أثبت نظيرهُ في الثاني ومن الثاني ما أثبت نظيره في الأول ، ينظر : الإتقان في علوم القرآن : ٣/١٥٥ . كقوله تعالى : ﴿ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴾ والأصل (لا يرون فيها شمساً ولا قمراً ، ولا حراً ولا زمهريراً) حذف من الأول (القمر) وأثبت نظيره في الثاني (الزمهرير) ، وحذف من الثاني (الحر) وأثبت نظيره في الأول (الشمس) فقال : ﴿ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴾ .

(٢) ينظر : التحرير والتنوير : ٢٩/٣٨٩-٣٩٠ .

(٣) على طريق التفسير البياني : ١/١٧٦-١٧٧ .

قال البيضاوي تعليقاً على الآية الكريمة : "لكَفُورٌ ، مِنْ كَنَدَ النعمةَ كنوداً ، أو لَعَاصٍ بلغةِ كندة ، أو لَبَخيلٌ بلغةِ بني مالك"[١] . (كنود) بلغة كندة وحضرموت (اليمن) معناهُ : الكفور بالنعمة ، وهو اللَّوام لربِّهِ يَعُدُّ المسيئات وينسى النِّعم[٢] . "وكذلك الأرض الكنود التي لا تنبتُ شيئاً ، قال الأعشى[٣] :

أحدثْ لها تُحدِثْ لوصلِكَ إنّها كُنُدٌ لوصلِ الزائرِ المعتادِ "[٤]

وقال أبو الليث السمرقندي : "(الكنود) بلسان كندة وبني حضرموت هو العاصي سَيِّدَهُ ، وبلسان بني كنانة البخيل ... ويقال : الكنود الذي لا خيرَ فيه"[٥] .

وهو لو لم يكن أشِراً بَطِراً لما سُمي كنوداً مما يدلُّ على انهماكِهِ في النكران، وفي الحديث : "(أتدرون ما الكنود ؟ قلنا : لا يا رسول الله ، قال : الكنود : الكفور الذي يأكل وحدَهُ ، ويمنع رفدَهُ ، ويضرب عبدَهُ) [٦] "[٧] .

وقال ابن سيده : "كَنَدَ يكندُ كُنُوداً : كَفَر النعمة ، ورجل كنَّاد وكنود ، وقوله تعالى : (إن الإنسان لربّه لكنود) قيل : هو الجحود ، وهو أحسن ، وقيل : هو الذي يأكل وحدَهُ ويمنع رفدهُ ويضرب عبدَهُ ، ولا أعرف له في اللغة أصلاً ، ولا يسوغ أيضاً في قولِهِ : (لربّه) ، وامرأةٌ كُنُدٌ وكنود : كفور للمواصلة ، وأرض كنود : لا تنبتُ شيئاً ، وكِنْدة : أبو قبيلة من العرب"[٨] ويبدو أنَّ ابن سيده واهمٌ في قوله : (ولا أعرف له في

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ١١٦٨/٢ .

(٢) ينظر : معاني القرآن للفراء : ٢٨٥/٣ ، والإتقان في علوم القرآن : ٤١٩/٢ .

(٣) ينظر : ديوانه : ٦٧ .

(٤) مجاز القرآن : ٣٠٧/٢ .

(٥) بحر العلوم : ٥٠٣/٣ .

(٦) المعجم الكبير (باب الصاد : صدي بن العجلان) : ٢٤٥/٨ .

(٧) الهداية إلى بلوغ النهاية : ٨٤٠٥/١٢-٨٤٠٦ ، وينظر : النكت والعيون : ٣٢٥/٦-٣٢٦ .

(٨) المحكم والمحيط الأعظم (كند) : ٤٧١/٦ .

اللغة أصلاً) ؛ إذ فاته أنّ ذلك حديث للرسول(ﷺ) ، وقولُهُ : "هو الذي يأكل وحدَهُ ويمنع رفدَهُ ويضربُ عبدَهُ" هو تفسير لقولهِ : (الكفور) ، وأمّا مناسبة هذا التفسير للكفور فظاهرة مع قولهِ تعالى : (لربّهِ) ؛ لأنّ الذي بَطَر النعمة التي أنعمها الله عليهِ لا يكونُ إلا كنوداً جحوداً لأنعُم الله لَهُ . "واعلم أنّ معنى الكنود لا يخرج عن أن يكون كفراً أو فسقاً وكيفما كان فلا يمكن حملهُ على كل الناس ، فلا بُدَّ من صرفِهِ إلى كافرٍ معينٍ ، أو إن حملناهُ على الكل كان المعنى : أنّ طبع الإنسان يحملُهُ على ذلك إلا إذا عصمهُ الله بلطفِهِ وتوفيقِهِ من ذلك"(١) "وتقول : فلانٌ إنْ سألْتَهُ نَكَدَ وإن أعطيتَهُ كَنَد ... وفي لغة بني مالك هو (البخيل) ، وفي لغة كِندة هو (العاصي) كما نقله البيضاوي وغيرُهُ من المفسرين"(٢) "وكل مما ذُكر لا يخلو عن كفران ، والكفران المبالغ فيه يجمع صنوفاً منه"(٣) أي : يجمع العصيان والبخل والبطر بالنعمة وما أشبه ذلك ، ومِنْ ثَمَّ أدى اختلاف اللغات إلى تعدد أوجه المعاني في لفظ (الكنود) فهو يحتمل معنى الكفران وهو المشهور ، ويحتمل معنى العصيان على لغة كِندة ، ويحتمل أيضاً معنى البخل المبالغ فيه على لغة بني مالك وكل هذه المعاني مرادة في سياق الآية الكريمة ولا تناقض بينها ، وهو من بديع الإيجاز واتساع المعنى في التعبير والله أعلم(٤) .

---

(١) التفسير الكبير : ٦٧/٣٢ .

(٢) تاج العروس (كند) .

(٣) روح المعاني : ٢١٨/٣٠ ، وينظر : التحرير والتنوير : ٥٠٣/٣٠ .

(٤) للمزيد : ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ١٨٦/١ ، ٦١٧/٢ ، ٩٧٩/٢ .

الخـاتمـــــة

بعد التمتع في التجوال في رحاب كتاب الله سبحانه وتعالى ، وبعد فضلهِ ومنّهِ اكتملت فصول الرسالة ، وقد خلص البحثُ إلى نتائج أبرزها :

١- أكدت الرسالة أنّ (التوسع في المعنى) هو ضربٌ من التعبير اللغوي المحتمل أكثر من معنى مرادٍ في سياقه ، وهذا المفهوم ورد عند القدماء من النحاة واللغويين والمفسرين ومنهم البيضاوي .

٢- إنّ ابن جني هو أول لغوي من علماء العربية ذكر عبارة (التوسع في المعنى) بالصورة التي يمكن عدُّها إرهاصاً متقدماً لبروز أو تأسيس هذا المصطلح وصيرورته واستقراره في الدرس اللغوي المعاصر بالأُسلوب الذي تمَّ إيراده في صدر الرسالة .

٣- إنّ توسع المعنى في التعبير القرآني كانت له عوامل أدّت إلى احتمال اللفظ الواحد للمعاني اللغوية منها : (طبيعة اللغة العربية ، وغياب القرينة ، وكثرة الموضوعات في السياق ، فضلاً عن ظواهر لغوية أُخرى من مثل : المشترك اللفظي ، والأضداد ، واختلاف لهجات العرب) .

٤- إنّ الحذف من التعبير عادةً يؤدي إلى الحذف من المعنى وتقليله ، بَيْدَ أن اللغة العربية من إحدى خصائصها أنّ الحذف فيها يفضي إلى توسيع المعنى وتكثيره ، وهذا فيما أحسبُ سرٌّ لطيف ونكتة بليغة اتَّسمتْ بها العربية.

٥- إنّ الاختلاف في تحديد نوع الاستثناء في التعبير القرآني يتبعُهُ الاختلاف في المعنى وقد اقتضى السياق اللغوي حمل هذه المعاني المختلفة كلّها ، الأمر الذي أدى إلى اتساع المعنى ضمن هذا المنحى في القرآن الكريم .

٦- يحتمل أن يكون (الفعل) مؤدياً معنيين كالفعل (أنزف) الذي استدل به البحث في دلالته على نفاد الشراب ، وذهاب العقل ، وهما معنيان قصدهما

القرآن الكريم في هذا الفعل وغيره ، وكذا الحال في (المصدر) الدال على معنيين أو أكثر المترتب عليه ثراء العبارة القرآنية .

٧- يُكتسبُ معنيان عن طريق التضمين هما : معنى الفعل الرئيس في الجملة ، ومعنى فعل آخر الدال عليه حرف الجر المستعمل معه مما أنتجَ إرادة المعنيين ، ومِنْ ثَمَّ يتحصل التوسع في معاني ومداليل تلك الألفاظ القرآنية .

٨- إنّ إمكان تعلق شبه الجملة بأكثر من متعلق بما يحتمله سياق التعبير أمكن أن يفضي إلى (التوسع في المعنى) في التعبير القرآني .

٩- إنّ تعدد أوجه الإعراب للفظ الواحد يتبعُهُ تعددٌ في أوجه المعاني ؛ لأنّ الأصل في كلّ وجهٍ من الإعراب معنى متفرد بذاتهِ قائم على ذلك الوجه، وبتمام تعدد الأوجه الإعرابية تتوالد المعاني القائمة عليها وتتسع دائرة دلالتها .

١٠- إنّ مجيء الضمير في موطن يمكن أن يرجع فيه إلى أكثر من مرجع هيّأ للمعاني أن تدخلَ في دائرة الاتساع في المعنى شرط أن يكون سياق التعبير محتملاً لذلك .

١١- إنّ تعدد القراءات القرآنية في الكلمة الواحدة كثيراً ما يؤدي إلى التوسع في المعنى ؛ لأنّ هذا التعدد غالباً ما يصحبُهُ تعددٌ في أوجه المعنى .

١٢- إنّ احتمال المفردة القرآنية أكثر من صيغة صرفية وسّع المعنى ؛ لأنّ لكلّ صيغة من الصيغ معنى قائماً بنفسهِ .

١٣- الاشتقاق ظاهرة صرفية تكثر بها دلالات التعبير اللغوي من جانب حمل اللفظة الواحدة على تعدد اشتقاقاتها بما يناسب ذلك السياق الذي وردت فيه .

١٤- المشترك اللفظي مكانٌ ترتعُ فيه المعاني وتجولُ حوله الدلالات القرآنية بما أمكن أن تكون كلها مرادة مطلوبة في سياقها الذي جاءت فيه .

١٥- التضاد ظاهرة لغوية أسهمتْ في إبراز التوسع في المعنى من خلال إرادة التعبير القرآني للمعنيين كليهما .

١٦- ينشأ التوسع في المعنى أحياناً من اختلاف لغات العرب كلفظة (الزمهرير) التي استدل بها البحثُ وهي بمعنى البرد المؤذي عند قوم ، وبمعنى القمر بلغة طيء ، وكلاهما معنيان مقبولان .

وفي ضوء ما ذكرتُ كان البيضاوي في كتابه (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) يوردُ مراراً أكثر من معنىً تحتمله نصوص آيات قرآنية كريمة من غير تعارضٍ يكتنفُ تلك المعاني سواء أكانت في إطار موضوعاتٍ نحوية أم صرفية أم لغوية وعلى نحو ما تمّ عرضُها في متن الرسالة ، الأمر الذي يشهدُ له بعُلُّو كَعبِهِ في الموضوع الذي أطلق عليه المعاصرون مصطلح (التوسع في المعنى) وبعضهم أطلق عليه عبارة (انفتاح الدلالة) . والله أعلم وله الحمدُ والكمالُ وإليه يصعدُ الكَلِمُ الطيّبُ .

الباحث

منذر محمود جاسم خليل

المصـادر والمـراجـــع

القرآن الكريم

(أ)

- أبنية الصرف في كتاب سيبويه ، د. خديجة الحديثي ، مكتبة النهضة – بغداد ، ط١ ، ١٣٨٥ هـ – ١٩٦٥ م .
- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر ، شهاب الدين الدمياطي (ت١١١٧هـ) ، تح : أنس مهرة ، دار الكتب العلمية – لبنان ، ط١ ، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨ م .
- الإتقان في علوم القرآن ، جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ) ، تح : أحمد بن علي ، دار الحديث – القاهرة ، ١٤٢٧ هـ – ٢٠٠٦ م .
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، أبو السعود العمادي (ت٩٥١هـ) ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، د.ت .
- أساس البلاغة ، جار الله الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) ، تح : د. محمد نبيل طريفي، دار صادر – بيروت ، ط١ ، ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م .
- أسرار العربية ، أبو البركات الأنباري (ت٥٧٧هـ) ، تح : محمد بهجة البيطار ، مطبوعات المجمع العلمي العربي – دمشق ، د.ت .
- الأشباه والنظائر في النحو ، جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، د.ت .
- الأصول في النحو ، أبو بكر بن السراج (ت٣١٦هـ) ، تح : د. عبد الحسين الفتلي ، مؤسسة الرسالة – بيروت ، ط٢ ، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٦ م .
- الأضداد ، أبو بكر بن الأنباري (ت٣٢٨هـ) ، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية – صيدا – بيروت ، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م .

- الأضداد لأبي حاتم السجستاني (ت٢٥٥هـ) ، والأضداد للأصمعي (ت٢١٦هـ)، والأضداد لابن السكيت (ت٢٤٤هـ) ، ضمن ثلاثة كتب في الأضداد – نشرها : د. أوغست هفنر ، المطبعة الكاثوليكية – بيروت ، ١٩١٢ م .
- الأضداد في كلام العرب ، أبو الطيب اللغوي (ت٣٥١هـ) ، تح : د. عزة حسن ، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر – دمشق ، ط٢ ، ١٩٩٦م .
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، محمد الأمين الشنقيطي (ت١٣٩٣هـ)، إشراف : بكر بن عبد الله أبو زيد ، دار عالم الفوائد – مكة المكرمة ، ط١ ، ١٤٢٦ هـ .
- إعراب القرآن ، أبو جعفر النحاس (ت ٣٣٨ هـ) ، تح : د . زهير غازي زاهد ، عالم الكتب – بيروت ، ١٤٠٩ هـ – ١٩٨٨ م .
- إعراب القراءات السبع وعللها ، ابن خالويه (ت٣٧٠هـ) ، تح : د. عبد الرحمن ابن سليمان العثيمين ، مكتبة الخانجي – القاهرة ، ط١ ، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٢م.
- الأعلام : قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، خير الدين الزركلي (ت١٣٩٦هـ) ، دار العلم للملايين – بيروت – لبنان ، ط١٥ ، ٢٠٠٢ م .
- الأغاني ، أبو الفرج الأصفهاني (ت ٣٦٠ هـ) ، تح : سمير جابر ، دار الفكر – بيروت ، ط٢ ، د . ت .
- الأفعال ، ابن القطاع الصقلي (ت ٥١٥ هـ) ، عالم الكتب – بيروت ، ط١، ١٩٨٣ م .
- الأفعال ، أبو عثمان سعيد بن محمد المعافري السرقسطي (ت بعد ٤٠٠هـ) ، تح : د . حسين محمد محمد شرف ، مراجعة : د . محمد مهدي علام ، مطابع مؤسسة دار الشعب – القاهرة ، ط٣ ، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢ م .

- الألفاظ ، ابن السكيت ، تح : د. فخر الدين قباوة ، مكتبة لبنان ، بيروت – لبنان، ط١ ، ١٩٩٨ م .
- الأمالي ، أبو علي القالي (ت٣٥٦هـ) ، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ، د.ت .
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، القاضي البيضاوي (ت٦٨٥هـ) ، تح : محمود عبد القادر الأرناؤوط ، دار صادر – بيروت ، ط١ ، ٢٠٠١ م .
- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، جمال الدين ابن هشام الأنصاري (ت٧٦١هـ) ، المكتبة العصرية – صيدا – بيروت ، د . ت .
- الإيضاح في علوم البلاغة ، الخطيب القزويني (ت٧٣٩هـ) ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، د . ت .

(ب)

- بحر العلوم ، أبو الليث السمرقندي (ت ٣٧٥ هـ) ، تح : عادل أحمد عبد الموجود وآخرين ، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٣ م .
- البحر المحيط ، أبو حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ) ، تح : عادل أحمد عبد الموجود وآخرين ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤١٣هـ–١٩٩٣م .
- بدائع الفوائد ، ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١ هـ) ، تح : بشير محمد عيون ، مكتبة دار البيان – دمشق ، ط٢ ، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م .
- البداية والنهاية ، أبو الفداء إسماعيل بن كثير (ت ٧٧٤ هـ) ، تح : رياض عبد الحميد مراد وآخرين ، دار ابن كثير ، دمشق – بيروت ، ط١ ، ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧ م .

- البرهان في علوم القرآن ، بدر الدين الزركشي (ت ٧٩٤ هـ) ، تح : أبي الفضل الدمياطي ، دار الحديث – القاهرة ، ١٤٢٧ هـ – ٢٠٠٦ م .
- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، الفيروزآبادي (ت٨١٧هـ) ، تح : محمد علي النجار ، وعبد العليم الطحاوي ، المكتبة العلمية ، بيروت – لبنان، د.ت .
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، جلال الدين السيوطي ، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر ، ط٢ ، ١٣٩٩ هـ – ١٩٧٩ م .
- بلاغة الكلمة في التعبير القرآني ، د . فاضل صالح السامرائي ، شركة العاتك لصناعة الكتاب – القاهرة ، ط٢ ، ١٤٢٧ هـ – ٢٠٠٦ م .

(ت)

- تأويل مشكل القرآن ، ابن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦ هـ) ، شرحه ونشره : السيد أحمد صقر ، دار التراث – القاهرة ، ط٢ ، ١٣٩٣ هـ – ١٩٧٣ م .
- تاج العروس من جواهر القاموس ، محمد مرتضى الزَّبيدي (ت ١٢٠٥ هـ) ، تح : مصطفى حجازي وآخرين ، سلسلة التراث العربي يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت ، ط١ ، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م .
- تاج اللغة وصحاح العربية ، إسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٨ هـ) ، تح : أحمد عبد الغفور العطار ، دار العلم للملايين – بيروت – لبنان ، ط٣ ، ١٤٠٤ هـ – ١٩٨٤ م .
- تاريخ آداب العرب ، مصطفى صادق الرافعي (ت ١٣٥٦ هـ) ، دار الكتاب العربي – بيروت – لبنان ، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٥ م .
- التبيان في إعراب القرآن ، أبو البقاء العكبري (ت٦١٦هـ) ، إشراف : مكتب البحوث والدراسات في دار الفكر ، بيروت – لبنان ، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م .

- التحرير والتنوير ، الطاهر ابن عاشور (ت ١٢٨٤ هـ) ، الدار التونسية للنشر – تونس ، ١٩٨٤ م .
- التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث ، د. الطيب البكوش ، المطبعة العربية – تونس ، ط٣ ، ١٩٩٢ م .
- التطبيق النحوي ، د. عبده الراجحي ، دار المعرفة الجامعية – الإسكندرية ، ط٢ ، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م .
- التعبير القرآني ، د . فاضل صالح السامرائي ، دار عمار – عمان – الأردن ، ط٤ ، ١٤٢٧ هـ – ٢٠٠٦ م .
- التعريفات ، السيد الشريف الجرجاني (ت ٨١٦ هـ) ، المطبعة الخيرية – مصر ، ط١ ، ١٣٠٦ هـ .
- التفسير الكبير ، فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦ هـ) ، دار الفكر – بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤٠١ هـ – ١٩٨١ م .
- التفسير والمفسرون، د . محمد حسين الذهبي ، مكتبة وهبة – القاهرة ، د.ت .
- تهذيب اللغة ، أبو منصور الأزهري (ت٣٧٠ هـ) ، تح : محمد عوض مرعب ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، ط١ ، ٢٠٠١ م .
- توضيح المقاصد والمسالك إلى ألفية ابن مالك ، ابن أم قاسم المرادي (ت٧٤٩هـ) ، تح : د. عبد الرحمن علي سليمان ، دار الفكر العربي – القاهرة ، ط١ ، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م .

(ج)

- جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ) ، تح : د . عبد الله بن عبد المحسن التركي ، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر – القاهرة ، ط١ ، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م .
- الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان ، أبو بكر القرطبي (ت٦٧١هـ) ، تح : د. عبد الله بن عبد المحسن التركي وآخرين ، مؤسسة الرسالة – بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤٢٧ هـ – ٢٠٠٦م .
- الجملة العربية تأليفها وأقسامها ، د . فاضل صالح السامرائي ، دار الفكر – عمان – الأردن ، ط٢ ، ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م .
- الجملة العربية والمعنى ، د . فاضل صالح السامرائي ، دار الفكر – عمان – الأردن ، ط٢ ، ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م .
- الجمل في النحو ، الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥ هـ) ، تح : د . فخر الدين قباوة ، مؤسسة الرسالة – بيروت ، ط١ ، ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥ م .
- جمهرة الأمثال ، أبو هلال العسكري (ت بعد ٤٠٦ هـ) ، ضبطه وكتب هوامشه : د . أحمد عبد السلام ، وخرج أحاديثه : أبو هاجر محمد سعيد بن بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م .
- الجنى الداني في حروف المعاني ، ابن أم قاسم المرادي ، تح : د. فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م .
- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، السيد أحمد الهاشمي (ت١٣٦٢هـ)، شرح وتحقيق : حسن حمد ، دار الجيل – بيروت ، د . ت .

(ح)

- حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي المسماة (عناية القاضي وكفاية الراضي) ، شهاب الدين الخفاجي (ت١٠٦٩هـ) ، دار صادر – بيروت ، د . ت .
- حاشية الشيخ زاده على تفسير البيضاوي ، الشيخ زاده القوجوي (ت٩٥١هـ) ، مكتبة الحقيقة – استانبول – تركيا ، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م .
- حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ، محمد بن علي الصبان (ت١٢٠٦هـ) ، تح : د. عبد الحميد هنداوي ، المكتبة العصرية – صيدا – بيروت ، ط١ ، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م .
- حجة القراءات ، أبو زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة (كان حياً سنة ٣٨٢هـ) ، تح : سعيد الأفغاني ، مؤسسة الرسالة – بيروت ، ط٥ ، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧ م .
- الحجة للقراء السبعة أئمة الأمصار بالحجاز والعراق والشام الذين ذكرهم أبو بكر بن مجاهد ، أبو علي الفارسي (ت٣٧٧هـ) ، تح : بدر الدين قهوجي وآخرين، دار المأمون للتراث – دمشق – بيروت ، ط١ ، ١٤٠٤ هـ – ١٩٨٤ م .
- حروف المعاني ، أبو القاسم الزجاجي (ت ٣٣٧ هـ) ، تح : د . علي توفيق الحمد ، مؤسسة الرسالة – بيروت ، ط١ ، ١٩٨٤ م .
- الحيوان ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) ، تح : عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل – بيروت ، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦ م .

(خ)

- خزانة الأدب ولبّ لباب لسان العرب ، عبد القادر بن عمر البغدادي (ت١٠٩٣هـ) ، تح : عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي – القاهرة ، ط٤ ، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧ م .
- الخصائص ، أبو الفتح عثمان بن جني (ت٣٩٢هـ) ، تح : الشربيني شريدة ، دار الحديث – القاهرة ، ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧ م .

(د)

- دراسات في فقه اللغة ، د. صبحي الصالح ، دار العلم للملايين – بيروت ، ط١، ١٣٧٩ هـ – ١٩٦٠ م .
- دراسات لأُسلوب القرآن الكريم ، محمد عبد الخالق عضيمة (ت١٤٠٤هـ) ، دار الحديث – القاهرة ، د . ت .
- الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة ، ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ) ، دار الجيل – بيروت ، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٣ م .
- الدرّ المصون في علوم الكتاب المكنون ، السمين الحلبي (ت٧٥٦هـ) ، تح : د. أحمد محمد الخراط ، دار القلم – دمشق ، د . ت .
- الدرّ المنثور في التفسير بالمأثور ، جلال الدين السيوطي ، تح : د . عبد الله بن عبد المحسن التركي ، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية – القاهرة، ط١ ، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣ م .
- دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١ أو ٤٧٤هـ) ، صححه وعلق حواشيه : السيد محمد رشيد رضا ، دار المعرفة – بيروت ، ١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م.
- ديوان إبراهيم بن هرمة ، تح : محمد نفاع ، وحسين عطوان ، مطبوعات مجمع اللغة العربية – دمشق ، د . ت .

- ديوان الأعشى الكبير ، شرحه وضبط نصوصه وقدم له : د . عمر فاروق الطباع ، دار القلم – بيروت – لبنان ، د . ت .
- ديوان امرئ القيس ، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف – القاهرة ، ط٥ ، د . ت .
- ديوان حاتم الطائي ، شرحه وقدم له : أحمد رشاد ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م .
- ديوان حسان بن ثابت ، تح : د . وليد عرفات ، دار صادر – بيروت ، ٢٠٠٦م.
- ديوان سلامة بن جندل ، قدم له ووضع هوامشه : راجي الأسمر ، دار الكتاب العربي – بيروت ، ط١ ، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٤ م .
- ديوان قيس بن الخطيم ، تح : د. ناصر الدين الأسد ، دار صادر – بيروت ، د.ت .
- ديوان الهذليين ، دار الكتب المصرية – القاهرة ، ط٢ ، ١٩٩٥ م .

(ر)

- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، أبو الثناء الآلوسي (ت١٢٧٠هـ) ، عُنيت بنشره : إدارة الطباعة المنيرية ، دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان ، د . ت .
- روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات ، محمد الخوانساري الأصبهاني (ت١٣١٣هـ) ، الدار الإسلامية – بيروت ، ط١ ، ١٤١١ هـ – ١٩٩١ م .

(ز)

- زاد المسير في علم التفسير ، أبو الفرج ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ) ، المكتب الإسلامي – بيروت – دمشق ، ط٣ ، ١٤٠٤ هـ – ١٩٨٤ م .
- الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي ، أبو منصور الأزهري ، تح : محمد جبر الألفي ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – الكويت ، ط١ ، ١٣٩٩ هـ .
- الزاهر في معاني كلمات الناس ، أبو بكر بن الأنباري ، تح : د . حاتم صالح الضامن ، مؤسسة الرسالة – بيروت ، ط١ ، ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م .

(س)

- السبعة في القراءات ، أبو بكر بن مجاهد (ت ٣٢٤ هـ) ، تح : د . شوقي ضيف ، دار المعارف – مصر ، ١٩٧٢ م .
- سر صناعة الإعراب ، أبو الفتح عثمان بن جني ، تح : د . حسن هنداوي ، دار القلم – دمشق ، ط١ ، ١٩٨٥ م .
- سنن الدارقطني ، أبو الحسن الدارقطني البغدادي (ت٣٨٥هـ) ، تح : السيد عبد الله هاشم يماني المدني ، دار المعرفة – بيروت ، ١٣٨٦ هـ – ١٩٦٦م .
- السنن الكبرى ، أبو بكر البيهقي (ت٤٥٨هـ) ، تح : محمد عبد القادر عطا ، مكتبة دار باز – مكة المكرمة ، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٤ م .

(ش)

- شدّ الإزار وحط الأوزار ، معين الدين أبو القاسم جنيد الشيرازي (ت بعد ٧٩٠هـ) ، مطبعة طهران ، نسخة دار الكتب ، د . ت .
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ابن العماد الحنبلي (ت١٠٨٩هـ) ، تح : محمود الأرناؤوط ، وعبد القادر الأرناؤوط ، دار ابن كثير ، دمشق – بيروت، ط١ ، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦ م .

- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، بهاء الدين ابن عقيل (ت ٧٦٩ هـ) ، مكتبة دار التراث – القاهرة ، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م .
- شرح ديوان جرير ، محمد بن حبيب (ت ٢٤٥ هـ) ، تح : د . نعمان محمد أمين طه ، دار المعارف – القاهرة ، ط٣ ، د . ت .
- شرح ديوان الخنساء ، أبو العباس ثعلب (ت ٢٩١ هـ) ، تح : د . أنور أبو سويلم ، دار عمار – عمان – الأردن ، ط١ ، ١٤٠٩ هـ – ١٩٨٨ م .
- شرح ديوان الفرزدق ، ضبط معانيه وشروحه وأكملها : إيليا الحاوي ، دار الكتاب اللبناني – مكتبة المدرسة – بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٩٨٣ م .
- شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري ، الطوسي (لم أقف على سنة وفاته) ، تح : د. إحسان عباس ، مطبعة حكومة الكويت – الكويت ، ١٩٦٢ م .
- شرح الرضي على الكافية ، رضي الدين الإستراباذي (ت٦٨٦هـ) ، تصحيح وتعليق : يوسف حسن عمر ، منشورات جامعة قاز يونس – بنغازي ، ط٢ ، ١٩٩٦ م .
- شرح شافية ابن الحاجب ، رضي الدين الإستراباذي ، تح : محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ، ١٤٠٢ هـ – ١٩٨٢ م .
- شرح الفصيح ، جار الله الزمخشري ، تح : د . إبراهيم بن عبد الله بن جمهور الغامدي ، مطابع جامعة أم القرى – مكة المكرمة ، ١٤١٧ هـ .
- شرح الفصيح في اللغة ، أبو منصور بن الجبّان (ت بعد٤١٦هـ) ، تح : د. عبد الجبار جعفر القزاز ، دار الشؤون الثقافية العامة – بغداد ، ط١ ، ١٩٩١م .
- شرح القصيدة الكافية في التصريف ، جلال الدين السيوطي ، تح : د . ناصر حسين علي ، المطبعة التعاونية – دمشق ، ١٤٠٩ هـ – ١٩٨٩ م .
- شرح كتاب سيبويه ، أبو سعيد السيرافي (ت ٣٦٨ هـ) ، تح : أحمد حسن مهدلي ، وعلي سيد علي ، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م .

- شرح المعلقات العشر وأخبار شعرائها ، الزوزني (ت ٤٨٦ هـ) ، والتبريزي (ت في حدود ٤٢٥ هـ) ، تح : محمد رسلان طحان ، دار مُهرات للعلوم – حمص – سوريا ، ط٢ ، ١٤٢٧ هـ – ٢٠٠٦ م .
- شواذ القراءات ، محمد بن أبي نصر الكرماني (كان حياً سنة ٥٦٣هـ) ، تح : د. شمران العجلي ، مؤسسة البلاغ – بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤٢٢هـ ، ٢٠٠١ م .

(ص)

- الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها ، أحمد بن فارس (ت٣٩٥هـ) ، عُنيت بتصحيحه ونشره : المكتبة السلفية – القاهرة ، ١٣٢٨ هـ – ١٩١٠ م .
- صحيح مسلم ، مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت ٢٦١هـ) ، اعتنى به : أبو صهيب الكرمي ، بيت الأفكار الدولية – الرياض ، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م .

(ط)

- طبقات الشافعية ، ابن قاضي شهبة (ت٧٩٠هـ) ، تح : د. الحافظ عبد العليم خان ، عالم الكتب – بيروت ، ط١ ، ١٤٠٧ هـ .
- طبقات الشافعية الكبرى ، تاج الدين السُّبكي (ت٧٧١هـ) ، تح : د. محمود محمد الطناجي ، ود . عبد الفتاح محمد الحلو، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢ ، ١٤١٣ هـ .
- طبقات المفسرين ، أحمد بن محمد الأدنه وي (ت في القرن الحادي عشر) ، تح : سليمان بن صالح الخزي ، مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة ، ط١ ، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م .

- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ، يحيى بن حمزة العلوي (ت٧٤٥هـ) ، تح : د. عبد الحميد هنداوي ، المكتبة العصرية – صيدا – بيروت ، ط١ ، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢ م .

(ع)

- العبر في خبر من غبر ، شمس الدين الذهبي (ت٧٤٨هـ) ، تح : د. صلاح الدين المنجد ، مطبعة الكويت – الكويت ، ١٩٨٤ م .
- على طريق التفسير البياني ، د. فاضل صالح السامرائي ، جامعة الشارقة – الإمارات ، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢ م .
- علم القراءات : نشأته ، أطواره ، أثره في العلوم الشرعية ، د. نبيل بن محمد إبراهيم آل إسماعيل ، مكتبة التوبة – الرياض ، ط١ ، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠م.
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، ابن رشيق القيرواني (ت٤٥٦هـ) ، تح: النبوي عبد الواحد الشعلان ، مكتبة الخانجي – القاهرة ، ط١ ، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م .
- العين ، الخليل بن أحمد الفراهيدي ، تح : د. عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م .

(غ)

- غرائب التفسير وعجائب التأويل ، محمد بن أبي نصر الكرماني ، تح : د. شمران العجلي ، مؤسسة علوم القرآن – بيروت ، دار القبلة للثقافة الإسلامية – جدة ، د.ت .
- غرائب القرآن ورغائب الفرقان ، نظام الدين القمي النيسابوري (ت بعد ٨٥٠هـ) ، تح : الشيخ زكريا عميران ، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، ط١ ، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦ م .

- غريب القرآن ، ابن قتيبة الدينوري ، تح : السيد أحمد صقر ، دار الكتب العلمية– بيروت – لبنان ، ١٣٩٨ هـ – ١٩٧٨ م .
- غريب القرآن المسمى بنزهة القلوب ، أبو بكر محمد بن عُزَيْز السجستاني (ت٣٣٠هـ) ، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده – الأزهر ، ١٣٨٣ هـ – ١٩٦٣م .
- الغريب المصنف ، أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي (ت٢٢٤هـ) ، تح : محمد المختار العبيدي ، دار مصر للطباعة – القاهرة ، ط٢ ، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦م .

(ف)

- فتح القدير الجامع بين فنيّ الرواية والدراية من علم التفسير ، محمد بن علي الشوكاني (ت١٢٥٠هـ) ، تح : د . عبد الرحمن عميرة ، دار الوفاء ، د.ت .
- الفتح المبين في طبقات الأصوليين ، عبد الله مصطفى المراغي (ت١٣٦٤هـ) ، نشره : محمد علي عثمان ، مطبعة أنصار السنة المحمدية ، ١٣٦٦ هـ – ١٩٤٧م.
- الفرق بين الحروف الخمسة ، ابن السيد البطليوسي (ت٥٢١هـ) ، تح : د . علي زوين ، مطبعة العاني – بغداد ، ١٩٨٥ م .
- الفروق اللغوية ، أبو هلال العسكري ، تح : محمد إبراهيم سليم ، دار العلم والثقافة – القاهرة ، د . ت .
- فصول في فقه العربية ، د. رمضان عبد التواب (ت١٤٢٢هـ) ، مكتبة الخانجي – القاهرة ، ط٦ ، ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م .
- الفصيح ، أبو العباس ثعلب ، تح : د . عاطف مدكور ، دار المعارف – مصر ، د.ت .

- فقه اللغة وأسرار العربية ، أبو منصور الثعالبي (ت٤٢٩هـ) ، عُني بضبطه وتخريج أحاديثه : محمد إبراهيم سليم ، مكتبة القرآن – القاهرة ، د . ت .
- فوات الوفيات ، محمد بن شاكر الكتبي (ت ٧٦٤هـ) ، تح : إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ط١ ، ١٩٧٤م .
- في اللهجات العربية ، د. إبراهيم أنيس (ت١٣٤٩هـ) ، مكتبة الإنجلو المصرية – القاهرة ، ٢٠٠٣ م .

(ق)

- القاموس المحيط ، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت٨١٧هـ) ، راجعه واعتنى به : أنس محمد الشامي وزكريا جابر أحمد ، دار الحديث – القاهرة ، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م .

(ك)

- الكافي في القراءات السبع ، محمد بن شريح الرعيني الأندلسي (ت٤٧٦هـ) ، تح: أحمد محمود عبد السميع الشافعي ، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ، ط١، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ م .
- الكامل في اللغة والأدب ، محمد بن يزيد المبرّد (ت٢٨٥هـ) ، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربي – القاهرة ، ط٣ ، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م .
- الكتاب ، سيبويه (ت١٨٠هـ) ، تح : عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي – القاهرة ، ط٣ ، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م .
- الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد ، المنتجب الهمذاني (ت٦٤٣هـ) ، تح : محمد نظام الدين الفتيح ، مكتبة دار الزمان ، ط١ ، ١٤٢٧ هـ – ٢٠٠٦ م .

- الكتاب الموضح في وجوه القراءات وعللها ، نصر بن علي الشيرازي المعروف بابن أبي مريم (ت بعد ٥٦٥هـ) ، تح : عمر حمدان الكبيسي ، جامعة أم القرى – السعودية ، ١٤٠٨ هـ .
- كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ، محمد علي التهانوي (ت ١١٥٨هـ) ، تح : د. علي دحروج ، مكتبة لبنان – بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٩٩٦ م .
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، جار الله الزمخشري ، شرحه وضبطه وراجعه : يوسف الحمادي ، دار مصر للطباعة ، ٢٠٠٠ م .
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، حاجي خليفة (ت ١٠٦٧هـ) ، عُني بتصحيحه وطبعه : محمد شرف الدين ، ورفعت بيلكة الكليسى ، دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان ، د . ت .
- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها ، مكي بن أبي طالب القيسي (ت٤٣٧هـ) ، تح : د. محيي الدين رمضان ، مؤسسة الرسالة – بيروت ، ط٥، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧ م .
- الكشف والبيان ، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري (ت ٤٢٧هـ) ، تح : أبو محمد بن عاشور ، دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠٢ م .
- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ، أبو البقاء الكفوي (ت١٠٩٤هـ) ، أعدّه ووضع فهارسه : د. عدنان درويش ، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة – بيروت – لبنان ، ط٢ ، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨م.

(ل)

- اللباب في علوم الكتاب ، ابن عادل الدمشقي الحنبلي (ت بعد٨٨٠هـ) ، تح : عادل أحمد عبد الموجود وآخرين ، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م .
- لسان العرب ، ابن منظور الأفريقي (ت٧١١هـ) ، تح : هاشم محمد الشاذلي وآخرين ، دار المعارف – القاهرة ، د . ت .
- لمسات بيانية في نصوص من التنزيل ، د. فاضل صالح السامرائي ، شركة العاتك لصناعة الكتاب – القاهرة ، ط٢ ، ١٤٢٧ هـ – ٢٠٠٦ م .
- لهجة تميم وأثرها في العربية الموحدة ، د . غالب فاضل المطَّلبي ، دار الحرية للطباعة – بغداد ، ١٣٩٨ هـ – ١٩٧٨ م .

(م)

- ما اتفق لفظه واختلف معناه ، ابن الشجري (ت٥٤٢هـ) ، تح : عطية رزق ، دار المناهل – بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٢ م .
- ما جاء على فعلت وأفعلت بمعنى واحد ، أبو منصور الجواليقي (ت٤٥٠هـ) ، تح : ماجد الذهبي ، دار الفكر – دمشق ، ١٤٠٢ هـ – ١٩٨٢م .
- مباحثات لسانية في ظواهر قرآنية ، د . مهدي أسعد عرار ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٨ م .
- مجاز القرآن ، أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي (ت٢١٠هـ) ، تح : محمد فؤاد سزكين ، مكتبة الخانجي – القاهرة ، د . ت .
- مجالس ثعلب ، أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب ، تح : عبد السلام محمد هارون، دار المعارف – مصر ، ١٩٦٠ م .
- مجمل اللغة ، أحمد بن فارس ، تح : زهير عبد المحسن سلطان ، مؤسسة الرسالة – بيروت ، ط٢ ، ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م .

- محاسن التأويل ، محمد جمال الدين القاسمي (ت١٣٣٢هـ) ، صححه ورقمه وعلق عليه : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء الكتب العربية ، ط١ ، ١٣٧٦هـ – ١٩٥٧ م .
- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها ، أبو الفتح عثمان بن جني ، تح : د . عبد الفتاح إسماعيل شلبي وآخرين ، مطابع الأهرام التجارية – مصر ، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٤ م .
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، ابن عطية الأندلسي (ت٥٤٦هـ) ، تح : عبد السلام عبد الشافي محمد ، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ، ط١، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م .
- المحكم والمحيط الأعظم في اللغة ، علي بن إسماعيل بن سيده (ت٤٥٨هـ) ، تح : د. حسين نصار ، ومصطفى السقا ، جامعة الدول العربية – معهد المخطوطات العربية ، ط١ ، ١٣٧٧ هـ – ١٩٥٨ م .
- مختصر في شواذ القراءات ، ابن خالويه ، عُني بنشره : برجستراسر ، دار الهجرة ، د.ت .
- المخصص ، علي بن إسماعيل بن سيده ، تح : خليل إبراهيم جفال ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، ط١ ، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٦ م .
- مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، أبو البركات النسفي (ت٧٠١هـ) ، تح : سيد زكريا ، مكتبة نزار مصطفى الباز ، د.ت .
- مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ، علي بن سليمان اليافعي (ت٧٦٨هـ) ، وضع حواشيه : خليل المنصور ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م .
- المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، جلال الدين السيوطي ، تح : فؤاد علي منصور ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط١ ، ١٩٩٨ م .

- المساعد على تسهيل الفوائد ، بهاء الدين ابن عقيل ، تح : د . محمد كامل بركات، دار المدني – جدة ، ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٤ م .
- المستدرك على الصحيحين ، أبو عبد الله الحاكم النيسابوري (ت٤٠٥هـ) ، تح : مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط١ ، ١٤١١هـ – ١٩٩٠م .
- المستنير في القراءات العشر ، أبو طاهر أحمد بن علي بن سوار البغدادي (ت٤٩٦هـ) ، تح : د. عمار أمين الددو ، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث – الإمارات ، ط١ ، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م .
- مسند ابن الجعد ، علي بن الجعد أبو الحسن الجوهري البغدادي (ت٢٣٠هـ) ، تح : عامر أحمد حيدر ، مؤسسة نادر – بيروت ، ط١ ، ١٤١٠ هـ – ١٩٩٠م.
- مشكل إعراب القرآن ، مكي بن أبي طالب القيسي ، تح : أسامة عبد العظيم ، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ، ط١ ، ٢٠١٠ م .
- المصباح المنير ، أحمد بن محمد بن علي الفيومي (ت٧٧٠هـ) ، تح : يوسف الشيخ محمد ، المكتبة العصرية ، د.ت .
- معالم التنزيل ، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت٥١٦هـ) ، تح : محمد عبد الله النمر وآخرين ، دار طيبة – الرياض ، ١٤٠٩ هـ .
- معاني الأبنية في العربية ، د. فاضل صالح السامرائي ، جامعة بغداد ، د.ت .
- معاني القرآن ، أبو جعفر النحاس ، تح : د. يحيى مراد ، دار الحديث – القاهرة، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م .
- معاني القرآن ، أبو الحسن الأخفش (ت٢١٥هـ) ، تح : د. هدى محمود قراعة ، مكتبة الخانجي – القاهرة ، ط٢ ، ١٤٣١ هـ – ٢٠١٠ م .

- معاني القرآن ، أبو زكريا الفراء (ت ٢٠٧هـ) ، تح : محمد علي النجار وآخرين ، دار السرور ، د.ت .
- معاني القرآن وإعرابه ، أبو إسحاق الزجاج (ت٣١١هـ) ، تح : عبد الجليل عبده شلبي ، عالم الكتب – بيروت ، ط١ ، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م .
- معاني القراءات ، أبو منصور الأزهري ، تح : د. عيد مصطفى درويش ، ود. عوض بن حمد القوزي ، دار المعارف ، ط١ ، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٣ م .
- معاني النحو ، د. فاضل صالح السامرائي ، دار الفكر – عمان – الأردن ، ط٢ ، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣ م .
- معجم البلدان ، ياقوت الحموي (ت٦٢٦هـ) ، دار صادر – بيروت – لبنان ، ط٨ ، ٢٠١٠ م .
- معجم القراءات ، د. عبد اللطيف الخطيب ، دار سعد الدين – دمشق ، ط١ ، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠٢ م .
- المعجم الكبير ، أبو القاسم الطبراني (ت٣٦٠هـ) ، تح : حمدي عبد المجيد السلفي ، مكتبة العلوم والحكم – الموصل ، ط٢ ، ١٤٠٤ هـ – ١٩٨٣ م .
- المغرب في ترتيب المعرب ، أبو الفتح علي بن المطرز (ت٦١٠هـ) ، تح : محمود فاخوري ، وعبد الحميد مختار ، مكتبة أسامة بن زيد – حلب ، ط١ ، ١٩٧٩ م .
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، جمال الدين ابن هشام الأنصاري ، تح : محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الطلائع – القاهرة ، ٢٠٠٥ م .
- المفردات في غريب القرآن ، الراغب الأصفهاني (ت نحو ٤٢٥هـ) ، ضبطه وراجعه : محمد خليل عيتاني ، دار المعرفة – بيروت – لبنان ، ط٤ ، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥ م .
- مقاييس اللغة ، أحمد بن فارس ، راجعه وعلق عليه : أنس محمد الشامي ، دار الحديث – القاهرة ، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م .

- المقتضب ، محمد بن يزيد المبرّد ، تح : محمد عبد الخالق عضيمة ، مطابع الأهرام التجارية – مصر ، ١٤١٥هـ – ١٩٩٤ م .
- ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل ، أحمد بن إبراهيم الغرناطي (ت٧٠٨هـ) ، تح : سعيد الفلاح ، دار الغرب الإسلامي – بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣ م .
- الممتع في التصريف ، ابن عصفور الإشبيلي (ت٦٦٩هـ) ، تح : د . فخر الدين قباوة ، مكتبة لبنان – بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٩٩٦ م .
- من أسرار البيان القرآني ، د. فاضل صالح السامرائي ، دار الفكر – عمان – الأردن ، ط١ ، ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م .
- المنجد في اللغة والأعلام ، لويس معلوف اليسوعي (ت١٣٦٥هـ) ، دار المشرق – بيروت ، ط ٤٠ ، ٢٠٠٣ م .
- الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري ، أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي (ت٣٧٠هـ) ، تح : السيد أحمد صقر ، ود. عبد الله حمد محارب ، دار المعارف – القاهرة ، ط٤ ، ١١١٩هـ .

(ن)

- النحو الوافي ، عباس حسن ، دار المعارف – مصر ، ط٣ ، ١٩٧٤ م .
- النشر في القراءات العشر ، ابن الجزري (ت ٨٣٣ هـ) ، تح : علي محمد الضباع ، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ، د . ت .
- نظرية السياق القرآني ، د. عبد الفتاح الحموز ، دار وائل للنشر – عمان ، ط١ ، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م .
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، برهان الدين البقاعي (ت٨٨٥هـ) ، تح : عبد الرزاق غالب مهدي ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥م.

- النكت والعيون ، علي بن محمد بن حبيب الماوردي (ت٤٥٠هـ) ، تح : السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم ، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ، د.ت.

(هـ)

- الهداية إلى بلوغ النهاية ، مكي بن أبي طالب القيسي ، مجموعة رسائل جامعية قامت بمراجعتها وتدقيقها وتهيئتها للطباعة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة – الإمارات ، ط١ ، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م .
- هدية العارفين : أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ، إسماعيل باشا البغدادي (ت١٣٣٩هـ) ، دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان ، د.ت .
- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، جلال الدين السيوطي ، تح : أحمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٨م.

(و)

- الوافي بالوفيات ، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت٧٦٤هـ) ، تح : أحمد الأرناؤوط ، وتركي مصطفى ، دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م .

* الرسـائـل الجـامعـية :

- اتساع المعنى عند السمين الحلبي في كتابه الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ، رسالة ماجستير ، شاكر محمود حسين ، كلية ابن رشد – جامعة بغداد ، ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م .
- البحث اللغوي عند فخر الدين الرازي ، اطروحة دكتوراه ، د . عبد الرسول سلمان الزيدي ، كلية الآداب – جامعة بغداد ، ١٤١٠ هـ – ١٩٩٠ م .

- البيضاوي ومنهجه في التفسير ، اطروحة دكتوراه ، د . يوسف أحمد علي ، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة أم القرى ، د.ت .
- التوسع في المعنى في الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ، اطروحة دكتوراه ، د. طه سبتي إبراهيم ، كلية العلوم الإسلامية – جامعة بغداد ، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨م .
- الجهد الصرفي في تفسير البيضاوي ، رسالة ماجستير ، رنا طلال سليمان الحيالي ، كلية التربية للبنات – جامعة بغداد ، ١٤٢٧ هـ – ٢٠٠٦ م .